٢

تأثير داروين

وأثره على

النازية - علم تحسين النسل - الوراثة البشرية - التميز العرقي

الشيوعية - الرأسمالية - والتحيز الجنسي

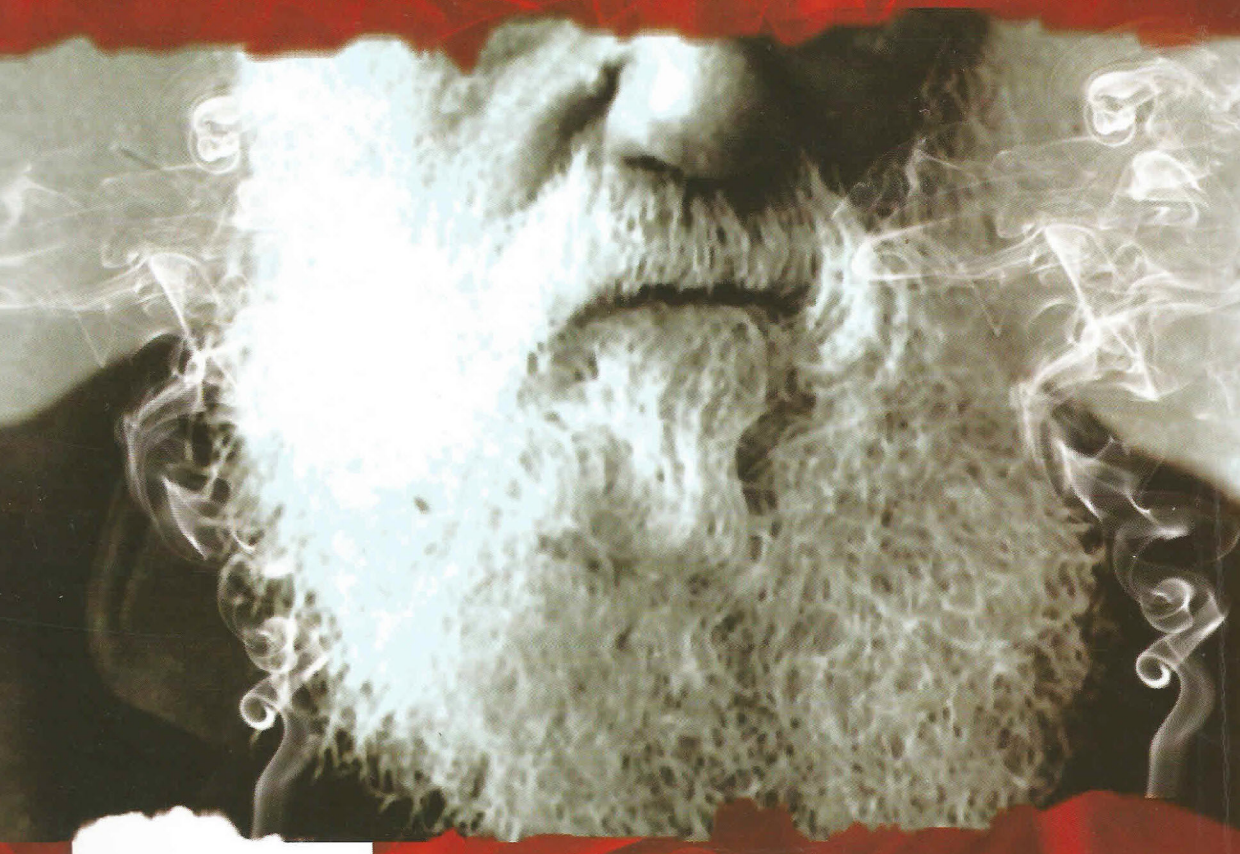

جيري بيرجمان

أستاذ علم الأحياء البشرية

ترجمة

القسم العلمي بمركز تبصير

تبصير

لتقريب التراث

والرد على الشبهات

تأثير داروين

وأثره على

النازية وعلم تحسين النسل والتمييز العرقي

والشـيوعية والرأسـمالية والتحيز الجنسي

حُقُوقُ الطَّبعِ مَحفُوظَة

1440هـ / 2019 م

تحذير: يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية، ويشمل ذلك التصوير الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مضغوطة أو استخدام أي وسيلة نشر أخرى، بما في ذلك حفظ المعلومات واسترجاعها، دون إذن خطي من الناشر.

اسم الكتاب: تأثير داروين

اسم المؤلف: جيري بيرجمان

الطبعة: الأولى

مقاس الكتاب: 17 × 24

عدد الصفحات: 292

رقم الإيداع: 26062/ 2018

الترقيم الدولي: 978-977-85457-3-9

جميع المعلومات الواردة في الكتاب تمثل آراء المؤلف

وليس بالضرورة أنها تمثل آراء مركز تبصير

العنوان: ٣ شارع مسجد الفرقان – القناطر الخيرية – القليوبية جمهورية مصر العربية

التليفون: 01019757010 – 01102260020

website: http://tbseir.com twitter: @tabseir Fb: @tbseir

Email: tabseir@gmail.com

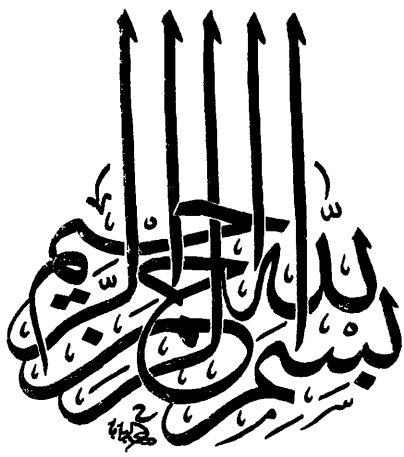

الفصل العاشر

أوتا بينجا: القزم الذي عُرض في حديقة الحيوان

أحد أكثر القصص التاريخية إثارة عن الآثار الداروينية هي قصة أوتا بينجا، وهو قزم وُضع للعرض في حديقة حيوان أمريكية كمثال على السلالة المتدنية في أفريقيا من الناحية التطورية. يكشف هذا الحادث بوضوح عن العنصرية المستلهمة من الداروينية ومدى استحواذ النظرية على قلوب وعقول العلماء والصحفيين في أوائل القرن العشرين. وكلما ابتعد البشر عن هذا الوقت من التاريخ، كلما تمكنا من النظر بموضوعية أكثر في بعض الفظائع التي سببتها الداروينية في المجتمع. تعد قصة أوتا بينجا مثالًا مؤثرًا والتي أصدرت اليوم مؤتمرات أكاديمية لدراسة الحالة.

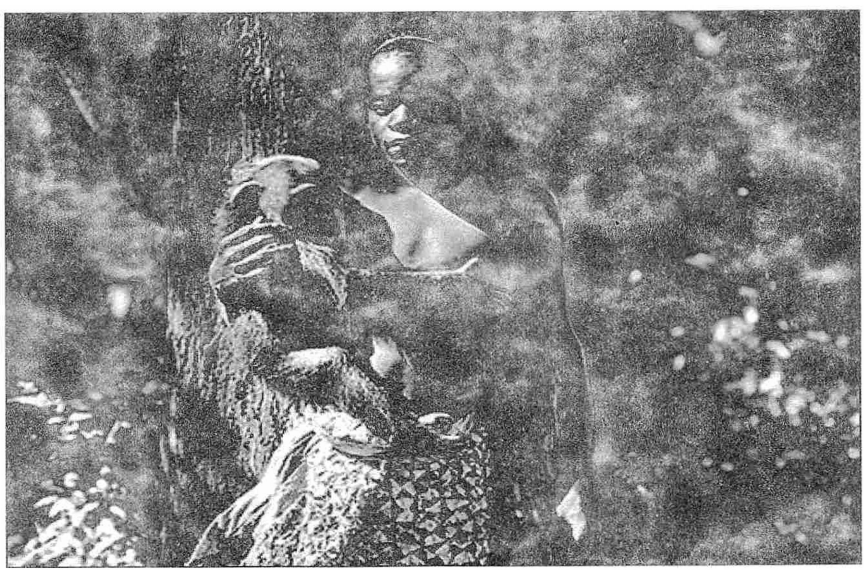

أوتا بينجا معروض في حديقة حيوان برونكس عام 1906.

إن وجود الاختلافات الوراثية أمر حتمي عند الداروينية لأنها المصدر الأساسي الوحيد للتغير المطلوب لحدوث التطور. التاريخ والتقاليد لديهم في كثير من الأحيان عواقب مأساوية، وتجمعت الاختلافات البشرية معًا في فئات تسمى الآن الأجناس. تعمل الأجناس كوحدات اختيار تطورية من الأهمية بحيث، كما ذُكر في فصل سابق، تحت العنوان الفرعي لكتاب داروين الأصلي لعام 1859، أصل الأنواع، أنها تحافظ على الأجناس المفضلة في الكفاح من أجل الحياة. كان هذا العمل قاطعًا في إثبات أهمية مبدأ كفاءة العرق، وخاصة مفهوم "البقاء للأصلح". كان السؤال المطروح في أوائل القرن العشرين، "من كان، ومن لم يكن إنسانًا؟" هذا السؤال كان مصدر قلق كبير في أوروبا وأميركا في مطلع القرن.... كان الأوروبيون يسألون هذا السؤال ويجيبون عليه بشأن الأقزام... عادةً متأثرين بالتفسيرات الحالية للداروينية، لذا لم يكن السؤال ببساطة من كان إنسانًا، ولكن من كان أكثر إنسانية، وأخيرًا من هو الأكثر إنسانية، التي كانت تهمهم (برادفورد وبلوم 1992، 29).

أعطت الداروينية الدعم العلمي للاعتقاد بأن بعض الأجناس كانت جسديًا أقرب إلى الرئيسيات الدنيا ولذلك كانوا أدنى. وكانت الرؤية أن السود تطوروا من الغوريلا القوية ولكنها أقل ذكاءً، وتطور الشرق أسيويون من إنسان الغاب، وتطور البيض من الرئيسيات الأكثر ذكاءً، وهو الشمبانزي (كروكشانك 1924). استنتج العديد من أنصار التطور الأوائل أن السود كانوا أقل تطورًا من البيض وأنهم سينقرضوا في النهاية. إن الثمار الناشئة عن التطور، من مفهوم النازيين للتفوق العرقي إلى استخدامه في تطوير السياسة الحكومية، جميعها موثقة جيدًا (ويكارت 2004).

رأى بعض العلماء أن الحل لمشكلة العنصرية في أوائل القرن العشرين في أميركا، هو السماح للانتقاء الطبيعي الداروينى للعمل دون تدخل. لاحظ كل من برادفورد وبلوم أن داروين قام بتعليم أنه "عندما تُترك ل ذاتها، فإن الانتقاء الطبيعي سيؤدي إلى انقراض" السلالات الأدنى. فدون العبودية لاحتضانهم وحمايتهم، أو كما كان يُعتقد، فإن على السود أن يتنافسوا مع القوقازيين من أجل البقاء. والبيض كان لديهم كفاءة أكبر لهذا السباق [كما أعتقد بعد ذلك] بعد النزاع. واختفاء السود كجنس، سيكون فقط مسألة وقت (1992، 40).

أظهر كل تعداد أمريكي جديد أن هذا التنبؤ لداروين كان خطأ، لأنه" لم يظهر أي علامات من التناقص العددي للسكان السود، وربما حتى يكون آخذًا في الارتفاع". ومن غير المضمون" انتظار الاختيار الطبيعي لمعرفة الإجابة، "حاول أحد الذين نالوا رتبة " سيناتور " حتى إنشاء برامج لإقناع – أو حتى إرغام – من هم أمريكيين من أصل أفريقي – للعودة إلى أفريقيا (برادفورد وبليمى 1992، 41).

واحدة من أكثر الحوادث المؤثرة في تاريخ الداروينية والعنصرية هي قصة الرجل الذي عُرض في حديقة الحيوان (بيركس 1992). جلب من الكونغو البلجيكية في عام 1904 من قبل المستكشف الأفريقي صموئيل فيرنر، في نهاية المطاف "قدمه فيرنر إلى برونكس مدير حديقة الحيوان، ويليام هورناداي "(فيرنر ١٩٠٤؛ ١٩٠٤ب؛ ١٩٠٤ج؛ ١٩٠٤ د؛1905؛ سيفاكس 1984، 253). الرجل القزم الذي يدعى أوتا بنجا الملقب ب "باى" التي تعني "صديق" بلغة بنجا الأصلية، ولد عام 1881 في وسط أفريقيا (فيرنر 1904أ). عندما وضع في حديقة الحيوان، كان وزن أوتا البالغ من العمر

23 عامًا والبالغ طوله 11 قدمًا وبطول 11 بوصة، 103 رطل فقط. غالبًا ما يُشار إليه باسم الصبي، كان في الواقع أب وله زوجتين - زوجته الأولى وطفليه قتلوا من قبل المستعمرين البيض، وتوفيت زوجته الثاني من لدغة ثعبان سامة (بريدجز1974).

عُرض أوتا لأول مرة مع الأقزام الآخرين كجزء من عروض "الوحشية الرمزية" في جناح الأنثروبولوجيا في معرض سانت لويس العالمي عام 1904. كان المعرض تحت إشراف ويليام ج. ماكجيي من قسم الأنثروبولوجيا في المعرض. كان طموح ماكجيي في معرضه "أن يكون علميًا بشكل شامل من خلال شرحه لمراحل التطور البشري".

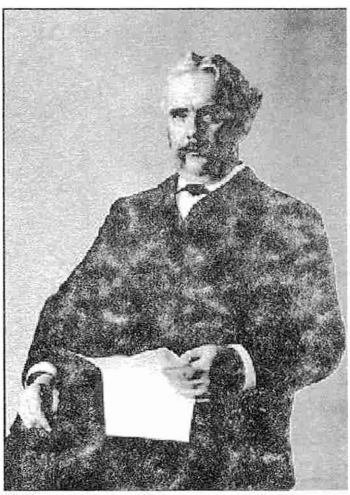

1900 صورة لويليام ج. ماكجي،الرئيس السابق لجمعية الأنثروبولوجيا الأمريكية

لذلك، فقد احتاج لعرضه الأنثروبولوجي أن يكون به السود مقارنة بالبيض و"أفراد" أقل ثقافة معروفون بالجهل "مقارنة بآخرين أعلى تحضرا" (برادفورد وبلوم 1992، 94- 95).

ومن المفارقات أن البروفيسور فرانز بواس من جامعة كولومبيا "أقرضه" إلى المعرض الأنثروبولوجي. وكان ذلك مفزعاً لأن بواس، وهو يهودي كان من أوائل علماء الأنثروبولوجيا الذين عارضوا العنصرية الداروينية، أمضى حياته في محاربة حركة النسل السيئة السمعة (برادفورد وبلوم 1992، 113). وقد اختير الأقزام لأنهم جذبوا الكثير من الاهتمام كمثال مثالي على السباق "البدائي" (فيرنر 1906، 471). ذكرت إحدى

المقالات العلمية الأمريكية تحديدًا أن أقزام الكونغو كانوا "مخلوقات صغيرة شبيهة بالقرود، ومخلوقات قبيحة ومؤذية" تعيش في الغابات الكثيفة المتشابكة في وحشية مطلقة، ولكن تظهر عليهم العديد من السمات الشبيهة بالقرود في أجسادهم، يمتلك بعضهم اليقظة، والتي يبدو أنها تجعلهم أكثر ذكاء من غيرهم من الزنوج.... إن وجود الأقزام هو الشيء الأكثر وقاحة؛ فهم لا يمارسون الزراعة، ولا يحتفظون بالحيوانات الأليفة. إنهم يعيشون عن طريق الصيد والغطس، ويخرجون هذا عن طريق السرقة من الزنوج الكبار، على مشارف قبائلهم التي يقيمون عليها عادةً مستعمراتهم الصغيرة، على الرغم من أنهم غير مستقرين مثل المياه، ويعيشون في نطاق بعيد وعريض عبر الغابات. ويبدو أنهم أصبحوا على دراية بالمعادن فقط من خلال الاتصال مع الكائنات المتفوقة (كيان 1907، 107- 108).

خلال فترة إقامة الأقزام في أميركا، أجري عليهم دراسة من قبل العلماء لتعلم الفروق بين "الأجناس الهمجية" بالمقارنة مع القوقازيين "المتأخرين عقليا" في اختبارات الذكاء وكيفية استجاباتهم للأشياء مثل الألم (برادفورد وبلوم 1992، 113- 114).إن الأنثروبومترين وعلماء النفس خلصوا إلى أن اختبارات الذكاء أثبتت أن الأقزام يشبهون "الأشخاص الذين يعانون من نقص عقلي، مما جعلهم يقعون في العديد من الأخطاء الغبية وأخذ كمية هائلة من الوقت" (برادفورد وبلوم 1992، 121). وضع العديد من الداروينيين أصل تطور الأقزام بقوة في العصر الحجري القديم، وخلصوا إلى أن لديهم "قسوة الرجل البدائي" (جاتي 1937، 122).

لقد كان أداءهم ضعيفًا حتى في الألعاب الرياضية: "السجل المشين الذي وضعه

المتوحشون المتخلفون" كان ضعيفًا إلى درجة أنه لم يحدث من قبل في تاريخ الرياضة... "(برادفورد وبلوم 1992، 122).

بعد ذلك، لم يقس علماء الأنثروبولوجيا البشر الأحياء فقط، ولكن في إحدى الحالات كان الرأس "البدائي" "مقطوعًا من الجسم وأصبح جمجمة". على افتراض أن حجم الجمجمة كان "مؤشرًا للذكاء، كان العلماء مذهولين" لاكتشاف أن" "الجمجمة البدائية" كانت "أكبر من تلك التي كانت تنتمي إلى رجل الدولة دانيال وبستر" (برادفورد وبلوم 1992، 16).

وخلص محرر في مجلة ساينتفيك أميركان إلى أنه "من بين القبائل الأصلية التي يمكن مشاهدتها في المعرض، فإن الأكثرية البدائية هي الزنوج... ولا شيء يجعلهم سعداء للغاية بقدر إظهار مهارتهم، عن طريق إصابة عملة الخمس سنتات فى غصن شجرة على مسافة خمسة عشر قدم. وهناك قرية الصيد الرئيسة إيجوروتيس، وبها عرق جيد من البرابرة الزراعيين" (مون وكومباني 1904، 64). بعد الإشارة إلى الأقزام "كذوي بشرة سوداء صغار يشبهون القرود افترض مون أن تطور القردة شبيهة الإنسان سرعان ما تبعه" أول نوع من الإنسانية التي دخلت القارة السوداء، وهذه كذلك، كانت إحدى نقاط القوة التي أصر في استخدامها لإثبات نظريته من قبل العشائر الأوائل، الذين اضطروا تدريجيا للعيش في أعماق الغابات العظيمة" (مون 1905، 107).

وأضاف أن البشر المعاصرين في كافة الاحتمالات، ظهروا لأول مرة من القردة في جنوب شرق آسيا، وربما في الهند.... وحتى يومنا هذا، يعيش الزنوج الذين يشبهون القردة في الغابات المظلمة، التي لا شك في أنهم أحفاد هذه الأنواع المبكرة من البشر،

والذين ربما كانوا يشبهون أسلافهم على الأرجح.... فوجوههم مشعرة إلى حد ما، مع بروز في الفك العلوي، وتراجع الذقن، في حين أنهم بشكل عام غير أذكياء وخجولين، ولديهم تماسك قبلي متدني،ويعيشون عادة على أطراف القبائل الأعلى. وقد أخذت الأنواع الأخرى في الانخفاض حتى الآن، مما يشير إلى أن الاثنين كانوا، إلى حد ما مندمجان في العصور السابقة (مون 1905، 107).

أثناء العرض، تعامل مع الأقزام بطريقة مختلفة للغاية عن الطريقة التي عاملوا بها البيض الذين جاءوا إلى أفريقيا لرؤيتهم. عندما زار فيرنر الملك الإفريقي، "قُوبل بالأغاني والهدايا، والطعام ونبيذ النخيل، والطبول، وحُمل في أرجوحة". وعلى النقيض من ذلك، عندما كان الباتوا في سانت لويس كان الأشخاص يقابلوهم بالضحك. بالتحديق. ويأتي الأشخاص لالتقاط صورهم والفرار... [و] جاؤوا كذلك للقتال معهم.... وقد تعاقد فيرنر على إعادة الأقزام بأمان إلى أفريقيا. كان في كثير من الأحيان في صراعا فقط لمنعهم من أن يمزقوا إلى قطع في المعرض. مرارًا وتكرارًا... الحشود أصبحت مضطربة وقبيحة.في كل مرة كان "أوتا" و"الباتوا" يُتركون فقط بصعوبة. "وفي كثير من الأحيان، استدعوا الشرطة (برادفورد وبلوم 1992، 118- 119).

لماذا أتى أوتا إلى الولايات المتحدة

بينما كان أوتا بنجا يصطاد بعيدًا عن قبيلته، ذبحت القوة العامة شعبه. وكانت فرقة القوة العامة مجموعة من البلطجية الذين يعملون لحساب الحكومة البلجيكية سعيًا لاستخراج الجزية (أو بعبارة أخرى، سرقة العمالة والمواد الخام) من الأفارقة الأصليين الذين يعيشون في الكونغو البلجيكي. بعد أن نجح أوتا في قتل أحد الأفيال في الصيد،

عاد إلى شعبه مع الأخبار السارة. ثم علم بفقدان شعبه وزوجته وأطفاله. شُوهت جثثهم في حملة من الإرهاب قامت بها الحكومة البلجيكية ضد "السكان الأصليين البدائيين" (برادفورد وبلوم 1992، 104). قُبض على أوتا في وقت لاحق وبيع كعبد.

في هذا الوقت، كان يبحث فيرنر عن العديد من الأقزام لعرضهم في معرض لويزيانا ورصد أوتا في سوق العبيد. انحنى فيرنر "وسحب شفاه القزم" لفحص أسنانه. وكان مبتهجًا. حيث وجد أن الأسنان صغيرة وحادة وكانت هذه إحدى تلك المواصفات التي يبحث عنها... وقد اشتراه بالملح والقماش من أجل الحرية والداروينية والغرب "(برادفورد وبلوم 1992، 106). وحُطم عالم أوتا من قبل البيض، وعلى الرغم من أنه لم يكن يعرف ما إذا كان الرجل الأبيض الذي أصبح الآن سيده لديه النية ذاتها، كان يعلم أنه ليس لديه خيار سوى الذهاب معه. إلى جانب ذلك لم تكن أحداث سوق العبيد سوى حدث واحد آخر في حياة أوتا والتي كانت كالكابوس الذي بدأ باكتشافه بذبح وتشويه عائلته كلها. تمكن فيرنر من العودة بأربعة أقزام فقط، وهو رقم "قليل للغاية مقارنة... بقائمة التسوق التي بلغت "18 أفريقيًا (برادفورد وبلوم 1992، 110).

بعد هذا المعرض، عاد فيرنر بأوتا وباقي الأقزام إلى إفريقيا، وتزوج أوتا من جديد على الفور، لكن زوجته الثانية توفيت. هو الآن لم يعد ينتمي إلى أية عشيرة أو عائلة لأنهم قتلوا جميعًا أو بيعوا كعبيد. كما أن شعبه الآخر نبذه، واصفًا إياه بأنه عفريت، وأدعى أنه اختار أن يدخل في عالم الرجال البيض. كان الرجال البيض محل إعجاب وخوف، وكانوا ينظرون إليه شاعرين بالرعب والقلق: كانوا قادرين على القيام بأشياء مثل تسجيل الأصوات البشرية على الفونوغرافات التي تستخدم فيها أسطوانة إيديسون

والتي رأى الأقزام أنهم كائنات تسرق "الروح" من الجسم، مما يسمح للجسم بالجلوس والاستماع إلى روح الحديث (فيرنر 1906أ). بعد أن قام فيرنر بتجميع القطع الأثرية من المتاحف، قرر إعادة أوتا إلى أميركا (على الرغم من أن فيرنر يدعي أنها كانت فكرة أوتا) لزيارته - وعد فيرنر أنه سيعيده إلى أفريقيا في رحلته القادمة. سعى فيرنرمرة واحدة في أميركا لبيع حيواناته إلى حدائق الحيوان، وأقفاصه التي أعادها من أفريقيا إلى المتاحف. لم يحقق فيرنر المال الذي كان يتوقعه، لذا لم يعد بإمكانه أن يعتني بأوتا - لذلك اضطر لإيجاد مكان له.

عندما عُرِض أوتا على هورناداي مدير حدائق حيوان برونكس، كان من الواضح أن نية هورناداي كانت "عرض" أوتا. حافظ هورنادي على النظرة الهرمية للأجناس... كان بالنسبة له الحيوانات الكبيرة الأكثر تعقلا... "الأفضل تطورا ويجب أن يقدمها" (برادفورد وبلوم 1992، 167). "مؤمنا بالنظرية الداروينية"، خلص كذلك إلى أن هناك "تشابه وثيق في الوحشية الأفريقية والقرود" (نيويورك تايمز، 11 سبتمبر، 1906، ص 2). في البداية كان أوتا حرًا في التجول في حديقة الحيوان، حيث يساعد باقي الحيوانات، ولكن سرعان ما تغير هذا الأمر جذريًا. كان هورنادي ومسؤولوا حدائق الحيوانات الآخرون قد خضعوا لحلم متكرر، حيث لعب رجل مثل أوتا بينجا دورًا رائدًا... كان يُجري إعداد فخ، مصنوع من الداروينية، البارنيتومية، عنصرية صافية وبسيطة... وقد اتحدت هذه العناصر بسلاسة بحيث يمكن للمسؤولين في وقت لاحق أن ينكروا، أنه كان هناك فخ أو خطة على الإطلاق. لم يكن هناك من يلام، كما قالوا، إلا إذا كان القزم متمردًا أو لديه اتصال بالصحافة (برادفورد وبلوم 1992، 174).اضطر أوتا بعد

ذلك لقضاء المزيد من الوقت داخل منزل القرد. وقال إنه استلم قوسا وسهما وشجعوه على إطلاق الأسهم كجزء من "العرض" كان أوتا محبوس في قفصه. - وعندما سُمح له بالخروج من قفص القرد"، حدق به الحشد، وبقي الحارس قريبًا منه" (برادفورد وبلوم 1992، 180). في غضون ذلك بدأت الدعاية -"بوشمان يشارك قفص مع برونكس في حديقة القرود" يوم 9 سبتمبر، صرخ عنوان صحيفة نيويورك تايمز على الرغم من أن المدير د.هورنادي أصر على أنه مجرد عرض "لمعرض الفضول "لتنوير الجمهور" على ما يبدو لم يكن هناك فرق بين الوحش الجامح والرجل الأسود الصغير. [و] لأول مرة في أي حديقة حيوان أمريكية، عُرض إنسان في قفص. أعطي [بنجا] قفص - معتم لإبقاءه في صحبة الأسر مع - ببغاء وإنسان غاب يُدعى دوونغ" (سيفاكس 1984، 253). ويعتقد هورناداي أنه "هناك بعد شاسع بين الأجناس البشرية العليا والدنيا... أعلى الحيوانات فكريًا أفضل من أدنى الرجال" (هورناداي 1922، 67).

وقد ذكر حساب معاصر أن أوتا: لم يكن أطول من إنسان الغاب. فرؤوسهما متشابهة إلى حد كبير، ولكلاهما ابتسامة بالطريقة ذاتها (برادفورد ولبوم 1992، 181). جلب فيرنر "شمبانزي صغير "والذي أودع كذلك مع مجموعة من القرود في بيت الرئيسيات" (هورنادي 1906، 302). ظهر انجذاب هورنادي لمعرضه الرئيس الجديد في مقال كتبه لنشرة جمعية الحيوان التي بدأت على النحو التالي:

في 9 سبتمبر، كان الأقزام الإفريقيون الحقيقون، يصنفوا كسلالة فرعية معروفة بشكل عام، تحت مسمى "الأقزام".... أوتا بنجا وهي ما يعني رجل صغير ذو نمو مستمر، ذو رأس جيد، عيون مشرقة، ووجه جميل. وهو ليس مشعرا، ولا يغطيه "الشعر

الكثيف" الذي وصف من قبل بعض المستكشفين.... فهو يشعر بالسعادة عندما... يصنع شيء بيديه (مائل في الأصل، 1906، 301). ثم يقول هورنادي عن كيفية حصوله على الأقزام من فيرنر الذي كان مهتمًا بشكل خاص بالأقزام، بعد أن عاد مؤخرًا إلى منازلهم على نهر كاساي أنصاف الرجال والنساء من هذا المعرض الذين جُلبوا إلى هذا البلد من خلاله للعرض في قسم الأنثروبولوجيا في معرض سانت لويس [المعرض العالمي] (هورنادي 1906، 302؛ انظر كذلك في فيرنر 1916).

تأثير التطور

لقد كانت العوامل العديدة التي حفزت فيرنر لجلب أوتا إلى الولايات المتحدة معقدة، ولكن من الواضح أنه "تأثر كثيرًا بنظريات تشارلز داروين" نظرية التطور التي تطورت تاريخيًا، وأصبحت البشرية تنقسم على نحو متزايد بشكل تعسفي معقد (ريمر 1992,3). كان فيرنر يعتقد كذلك أن الأفارقة كانوا "جنسًا أدنى (فيرنر 1908 أ، 10،717). ويظهر هاليت أن داروين شعر كذلك بأن الأقزام كانوا من البشر الأقل شأناً: العقيدة الداروينية للتطور البطيء والمتدرج من أسلاف وحشية... ساهمت في التاريخ الزائف للبشرية. في الصفحة الأخيرة من كتابه "أصل الإنسان"، عبّر داروين عن رأيه بأنه يفضل أن ينحدر من قرد أكثر من "متوحش". وقد استخدم كلمات وحشية، منخفضة ومتدهورة لوصف الهنود الأمريكيين، جزيرة أندامان. إن الأقزام وممثلو كل مجموعة عرقية تقريبا يختلف مظهرهم وثقافتهم البدنية عن ثقافتهم.... وصف تشارلز داروين "السكان المنحدرين والمتدهورين لجزر أندامان" في كتاب "أصل الإنسان". وقورنت أقزام غابة إيتوري "بالكائنات الحية (هاليت 1973، 358-359).

على الرغم من أن العنصرية البيولوجية لم تبدأ بالداروينية، إلا أن داروين قام أكثر من أي شخص آخر بتعميمها. في وقت مبكر من عام 1699، درس الطبيب الإنجليزي إدوارد تايسون الهيكل العظمي الذي يعتقد أنه ينتمي إلى الأقزام، وانتهى إلى أنهم قردة. اتضح فيما بعد أن الهيكل العظمي الذي استند إليه هذا الاستنتاج كان في الواقع شمبانزي (بارفورد وبلوم 1992، 20).

كان الاستنتاج الذي وافق عليه غالبية العلماء في يوم فيرنر هو أن داروين "أظهر أن كافة البشر ينحدرون من القرود"، مما يثبت "أن بعض الأجناس قد انحدرت أكثر من غيرها... [و] أن بعض الأجناس، أي البيضاء منها، تركت القردة خلفهم، في حين أن الأجناس الأخرى، خاصة الأقزام، لم تنضج على الإطلاق "(برادفورد وبلومى 1992،20). اتفق العديد من العلماء مع عالم الاقزام السير هاري جونسون الذي خلص إلى أن الأقزام كانوا" مثل القرود في مظهرهم [و] بشرتهم المشعرة، وطول أذرعهم، وعاداتهم تشير جميعها إلى أن هؤلاء الأشخاص يمثلون الرجل في أحد أشكاله السابقة "(كين 1907، 99).

خلصت واحدة من أكثر الدراسات المبكرة في مجموعة الأقزام إلى أنهم "وحوش صغيرة" وأن "الحالة المتدنية لنموهم العقلي تظهر من خلال" حقيقة أنهم "ليس لديهم أي اعتبار للوقت، أو أية سجلات أو تقاليد للماضي. لا يوجد دين معروف بينهم؛ إنهم لا يسعون إلى معرفة المستقبل بوسائل غامضة.. باختصار هم... أقرب صلة مع قرد الإنسان الدارويني الأصلي القديم "(باررووز 1905؛ 172، 182).

كانت الأقزام في الواقع مجموعة موهوبة – وخبراء في التقليد ورشقاء بدنياً ويركضون

بسرعة ولديهم فطنة وصيادين فائقين، لكن الداروينيون لم يبحثوا عن هذه السمات، لأنهم أصيبوا بالعمى بسبب نظريات تطورهم (جونستون 1902؛ 1902 أ؛ لويد 1899). وقد أظهرت دراسة حديثة أنه بإلقاء ضوء أكثر دقة على الأقزام ما يدل على عبثية النظرة العالمية للتطور في القرن التاسع عشر (ترنبول 1968).

كان أوتا بينجا "رجلاً صغيراً لامعاً"، قام بتعليم فنان كيفية صنع مجموعة من "الأوتار الخيطية"، وهي مادة أدرجها في فصل واحد من كتابه حول هذا الموضوع (جان 1962، 276). وبناء على صنع مجموعة من "الأوتار الخيطية" الذي تفوق فيها أوتا، كتب هاليت، في الدفاع عن الأقزام:

لقد افترض داروين أن الأشخاص البدائيين – أو "المتوحشين" – كما وصفهم – لا يفعلون ولا يتصورون أي إبداع عالميًا. دراسة شيبستا الممتازة... يشرح بشكل صحيح أن دين غابة الأقزام في إيتوري مبني على الاعتقاد بأن "الله يمتلك مجمل القوة الحيوية، التي يوزع جزءًا منها على مخلوقاته، وهو الفعل الذي يجلبه إلى الوجود أو يكملها" (1973)، 14–15).

واختتم هاللت قائلًا: لا يزال العلماء يقبلون أو يؤيدون نظرية التطور الديني التي طرحها داروين وزملاؤه في القرن التاسع عشر. لقد أكدوا أن الدين تطور من الروحانية البدائية إلى الشهوة إلى الشرك إلى مرتفعات التوحيد الديني اليهودي المسيحي. إن أقزام غابة إيتوري هم أكثر الكائنات الحية البدائية من جنسنا، ولكن بعيداً عن كونهم الحيواني، فإنهم لا يعرفون مخاوف القبائل الزنوج المحلية من الأرواح الشريرة. "إذا كان هو الظلام، فالظلام هو جيد،" وفقًا لقبيلة الأقزام المفضلة. "من صنع النور صنع الظلام

كذلك" (1973، 14-15).

كما استنكر الأقزام:

تخاريف الزنوج من التماثيل الدينية السحرية وغيرها مما يسمى الأوثان. كانوا ينظرون نظرة قاتمة إلى الأكواخ الكنسية التي زينت بتماثيل مثل دمية يسوع ومريم. وتعد عبادة الأوثان من قبل أقزام غابة إيتوري، الذين يعتقدون أن القوة الإلهية للكون لا يمكن أن تكون محصورة داخل حدود مادية. من المؤكد أن مؤلفي العهد القديم بالعبرية موافقون على ذلك، حيث إنهم تابعوا الوصية المعروفة التي تحظر "الصور المحفورة" أو الأصنام (1973، 14-15).

معتقدات فيرنر الداروينية

لم يكن فيرنر أكاديميًا غير مطّلع لكنه "جمع سجلًا أكاديميًا لم يسبق له مثيل في جامعة ساوث كارولينا"، وفي عام 1892 تخرّج لأول مرة في فصله في سنّ التاسعة عشرة (برافورد وبلومى 1992، 69). وفي دراسته، درس فيرنر أعمال تشارلز داروين، بما في ذلك أصل الأنواع وإنحدارالإنسان، والتي "ارتبطت بالمستوى الفكري لفيرنر، حيث وعدت نظرية التطور بإعطاء الدقة العلمية للمسائل العرقية التي طالما أزعجته. وفقا لداروين... وكان "من المحتمل أكثر أن أسلافنا الأوائل عاشوا في القارة الأفريقية أكثر من أي مكان آخر" (برافورد وبلومى 1992,70).

دفعته دراساته للإجابة على بعض الأسئلة الأساسية حول الأقزام، مثل:

هل هم رجال أم من القردة العليا؟ ومن وكيف كان أسلافهم؟

ما هي علاقاتهم العرقية مع الأجناس الأخرى من الرجال؟ هل قاموا بالانحدار من رجال

أكبر، أم أن الرجال الأكبر هم تطور لأجداد الأقزام؟ هذه الأسئلة تنشأ بشكل طبيعي، وتعمق المحقق في المناقشات العلمية الأكثر سخونة من هذا الجيل (فيرنر 1902أ، 192).

إحدى الفرضيات التي اعتبرها هي أن الأقزام لم يتغيروا منذ التطور لأول مرة، وهي النظرة التي تتعارض مع التطور والانقراض. صحيح أن هؤلاء الأشخاص الصغار حافظوا على ما يبدو أنه كيان مادي لم يتغير منذ خمسة آلاف سنة. ولكن هذا يقود لأساس الجدال من أصل الأنواع. وهي النقطة محل الخلاف الواضحة. هل جاء الأقزام من رجال كانوا سلفًا مشتركًا للعديد من الأجناس بعيدين عن بعضهم البعض كصديقي تيكو من قرية بتوا من نسل الرئيس الراحل ماكينلي؟ (فيرنر1902أ، 193).

رأى كثير من الأشخاص صراعا واضحا بين التطور والمسيحية، و "بالنسبة لغالبية الرجال، فإن القرارات الأخلاقية لمبشر مثل ليفينغستون وطبيعة داروين ألغت كل منهما الآخر". لكن بالنسبة لفيرنر، لم يكن هناك تناقض: فهناك توافق بين التبشير الملائكي والتطور، ليفنجستون وداروين "(برادفورد وبلوم 1992، 70، 72). باختصار "الفجوة الضخمة بين الدين والعلم" لم تكن تهم فيرنر. سرعان ما ذهب إلى أفريقيا "لإرضاء فضوله بشكل مباشر بشأن أسئلة من التاريخ الطبيعي وتطور الإنسان "(برادفورد وبليوم 1992، 74). لقد رأى فيرنيكوك أن الاقزام كانت "السلالة الأكثر بدائية للجنس البشري" وكانت "تقريبًا منازلها في الأشجار مثل القرود" (1902أ، 189- 190).

وفي وقت لاحق، كتب الكثير عن رحلاته الإفريقية، حتى أنه دافع عن سيطرة البيض على إفريقيا وإدارة البلاد "مدريرين ودودين" (فيرنر 1908أ، 10718). وجادل كذلك بأن السود في أفريقيا يجب أن يُحافظ عليهم من قبل "العرق الأبيض" وأن

النزاعات الاجتماعية والقانونية بين الأجناس يجب حلها عن طريق "القانون المحلي" (1906أ، 8235؛ 1907، 8736). لم يكن فيرنر شخصًا معنيًا ولا مراعيا للأجناس الأخرى، ولكن هذا الاهتمام جاء مخالفا لما هو عليه بشكل كبير بعد معتقداته التطورية (فيرنر 1902).

معرض حديقة الحيوان

قضى هنري فيرفيلد أوسبورن، المدافع القوي لداروين، الكثير من حياته في تبشير بدينه ومهاجمته لأولئك الذين كانوا ينتقدون التطور، وخاصة ويليام جينينغز براين، الذي أدلى بتصريحاته الافتتاحية عندما افتتح معرض حديقة أوتا لأول مرة (برادفورد وبلوم 1992، 175).

يعتقد أوسبورن ومسؤولي حديقة حيوان بارزون، أنه ليس فقط أن أوتا الأقل تطوراً، لكن هذا المعرض سمح لأجناس من شمال أوروبا بأن يكون لهم حق "الوصول إلى البرية من أجل الشعور بأفضليتهم. العرق الأعظم، كما كان يطلق عليهم أحيانًا، بحاجة إلى مكان يلجئون إليه الآن، ولربما في هذا المكان يمكنهم أن يطلقوا غرائزهم البدائية (برفورد وبلومى 1992,175).

وُصف معرض أوتا من قبل المشاهدين المعاصرين بأنه مملوء بالإحساس والمشاعر – فقد أحب الحشود على وجه الخصوص إيماءات وجوه أوتا (برفورد وبلومى 1992,180) ربما نفى بعض المسؤولين ما كان يحاول المعرض تحقيقه، لكن الجمهور كان يعرف تمامًا هدفه: "كان هناك دائمًا حشدًا أمام القفص، وفي غالبية الأحيان كانوا يتجولون ضاحكين، ومن كل ركن من أركان الحديقة تقريبًا يسمع السؤال "أين هم الأقزام؟" وكان

الجواب، "في بيت القردة" (نيويورك تايمز، 10 سبتمبر، 1906، ص 1). كانت الآثار المترتبة على المعرض واضحة كذلك من أسئلة الزوار: هل كان رجلاً أم قردًا؟ هل كان هناك شيء بينهما؟ سأل أحد المتفرجين الألمان "هل هو رجل؟"... لا أحد يخطئ حقا بين القردة أو الببغاوات والبشر. ولكن ها هو أقرب لهذا السؤال. هل كان رجلاً؟ هل كان قردا؟ هل كانت مرحلة منسية من التطور (برفورد وبلومى 1992,179).

وقد اقترح أحد الأستاذة العلميين أنه ينبغي استخدام هذا المعرض للمساعدة في توعيه الجمهور عن حقيقة التطور البشري: ومن المؤسف أن د.هورناداي لا يقدم نظام المحاضرات القصيرة أو المحادثات المتعلقة بمثل هذه المعارض. هذا من شأنه أن يؤكد على الطابع العلمي للخدمة، ويعزز بشكل لا حد له فائدة حديقة الحيوان لجمهورنا بشكل عام، ويساعد رجال الدين لدينا على الإلمام بآرائهم العلمية بحيث تكون غريبة للغاية بالنسبة للكثير منهم (جبريل 1906، 6).

كان عرضه غير قابل للجدل: فقد نُشرت لافتة على العلبة تقول "الأقزام الأفارقة، أوتا بنجا. العمر، 23 عامًا. الطول، 4 أقدام و11 بوصة. الوزن 103 رطلا. جلب من نهر كاساي، ولاية الكونغو الحرة، جنوب أفريقيا الوسطى من قبل د.صموئيل فيرنير. العرض بعد ظهر كل يوم خلال شهر سبتمبر "(نيويورك تايمز، 10 سبتمبر، 1906، ص 1). ويا له من معرض:

قلد إنسان الغاب الرجل. قلد الرجل القرد. معانقين بعضهم، متعلقين في أذرع بعضهم البعض. انتزع دوهو(إنسان الغاب) القبعة المنسوجة من القش من على رأس أوتا ووضعها على رأسه.... هتف الحشد وصفق.... صرخ الأطفال من البهجة. أما

عن البالغين كان هناك جانب أكثر جدية في العرض.

حيث كانت الحدود البشرية متمثلة في هذا القفص. في مكان ما هناك رجل صنف كغير إنسان. ربما إذا نظروا بجدية كافية يمكنهم رؤية لحظة الانتقال.... لجيل زاد الحديث بشأنه وخاصة هذا النجم الغائب عن التطور، و"الحلقة المفقودة"، ومشهد إنسان الغاب وأوتا في بيت القرد كان واضحاً (برادفورد وبلوم 1992، 108). كان هدف المعرض واضحا كذلك لمراسل صحيفة نيويورك تايمز الذي قال: "لم تكن الأقزام أطول من إنسان الغاب، وكانت الفرصة سانحة لدراسة نقاط تشابههم. ورأسيهما متشابهتان إلى حد كبير، وكلاهما لديه ابتسامة بالطريقة ذاتها عندما يشعران بالسعادة "(10 سبتمبر 1906، ص 1). إن استهزائه أمرًا لا يقبل الجدل أيضاً: فقد منحه زوجًا من الأحذية، و"ضحك الحشد مرارًا وتكرارًا بينما كان جالسًا في الإعجاب البسيط بهم" (نيويورك تايمز، 10 سبتمبر، 1906، ص. 1). وفي مقال آخر في صحيفة نيويورك تايمز، كتب أحد المحررين، بعد دراسة أوتا في قفصه، ما يلي:

أوتا بنجا... هو عينة طبيعية من عرقه أو قبيلته، مع تطور في قدراته العقلية مقارنة بباقي أعضاء قبيلته. وسواء أكانوا مقتصرين على أن يكونوا نماذج للتطور، وأقرب إلى القردة الشريرة مقارنة بغيرهم من الهمجيين الأفارقة، أم ما إذا كانوا يُنظر إليهم على أنهم أحفاد متحدرين من الزنوج العاديين، فإنهم يبدون اهتمامًا متساويًا بطلاب علم الأعراق البشرية، ويمكنهم الاستفادة من دراستهم (11 سبتمبر 1906، ص 6).

أكد الصحفي أن أوتا بينجا ربما يُمتع ذاته على قدر الامكان في هذا البلد، ومن السخف أن نشعر بخيبة الأمل على الإذلال والتدهور المتخيلين الذي يعاني منه. الأقزام

هم أشخاص كفؤين إلى حد ما في غاباتهم المحلية.... ولكنهم منخفضين للغاية في النطاق البشري، والاقتراح بأن بينجا يجب أن يكون في مدرسة بدلا من قفص يتجاهل احتمال كبير أن تكون المدرسة مكانا... من خلالها لم يستطع الاستفادة من أي شيء. إن الفكرة القائلة بإن الرجال متشابهين إلى حد كبير، باستثناء أنهم كانوا يفتقرون إلى فرص الحصول على التعليم من الكتب، أصبحت الآن بعيدة كل البعد. مع التدريب المتكيف بعناية مع حدوده العقلية، يمكن بلا شك تعلم هذه الأقزام أشياء كثيرة... ولكن ليس هناك فرصة لتعلم أي شيء في المدرسة العادية (11 سبتمبر 1906، ص 6).

إن العرض كان ناجحا للغاية لم يكن موضع شك. أدعى برادفورد وبليوم أنه في 16 سبتمبر، "تجول 40 ألف زائر في حديقة حيوانات نيويورك... الاندفاع المفاجئ للاهتمام... كان يعود بالكامل إلى أوتا بينجا "(1992، 185).

كانت الحشود كبيرة للغاية بحيث عُين ضابط شرطة لحراسة أوتا بدوام كامل (زعمت حديقة الحيوان أن هذا كان لحمايته) لأنه "كان دائماً في خطر التعرض للأذى من قبل الغوغاء" (برادفورد وبلوم 1992، 187).

على الرغم من أنه في ذلك الوقت كان يعتقد أن السود كانوا أدنى درجة من الناحية التطورية مقارنة بالقوقازيين وكان اعتقادًا شائعًا، حتى من قبل علماء بارزين، وحبس واحدٌ منهم في قفص في حديقة حيوانات أدى لكثير من الدعاية والجدل، خاصة من الوزراء وقادة المجتمع الأمريكيين من أصل أفريقي الذين كانوا في طليعة الاحتجاجات. ضد حبس أوتا (آدمز 2001، 40). كان وضع رجل أسود في قفص هو "نقطة انطلاق قصة أحدثت عاصفة من الاحتجاج بين وزراء الزنوج في المدينة

(بريدجز 1974,224) نُقل سخطهم إلى رئيس البلدية جورج بي. ماكليلان، الذي رفض القيام بأي شيء.

كتب آدامز ما يلي:

إن غضب الأميركيين الأفريقيين البارزين ليس مفاجئاً، لأن زوار حديقة الحيوان وجدوا أوتا بينجا يتشارك قفصاً مع دوهونغ، وهو إنسان الغاب.... في عصر كانت فيه النظرية الداروينية تقدم تبريرات علمية بانتظام للتحامل العنصري، اقترح المعرض وجود تقارب تطوري بين الأفارقة والقِرَدة. علاوة على ذلك، اقترنت تصرفات أوتا بينجا بالوحشية البدائية للرجل العنيف الذي يظهر غريزيًا: كانت العظام متناثرة حول أرضية القفص، وشُجع على إظهار أسنانه الحادة في وجه الحشود أثناء احتجازه، والتي كانت مشحوذة كما هو معتاد للباتوا (آدمز 2001، 32).

عندما ارتفعت عاصفة الاحتجاجات، لم ير هورنادي أي سبب للاعتذار، قائلاً إنه "كان يحظى بدعم كامل من جمعية علم الحيوان فيما كان يقوم به (برفورد وبلومى 1992.182) من الواضح أنه لم يكن الكثير من الأشخاص مهتمين للغاية بفعل أي شيء حتى دخلت جماعة الأفرو أميركان في الغزو. على الرغم من أن بعض السود في ذلك الوقت قبلوا فكرة أن الأقزام كانوا "نوع معيب للجنس البشري"، فقد قرر العديد من وزراء السود وقف المعرض (نيويورك تايمز، 10 سبتمبر 1906، ص 1). وقد أغضبهم فكرة أن المعرض حاول إثبات أن السود بشكل خاص كانوا جنسا متدنيا.

عارض العديد من الوزراء الداروينية، وخلصوا إلى أن "المعرض يهدف بوضوح إلى إثبات الداروينية (نظرية التطور) والتي تعارض بشكل مطلق المسيحية ويجب عدم

السماح بمظاهرة عامة لصالحها (نيويورك تايمز، نُقشت في برادفورد وبلوم 1992، 183).

وجاء مقال في صحيفة تايمز ردًا على الانتقادات التي تقول إن العرض أدى إلى ترسيخ مفهوم الداروينية عن طريق السخرية من الوزراء بالكلمات التالية: "يعترض أحد الأخوين الملونين على المعرض الغريب على أساس أنه محاولة غير مجدية لإضفاء المصداقية على نظريات داروين الرهيبة... يجب إخبار الأخ الشقيق الملون بهذا التطور... تدرس الآن في الكتب المدرسية لكافة المدارس، وأنها ليست قابلة للنقاش أكثر من جدول الضرب "(12 سبتمبر 1906، ص 8). ومع ذلك، علق ناشرونز ويكلى قائلاً إن الوزراء المبدعون هم الوحيدون الذين "اهتموا حقاً" بأوتا (1992، 56).

بعض الصحفيين، انتقدوا أولئك الذين اعترضوا على المعرض لأنهم لم يقبلوا التطور بدلاً من الاستهزاء بحديقة الحيوان، في كلمات برادفورد وبلوم، كان "علماء وخطباء نيويورك" يتجادلون حول أوتا، وأولئك الذين اعتقدوا أن "البشر لم ينحدروا من القرود وأن الداروينية كانت غشًا ضد المسيحيين... كانت عرضة للسخرية على الصفحات الافتتاحية لصحيفة نيويورك تايمز (بيرفور ويلم 1992,191,196).

سرعان ما أصبح بعض البيض قلقين بشأن "الزنجي المحبوس"، وبعبارة السيفاكيس، فإن جزءًا من القلق كان بسبب "خوف الرجل ذو الملابس... أنه يمكن استخدام معرض بينجا لإثبات نظرية التطور الدارويني "(1984، 253). كانت الاعتراضات غامضة في كثير من الأحيان، كما هو الحال في مقال نشرته صحيفة نيويورك تايمز:

كان المعرض عبارة عن إنسان في قفص قرود. لقد وقع الإنسان في صورة بوشمان، وهو أحد السلالة التي لا يقيّمها العلماء في النطاق البشري، ولكن إلى الشخص

العادي غير المتخصص، كان هناك شيء ما غير سار.... ربما يكون من الجيد أن بينجا لا يفكر بعمق. ولو لم يكن كذلك فمن غير المحتمل أنه كان فخورًا للغاية بذاته عندما استيقظ في الصباح ووجد ذاته تحت سقف واحد مع قرود الأورانجوتان والقردة (9 سبتمبر 1906، ص 9).

على الرغم من اختلاف الآراء حول الحادث، لكنه أدى إلى العديد من الاحتجاجات الرسمية والتهديدات بالإجراءات القانونية التي وافق عليها مدير الحديقة في النهاية، و "أخيرًا. خرج القزم من قفصه." (سيفاكس 1984,253). وحالما أُطلق سراحه، أمضى أوتا غالبية وقته في المشي حول حديقة الحيوانات في بدلة بيضاء، وتتبعه حشود ضخمة.

عاد إلى منزل القردة فقط للنوم ليلا، لكن معاملة الزائرين كفضول وسخرية وسخر جعله في نهاية المطاف "يكره أن يطارده السياح الفضوليون والأولاد" (ميلنر 1990، 42). في رسالة إلى فيرنر، كشف هورنادي عن بعض المشكلات العديدة التي تسبب فيها الوضع، مدعيا أنهم لم يعرضوا أوتا بنجا في القفص منذ بداية المشكلة. منذ تملي ما سبق... أوتا بنجا... اشترى سكين نحت من غرفة التغذية للقرد، وذهب في كافة أنحاء الحديقة المزدهرة بطريقة أكثر إثارة للقلق، ولفترة طويلة رفض التخلي عنها. في نهاية المطاف أخذت منه. بعد ذلك بفترة وجيزة ذهب إلى نافورة الصودا بالقرب من بيت الطيور، للحصول على بعض المشروبات الغازية، ولكنه رفض الصودا التي حصل عليها في غضب عظيم.... هذا أدى إلى شجار عظيم. فقد حارب مثل النمر، واستغرق الأمر ثلاثة رجال لإعادته إلى بيت القرد. وقام بضرب عددًا من الزوار، و"أثار الموجودين" بشكل عام" (بريدجيز،1974، 227-228).

وفي وقت لاحق "قام بعمل قوسًا صغيرًا ومجموعة من الأسهم وبدأ في إطلاقها على زوار حديقة الحيوان بسلوك عدواني بغيض!" (ميلنر 1990، 42)، ووصفت صحيفة نيويورك تايمز المشكلة على النحو التالي:

كان هناك 40,000 زائرًا في الحديقة في يوم الأحد. ذهب ما يقرب من كل رجل وامرأة وطفل من هذا الحشد الكبير لرؤية بيت القرد. النجم الشهير في الحديقة رجل البرية الذي أتى من أفريقيا. (18 سبتمبر 1906، ص.9). خلال اليوم قاموا بمطاردته وعلى الصراخ والعواء والبعض منهم طعنوا في الأضلاع وآخرون تعثروا (18 سبتمبر 1906، ص9).

بعد أن قام أوتا "بجرح عدد قليل من المتنزهين، اضطر إلى مغادرة حديقة الحيوان من أجل أن يكون بخير" (ميلنر 1990، 42). ونتيجة الجدال استخلص "هورناداي بقرار أن معرضه أصبح أكثر اضطرابًا مما كان يستحقه وسلمه إلى القس جوردون، الذي ترأس كذلك ميتم هوارد للملونيين في بروكلين" (وارد1992، 14).

على الرغم من أن هورناداي أدعى أنه كان "يقدم عرضًا مثيرًا للاهتمام فقط وأن بينجا كان سعيدًا"، أشار ميلنر (1990، 42) إلى أن "هذا البيان لا يمكن تأكيده" نظرًا لأننا لا نملك أي سجل لمشاعر بنجا، ولكن الكثير من أفعاله تكشف أنه قد عاش بشكل سيئ في حديقة الحيوان. لسوء الحظ، لم تترك أوتا بينجا أية سجلات مكتوبة عن أفكاره حول هذا أو أي شيء آخر، وبالتالي فإن الجانب الوحيد من القصة التي لدينا هو سجلات فيرنر الضخمة، والكتابات التي كتبها هورناداي، والعديد من الصحف، وكتاب من 281 صفحة بعنوان "القزم في حديقة الحيوان" لفيليب فيرنر

برادفورد، حفيد فيرنر. برادفورد، في بحثه، كان من حسن الحظ أن فيرنر أنقذ ذاته من كل العالم. ومن المثير للاهتمام أن فيرنر يرتبط بما يشعر به وهو وجهة نظر الأقزام للتطور:

بعد أن تعرّضت للتقرب إلى الأقزام لإتمام الثقة المتبادلة، كنت أتجرأ على القول بإن بعض الحكماء في بلدي أكدوا أنهم ينحدرون من قرود الغابات. هذا البيان، من خلال إثارة الحالة المزاجية، والاحتجاجات المحتشدة، وإثارة موضوع النقاش الحاد الكثيف حول حرائق باتوا(فيرنر 1902أ، 190).

بعد أن غادر بينجا حديقة الحيوان، وجد منزلاً لبضع سنوات في الماضي. قبل كل شيء، تعلم أوتا قليلا من "دار الأيتام"، وألقى نظرة على شابة معينة هناك، وهي امرأة تدعى "كريولا".

لسوء الحظ، حتى مؤيدي أوتا صدقوا بعض القصص عنه، وحدث "حادث" قريبًا أشعل جدلاً. [أس ا رسولت]، [أوتا] كان قريبا وبعيدا على حدّ سواء من بروكلين و [كريولا]. في يناير 1910، وصل إلى مجتمع السود في لينشبورغ، فيرجينيا. وقد أولى بعض العائلات السوداء صغارها إلى رعاية أوتا. حيث شعروا أن أولادهم كانوا آمنين معه. فقد علمهم أن يصطادوا ويجمعوا عسلًا بريًا.

شعر الأطفال بالأمان عندما كانوا في الغابة معه. إذا كان هناك أي شيء، وجدوه مفرطًا في الحماية، إلا في عيون أحد الشباب.... حيث يمكن للدغة النحل أن تكون كارثية لطفل، ولكنه لا يستطيع أن يساعد نفسه، وكان يعتقد أن لسعات النحل كانت مفرحة (برادفورد وبلوم 1992، 206- 207).

سرعان ما أصبح أوتا مسيحياً وتم تعميده، وتحسنت مفرداته الإنجليزية بسرعة.

تعلم كذلك كيفية القراءة والتحدث في مدرسة لينشبورج. كان شائعًا بين الأولاد وتعلم العديد من الألعاب الرياضية مثل البيسبول. وبُذل كل جهد لمساعدته على الاندماج (وكان طبيعيًا إلى حد ما). عدة أحداث تسببت له في اليأس.

توقف أوتا بعد ذلك عن حضور الفصول الدراسية، أصبح يعمل عاملًا في مزرعة أوبيريبقيمة عشرة دولارات في الشهر بالإضافة إلى الغرفة والمجلس (برادفورد وبلوم 1992، 204). وافتقاره للتعليم هو بسبب موقفه الإفريقي، "ولكن في الواقع وعلى الأرجح" كان عمره ضد تطوره.

كان من المستحيل الحصول على التعليمات... من شأنه أن يكون أي ميزة له "(وارد 1992، 14). كان لديه فضول هائل ومحرك للتعلم ولكن يفضل اختبارات الأداء بدلا من نوع الاختيار من متعدد.

عمل في وقت لاحق كعامل في مصنع التبغ في لينشبورغ، فيرجينيا، ولكنه أصيب بالاكتئاب، والعدائية، والغير عقلانية. عندما تحدثوا إليه، لاحظوا أن الدموع في عينيه عندما أخبرهم أنه يريد العودة إلى المنزل. بعد التحقق من سعر تذاكر البواخر لأفريقيا، خلص إلى أنه لن يكون لديه ما يكفي من المال لشراء واحدة.

ولم يسمع من فيرنر في وقت ما ولا يعرف كيف يتصل به.

في النهاية، أزال أوتا القبعات من أسنانه. عندما عاد إلى الغابة مرة أخرى.

وبمجرد أن خرج عن الأنظار بأمان، أطلق النار على نفسه" (برادفورد وبلوم 1992، 14). وفي النهاية لم يتمكن أبداً من العودة إلى موطنه الأصلي، وانتحر أوتا بنجا بمسدس في 20 مارس 1916 (سانبورن 1916).

حتى النهاية، كان هورناداي غير إنساني، وهو يشوه الوضع بشكل خطير، حتى يفترض بشكل مشوه أن أوتا "يفضل الموت عن العمل من أجل العيش" (برادفورد وبلوم 1992، 220).في تقرير عن انتحاره الذي نشره هورناداي في نشرة زولوجيكال لعام 1916، أظهر مشاعره العنصرية المستوحاة من التطور مرة أخرى بوضوح:

أحضر شخص ما - تخلصوا منه فيما بعد - الزنجي الصغير إلى لينشبورغ منذ حوالي ست سنوات، ووضعه في كلية فيرجينيا اللاهوتية ، حيث عمل لسنوات عديدة للتعبير للمتخصصين له بأنه لا يمتلك قوة التعلم. وقبل سنتين أو ثلاث سنوات، ترك المدرسة وذهب للعمل كموظف (1916، 1356).

في كلمات هورناداي، انتحر أوتا لأن "العبء أصبح ثقيلًا إلى حد أن الشاب الزنجي حصل على مسدس مملوك إلى المرأة التي كان يعيش معها، وذهب إلى البقرة مستقرًا وهناك أرسل رصاصة الي قلبه، منهية حياته".

كتب حفيد فيرنر، الداروينى نفسه، "سكان الغابات في إفريقيا ما زالوا يثيرون اهتمام العلم. يسعى علماء الأحياء إلى اختبار دمائهم وإحضار عينات من حمضهم النووي.

يُرسمون بأشكال جديدة من الأسئلة ذاتها التي كانت في يوم من الأيام تزعج فيرنر ومسجي؛ ما الدور الذي يؤديه الأقزام في تطور الإنسان؟ ما هي العلاقة التي تربطهم بالنوع البشري الأصلي. (برادفورد وبلوم 1992، 230-231).

وأضاف: "إن أتباع نظرية التطور اليوم لا تشملهم، مثلهم في ذلك مثل علماء الأنثروبومترية، التعليقات المهينة والعلاجات القاسية في دراستهم" (برادفورد وبلوم 1992-231). وهم الآن يعترفون صراحة بأن "انتصار الداروينية" كانت "بعد وقت

قصير من إنشائها [المسُتَخدَم] لتعزيز كل تقسيم ممكن حسب العرق والجنس والجنسية" (برادفورد وبلوم xx). كان جزءًا من المشكلة كذلك "الصحافة، مثل الجمهور، كانت مفتونة، أو مدمنة لمشاهد الرجل البدائي"(برادفورد وبلوم 1992، 7). المأساة، كما عبر عنها بوهلر في القصيدة، هي:

من أرض وطنه الظلام، إلى بلد حر، في مصلحة العلم... جلبت قليلا اوتا بنجا... نادرا ما أكثر من قرد أو قرد، ومع ذلك رجل في حين!... علمنا الحرية التي لدينا هنا في هذه الأرض من التقدم الأبرز – في هذا العصر النضج والحكمة – وضعنا له، في شرف كبير، في قفص القرد! منتصف الصحبة التي نقدمها له، القرود، الغوريلا، الشمبانزي (1906، 8).

الملخص

جاء أوتا بينجا "القزم" إلى أميركا من قبل عالم الأنثروبولوجيا صاموئيل فيرنر ووجد في النهاية طريقه أو أكثر دقة أجبر على دخول حديقة الحيوانات، وتحديدًا في منزل قرد في حديقة حيوانات بونكس نيويورك.

كان الأشخاص الذين زاروا حديقة الحيوان يعرفون الغرض من المعرض واعترض البعض على ذلك على أساس أنه محاولة متعمدة لإثبات التطور.

ومع ذلك، فإن العنصرية الصارخة لا تتضح في أي مكان آخر مثل تصريحات الداروينية المعاصرة، التي أوضح العديد منها بوضوح أنهم يعتقدون أن "الجنس الزنجي" أقل تطوراً من القوقازيين، وأقل استحقاقاً كبشر.

إن وجود الأقزام، كما شعر نشطاء التطور، جعل كذبة في تعليم التكوين أن كافة

الرجال إخوة، جميعهم من نسل آدم وحواء. ما هو الدليل الإضافي الذي احتاجوا إليه أكثر من رابط حي، تنفس، وتطور، من الواضح أنه ليس مساوياً للرجال البيض، بل كان أكثر من مجرد قرد

يوضح هذا الحساب نتائج الداروينية وتأثيرها في المجتمع الأمريكي، وخاصة العلوم الأمريكية. كما أنها قدمت تقديرا لأوتا ومهارته المذهلة في البقاء على قيد الحياة في هذا العالم، وكيف أنه من دونه وغيره من الأقزام، فإن العديد من البيض، بما فيهم فيرنر نفسه، من المحتمل أن يكونوا قد ماتوا في الأدغال الإفريقية. مرة واحدة في أميركا، استوعب أوتا مهارات المعيشة الغربية لمساعدته على البقاء في عالم معادٍ له.

على الرغم من أن البيض كانوا مغرمين بجمال الأقزام، لكن البيغمي كان مثار اهتمامهم بالبيض – وكثير منهم كان يمكنهم تقليد سلوكهم، مثل طي أو كشف الخرائط، أو شتم الناموس، أو كتابة الملاحظات في دفاترهم. ومن المثير للاهتمام أن وجهة نظر أوتا عن التطور كانت مثل نظرية بيغميس إفريقيا، التي كانت "جزئية للغاية حول كيفية تطبيق نظرية التطور. عندما يتعلق الأمر بالرجال البيض المنحدرين من القردة، يقولون إنهم يعرفون ذلك طوال الوقت" (برادفورد وبلوم 1992، 157). كما يجعل الحساب أوتا شخصًا حقيقيًا لديه أفكار ومشاعر وعواطف إنسانية كاملة. تظهر هذه الخلفية المفارقة في كل من عرضه في حديقة الحيوان وكلمات معاصريه حول التطور.

لسوء الحظ لا يزال مفهوم "العرق البدائي" إلى حد كبير قائمًا، ويظهر استعراض حياة أوتا أنه رغم اختلافه ثقافيًا، كان شخصًا ذكيًا للغاية في عالمه الخاص، وهو كان في عالم كان البيض فيه أغبياء ومتلعثمون.

انتهت القصة بعد فترة طويلة من إطلاق أوتا من حديقة الحيوان عندما قام بالانتحار بشكل مأساوي في مارس عام 1916 باستخدام مسدس حيث كان يعيش آنذاك في لينشبورغ بولاية فرجينيا. أُكتشفت جثته يوم الاثنين، 20 مارس 1916. وهكذا انتهت عزلة أوتا القسرية من عائلته وشعبه، اغتيل غالبيتهم من قبل السباق "التطوري المتفوق" المصمم على استغلال أراضيهم وممتلكاتهم. من المفارقات هي أن موقع قبره غير معروف على الرغم من أن السجلات الرسمية تشير إلى أنه دفن في مقبرة الميثودية، وقد فشلت كافة الجهود المبذولة لتحديد موقعه حتى الآن (ديلاني 2007). قصة أوتا تحكي الكثير عن عنصرية الداروينية في ذلك الوقت.

ملاحظة: حُدثت التهجئة في بعض الاقتباسات.

المراجع

راشيل آدامز، 2001. جانبي الولايات المتحدة الأمريكية: النزوات والخيال الثقافي الأمريكي. شيكاغو، مطبعة جامعة شيكاغو.

أتش بيركس أ، جيمس.1992." أوتا بنغا: الأقزام في حديقة الحيوان." جريدة المكتبة، أغسطس، 117 (13): 134.

فيليبس فيرنر برادفورد، وهارفي بلوم. 1992. أوتا بنغا: الأقزام في حديقة الحيوان. نيويورك: سانت مارتينز.

ويليامز بريدجز، 1974. جمع الحيوانات: تاريخ غير تقليدي لجمعية حيوانات نيويورك. نيويورك: هاربر وروو.

أم. أي بوهلر،1906. "أوتا بنغا." نيويورك تايمز، سبتمبر، 19، صفحة 8.

جاي بورز، 1905. أرض الأقزام. نيويورك: توماس واي. كراول وشركاه.

تي. جي. كرووكشانك، 1924. المغول في وسطنا. نيويورك: أي. أف. دوتون.

تيد ديلاني، 2007. الحياة بعد الموت: سر دفن أوتا بنغا. ورقة قدمت في مؤتمر اوتا بينغا الذي عقد في كلية ينشبورغ.

أم. أس.جابريل، 1906. "أوتا بنغا تقضي وقت لطيف: زائر في حديقة الحيوان لا يجد أي سبب للاحتجاجات حول الأقزام". نيويورك تايمز، سبتمبر13، صفحة 6.

أتيليوجاتي، 1937. غابة الأم الكبرى. نيويورك: أبناء تشارلز سكريبنر.

جين - بييرهاليت، 1973. قزم كيتابو. نيويورك: راندوم هاوس.

ويليام. تي هورنادای، 1906. "القزم أفريقية." نشرة مجتمع الحيوان، أكتوبر 23:

.302-301

---------. 1916 "انتحار أوتا بنغا، القزم الأفريقية." نشرة مجتمع الحيوان، مايو، 19 (3): 1356.

---------. 1922 عقول وآداب الحيوانات البرية. نيويورك: أبناء تشارلز سكريبنر.

كارولين فورنسجاين، 1962. سلسلة الأشكال وكيفية عملها. نيويورك: دوفر، أعيد طبعه من النسخة الأصلية التي نشرها أبناء تشارلز سكريبنر.

اتش اتش جونستون، 1902. "أقزام غابة الكونغو الكبرى". تقرير سميثسون. صفحة 479-91.

---------. 1902. "أقزام غابة الكونغو الكبرى". الأدب الحالي. 32: 294-5.

أرثر. أتش. جي. كياني، 1907. "الفضول الأنثروبولوجي. أقزام العالم. "الملحق العلمي الأمريكي، أغسطس 17، 64 (1650): 99.

أيه. بي. ليلود، 1899. "من خلال أرض الأقزام وبلد آكلي لحوم البشر البلد." أثنيوم.2: 894- 5.

ريتشاردميلنر، 1990. موسوعة التطور: بحث الأنسان عن أصوله. نيويورك: حقائق على الملف. مدمج.

مون وشركاه (المحررين). 1904. "معرض الحكومة الفلبينية"، مجلة ساينتفيك أميركان، يوليو23، صفحة 64-67.

---------. 1905. "أقزام الكونغو". مجلة ساينتفيك أميركان، أغسطس

5، 93: 107: 108.

أوتا بنغا: الأقزام في حديقة الحيوان." 1992.مراجعة في الناشرون الأسبوعية. يوليو 27، 239 (23) :56.

روس ريمر، 1992. "الداروينية والبارنومية والعنصرية". مراجعة "أوتا بنغا: الأقزام في حديقة الحيوان". مراجعة كتاب نيويورك تايمز، سبتمبر 6، صفحة 3.

إلوين آرسانبورن، (المحرر). 1916. "انتحار أوتا بنغا، الأقزام الأفريقية." نشرة مجتمع الحيوان، مايو، 19 (3): 1456.

كارل سيفاكس، 1984. "بنغا، أوتا: رجل الحيوان،" في غريبي الأطوار الأمريكية، نيويورك: حقائق على الملف، صفحة 252-253.

كولين تورنبول، 1968. شعب الغابة. نيويورك: سايمون وشوستر.

صامويل بيفيرنر، 1901. "تنمية أفريقيا." المنتدى 32: 366-382.

----------. 1902. "تجربة تعليمية مع أكلة لحوم البشر". عمل العالم 4: 2289-2295.

----------.1902. "الأقزام الأفارقة." الأطلنطي 90: 184-95.

----------. 1904. "شؤون دولة الكونغو". المنتدى 36: 150-9.

----------. 1904. "جلب الأقزام لأميركا". المستقلة 57: 485 - 9.

----------. 1904. "كيف جلبت أقزام باتوا إلى معرض سانت لويس." هربرز الأسبوعية 48: 1618-20.

----------.1904. "الريادة في وسط أفريقيا." مراجعة. الدولة 78: 357-

8. اتش. أيه. كوبلنز. يتصل 36: 363-4. مستقل57: 739.

--------.1904. "مغامرات مستكشف في أفريقيا؛ كيف جلبت الأقزام إلى معرض سانت لويس." هربرز الأسبوعية. أكتوبر 22، صفحة 1618-1620.

--------.1905. "الأقزام الأفارقة." مجلة ساينتفيك أميركان. مكمل 59: 24، 567-24، 568.

--------. 1906. "الأقزام الأفارقة." العلوم المشهورة 69: 471-3.

--------. 1906. "منطقة الرجل الأبيض في إفريقيا". عمل العالم 13: 8227-36.

--------. 1907. "أفريقيا خمسون عاما ومن هنا". عمل العالم 13: 8727-37.

--------. 1907. "الغزو الأمريكي للكونغو." هربرز الأسبوعية 51: 644.

--------.1907. "الحكم البلجيكي على الكونغو." عمل العالم 13: 8568-75.

--------. 1908. "رحلة عبر أفريقيا." عمل العالم 10768:16-73.

--------. 1908." العرق الأبيض في المناطق الاستوائية." عمل العالم 16: 10715-20.

--------.1916. "قصة أوتا بنغا، الأقزام". نشرة علم الحيوان، يوليو19 (4): 1377-1379.

جيوفري سي وارد، 1992. "اوتا بنغا: الأقزام في حديقة الحيوان." التراث الأمريكي، أكتوبر، 43: 12-14.

ريتشارد ويكارت، 2004. من داروين إلى هتلر: الأخلاقيات التطورية، علم تحسين النسل، والعنصرية في ألمانيا. نيويورك: بالجريف ماكميلان.

مقالات صحفية عن أوتا بنغا في سانت لويس:

"جلب الأقزام الأفارقة لمعرض العالم؛ أقزام مذهلة من وادي الكونغو لتكون في سانت لويس. بعض الحمر، وبعض السود. أنهم يسبقون الزنجي في أفريقيا الاستوائية. الأبطال الخائفون الذين يهاجمون الأفيال بجرأة مع رقصات وأقواس وسهام صغيرة ". منشور من سانت لويس ، يونيو 26، 1904.

"فصل لا يوصف لمغامراتي أثناء صيد الأقزام في إفريقيا [بواسطة] صمويل فيرنر". منشور من سانت لويس ، سبتمبر 4، 1904.

"البرابرة يجتمعون في ألعاب رياضية. الأقزام في قتال الطين، ورمي بعضها البعض حتى وُضع جانب واحد على الطريق. كرو هندي مايل مايل ران؛ النيجوترس لقطوا حدث تسلق القطب والباتاغوني فازوا السوريين في شد الحبل. منشور من سانت لويس ، أغسطس 6، 1904.

"أكلة لحوم البشر سيغنون ويرقصون ". منشور من سانت لويس ، أغسطس 6، 1904.

"انطلاقا من الأكواخ عبرالعواصف الممطرة؛ "الأقزام و"أينوس" يبحثان عن مأوى لليلة في المدرسة الهندية فهي تشبه سفينة نوح. المتوحشون يصرون على أخذ الحيوانات الأليفة من منازل الغابة للهروب من رعب البرق". جمهورية سانت لويس، أغسطس 20، 1904.

"الأقزام الغاضبون يهاجمون الزوار: أتش. أس. جيبونزدورانجو كولو. صورهم. لكن لم يعط أية خطوات. هو كان يتابع ويضرب؛ كان من الممكن أن يكون المال سلاحًا فعّالًا، لكنه لن يستخدمه.منشور من سانت لويس ، يوليو 19، 1904.

" المبعوث المعرض لضحايا الأقزام؟ لم يسمع المسؤولون الرسميون لمدة شهرين عن

المستكشف المرسل إلى إلي أفريكان وايلدز. قبيلة تستخدم السهام القاتلة. تعهد خطير لقسم الأنثروبولوجيا وافقت عليه الحكومة البلجيكية الاستعمارية ". منشور من سانت لويس ، الاثنين، إبريل 18، 1904.

"تكلف الهدايا إلى الزوج الملكي 2,50 دولار. الرئيس فرانسيس يجعله سعيدًا بقلوب الأقزام العظماء في العالم مقابل 8,35 دولارًا. برميل ملح للملك. والأفكار الأخرى ذات القيمة المماثلة تُعطى للأفارقة الصغار قبل المغادرة." منشور من سانت لويس ، ديسمبر 4، 1904.

"طلب الأقزام حمية القرد. السادة من جنوب أفريقيا في المعرض من المرجح أن يثبتوا أنهم منزعجون في مسألة الغذاء." منشور من سانت لويس ، يوليو 2، 1904.

الأقزام يرجفون أكثر من معسكر النار. "أعطنا البطانيات"، هو تحية إلى المبشر الذي جعلهم يخرجون من أفريقيا. قل إنها باردة في سانت لويس. تجاهل الدعاوى ورقة النخيل لمدفئة الملابس - يعلن الأمريكان معاملتهم كما لو كانوا القرود ". جمهورية سانت لويس، السبت، أغسطس 6، 1904.

"يبدأ رقص القزم بالهلع في معرض بلازا. رؤية الأفارقة الموحدين يتقدمون نحوهم، يرمون رماحهم، صراخ المرأة والحشد يتبعها في الإرهاب ". منشور من سانت لويس ، يوليو 1904.

"10000 شخص غريب عن المعرض؛ سيكون معرض بايك في العالم قريباً أكثر بقعة عالمية على وجه الأرض. حمولات السفن كلها في طريقها. ستتمثل أركان الأرض من قبل السكان الأصليين في روعتها المميزة." منشور من سانت لويس ، الجمعة، إبريل 1، 1904.

"لعرض رجل في معرض سانت لويس؛ د. مكجي جمع أنواع وغرباء من كل أرض. ويشرح خطط قسم علم الإنسان، الذي هو الأساس." نيويورك تايمز، نوفمبر 16، 1904.

"محاولة أو التعامل مع المتوحشين. سيبدأ العلماء في دراسة خاصة حول المعرض العالمي للقبائل في 1 سبتمبر." جمهورية سانت لويس، أغسطس 14، 1904.

"فيرنر يهرب من أكله من قبل أكلة لحوم البشر.رجل ذهب في البحث عن شركة الأقزام الأفريقية للكابلات."جمهورية سانت لويس، الخميس، مايو 5، 1904.

"معرض العالم قسم الأنثروبولوجيا: أجزاء من المدن القديمة سيقومونبتمثيلها والكشف عن التاريخ غير المكتوب. وترتيب كنوز العصور القديمة حتى تظهر إنجازات الرجل الحاصل في الماضي على التقدم المعاصر." جمهورية سانت لويس، الأحد، مارس 6، 1904.

مقالات صحفية عن أوتا بنغا في نيويورك:

"مصير الأقزام الأفريقي لا يزال غير محدد؛ مدير هورناداي بارك برونكس يرفع يديه. اللجوء لا يأخذه. بنغا في الوقت ذاته يضحك ويلعب مع الكرة وعضو الفم في نفس الوقت ". نيويورك تايمز، سبتمبر 18، 1906، صفحة 9.

"قزم بين الرئيسيات؛ أحد "البانتامز" من العرق الأفريقي في حديقة الحيوان - تحويلاته - ثلاثة وعشرون، وتزوج مرتين - للعودة إلى أفريقيا لاحقًا." [نيويورك] البريد المسائي، سبتمبر 10، 1906.

"كلمة لبنغا؛ السيد فيرنر يسأل نيويورك ألا يفسد صديقه، بوشمان. "نيويورك المنبر اليومي، أكتوبر 3، 1906.

"بنغا." نيويورك تايمز، سبتمبر 23، 1906: الافتتاحية، صفحة 8.

"بوشمان يشترك في قفص مع حديقة برونكس للقرود. بعض الضحك على نظرائه الغريبة، ولكن الكثيرين غير مسرورين؛ الحارس يحرره في أوقات. ثم، مع القوس والسهم، يأخذه الأقزام من الكونغو إلى الغابة ". نيويورك تايمز، سبتمبر 9، 1906، صفحة 9.

"بنغا تحاول أن تقتل. الأقزام تخفض في حارس الذين اعترضوا على أنه لديه غارب ". نيويورك المنبر اليومي، سبتمبر 26، 1906.

" يحصل منزل اليتيم الملون على الأقزام. لديه غرفة لذاته وقد يدخن إذا كان يحب. قد يتعلم إذا أمكن. عندما يعود إلى الكونغو يمكن أن يساعده ذلك لتطوير شعبه." نيويورك تايمز، سبتمبر 29، 1906، صفحة 7.

"الهروب من الجريدرون؛ رجل الأقزام الناجي من أكلة لحوم البشر يزور نيويورك." نيويورك المنبر اليومي، سبتمبر 16، 1906.

"الأمل لأوتا بنغا. إذا كان صغيرا، فهو ليس أحمق. ولديه سبب جيد للإقامة في أرض الرجل الأبيض. لن يدخل هنا؛ لكن رئيسه في أفريقيا قد يموت قريباً والعرف هو أن يكون له مأدبة أكل لحوم البشر ". نيويورك تايمز، سبتمبر 30، 1906، صفحة 9.

"صف أكثر حيوية للأقزام." نيويورك تايمز، سبتمبر 10، 1906.

" عرض الرجل والقرد رفض من قبل رجال الدين، القس ماكارثر يعتقد أن المعرض مهين. وزراء ملونون للتمثيل. القزم لديه قرد شبيه بالإنسان كرفيق الآن، وأعمالهم الغريبة تفرح حشود برونكس ". نيويورك تايمز، سبتمبر 10، 1906، صفحة 1.

" ام. سيلان يعض الوزراء الملونين.يرفض بقسوة استقبال الاحتجاج على تعرض الإنسان في قفص القرد." أميركان نيويورك، سبتمبر 12، 1906.

"احتجاج رجال الدين الزنجي؛ مستاء في عرض بوشمان في بيت القرد ". نيويورك المنبر اليومي، سبتمبر 11، 1906. صفحة 6.

"قانون الوزراء السود لتحرير الأقزام. سيطلب من العمدة أن يأخذوها من قفص القرد. اللجنة تزور حديقة الحيوان؛ المعارض العامة للأقزام ستقف، ولكنها ستستأنف، يقول السيد هورناداي ". نيويورك تايمز، سبتمبر 11، 1906، صفحة 2.

"لا يوجد مساعدات ل أم. سيلين. العمدة "مشغول للغاية" لرؤية لجنة الرجال الملونين. جاءوا للزيارة للاحتجاج على المعرض العام للقزم الزنجي في بيت القرد في حديقة الحيوان. ------- وقال الوفد من قبل تابعة لتقديم شكوى إلى جمعية علم الحيوان في نيويورك ".[نيويورك] البريد المسائي، سبتمبر 11، 1906.

"أوتا بنغا في ميدان سباق الخيل؛ القزم يلتقي بصديقه القديم، الفيل الصغير، يقدم برامج ". نيويورك المنبر اليومي، أكتوبر 3، 1906.

" أوتا بنغا الجديدة هي في الحقيقة سيد ملون. القزم الصغير الأفريقي، تم تعليمه طرق الحضارة في ملجأ هاورد الملون للأيتام." نيويورك الكرة الأرضية اليوم، أكتوبر 16، 1906.

"أوتا بنغا، القزم تعبت من أميركا؛ الصغير الأفريقي الغريب انتهت حياته أخيرا في ينشبورغ، فرجينيا. مرة واحدة في حديقة حيوان برونكس. رعايته الأمريكية وجدته داهية وشجاعة – أراد أن يكون متعلما." نيويورك تايمز، يوليو 16، 1916، صفحة 12.

"أوتا بنغا تقول إن الحضارة هي كل السحر. في معرض في حديقة حيوان نيويورك، في برونكس، هو يحكم بيت القرد عن طريق الرهبة. يريد الذهاب إلى المنزل لشراء له زوجة. الأقزام الإفريقيون يؤكدون أن نيويورك ليست رائعة وأننا جميعًا مجانين ". نيويورك

العالم، سبتمبر 16، 1906.

" أن تبقى الأقزام هنا؛ يريد الوزراء الملونين أخذه عندما يأتي الحارس ". نيويورك تايمز، سبتمبر 19، 1906، صفحة 1.

"لا يزال يثار حول بنغا." نيويورك تايمز، سبتمبر 23، 1906، صفحة 9.

"القزم الأسود في قفص القرد. معرض في "التذوق السيئ"، "الهجوم على الرجال النزيهين"، و "لا يستحقون حكومة مدينة نيويورك". جريدة نيويورك، سبتمبر 17، 1906.

"إن العمدة لن يساعد على تحرير الأقزام المحبوسة؛ وهو يشير إلى الوزراء الزنوج في جمعية علم الحيوان. الحشد يزعج القزم. في حالة عدم الحصول على أي إجراء من مصادر أخرى، ستطلب اللجنة من المحاكم التدخل." نيويورك تايمز، سبتمبر 12، 1906، صفحة 9.

"موضوعات الوقت. أرسله إلى الغابة ". نيويورك تايمز، سبتمبر 11، 1906، صفحة 6.

"موضوعات الوقت. الأقزام ليست هي النقطة ". نيويورك تايمز، سبتمبر 12، 1906، صفحة 8.

"حديقة الحيوان لديها كثير من الأقزام؛ هل يريد أي شخص هذا اليتيم في الخارج؟ هو لا يعض، هو لا يصوّت، أخلاقه، على الرغم من أنّه متنوع، فهو معتدل – البروفيسور فيرنر، المسافر الإفريقي، لماذا لا تأتي وتحصل عليه؟" شمس نيويورك، سبتمبر 17، 1906.

الفصل الحادي عشر

الداروينية واستغلال البشر المشوهين

مقدمة

منذ أوائل القرن التاسع عشر وحتى اليوم، زار مئات الملايين من الأشخاص في كافة أنحاء العالم المتنزهات والسيرك (ليندفورز 1983؛ ميلنير 2002). حتى ظهور الرسوم المتحركة، كان السيرك الشكل الرائد للترفيه التجاري لأكثر من قرن (براندا وسبينس 1952). وكان من أبرز العروض الرئيسة في السيرك لعقود من الزمن، العروض التي يُقدَّم فيها الإنسان المشوه الذي أُعلن عنه على نطاق واسع على أنه "روابط داروين المفقودة" أو "القرد – الرجل" أو من "الرجال – القردة" أو "النساء – القردة".

عادةً ما تقام عروض السيرك هذه بشكل مخادع لتُظهر بشكل مقنع روابط الإنسان – القرد على النحو المطلوب وفقًا لنظرية داروين. وكانت العروض تاريخيًا واحدة من أكثر الأدلة إقناعاً بالداروينية بالنسبة لعامة الأشخاص. هذه "العروض، التي غالباً ما تقدم الأفراد كوسطاء همج بين البشر والحيوانات، واعتمد ذلك على اهتمام جديد بالجوانب البيولوجية للطبيعة البشرية بشكل عام والداروينية على وجه الخصوص" (زيميرمان 2001، 4).

من المعروف الآن أن كل هذه الحالات "الروابط المفقودة" المزعومة كانت لبشر طبيعيين مصابين بتشوهات جينية مختلفة أو أمراض التي تُحدد بدقة في غالبية الحالات من قبل الباحثين الطبيين (طومسون 1996). مثال على ذلك "شليتزي، الرابط

المفقود"، وقد كان مصابًا بصغر الرأس، كما كان بالعديد من الروابط المفقودة (هارتزمان 2005، 2010). كانت فكرة "الرابط المفقود" موجودة قبل داروين، ولكنها ظهرت في جوهرها مع نشر داروين حول أصل الأنواع في عام 1859. في حين أن العديد من الأفكار والموضوعات التي تناولها داروين لم تكن جديدة، فإن أصل الأنواع كان بوضوح منشورًا رئيسا والذي أحدث تغير جذري في طبيعة النقاش حول مسألة الأصول (برون وماسنجر 2003، 155).

يغطي هذا الفصل بعض الأمثلة الأكثر شهرة.

قصة زيب

قُدم هذا المثال، وهو أحد أوائل العديد من "الروابط المفقودة"، في أوائل ستينيات القرن التاسع عشر بعد أشهر فقط من ظهور "أصل الأنواع لداروين" (كونهاردت وآخرون، 1995، 149). علاوة على ذلك، "كان بارنوم يعرف أن العالم مستعد للاعتقاد بإمكانية وجود" رابط مفقود "، وهو جسر حي يتنفس بين الرجل والقرد، ومن المرجح أن يدفع الكثير من المال لرؤيته بأعينهم" (هوبيرجر 2005، 122). فيما قام كونهاردت وآخرين بالدعوة لأحد عروض بارنوم البشرية العظيمة على مر التاريخ، وصُور بارنوم "الرجل – القرد" على الملصقات الإعلانية بأنه "لا شيء أقل من" الرابط المفقود "(1995، 149).

خُلد هذا "المخلوق المتوحش" الذي يدعى" زيب" من قبل كورير وإيفس. وادعوا أن تكوين زيب كان لإنسان الغاب بوجه انسان. وقد زعم السيرك أن تكوينه الذي يشبه القردة يتضمن" الرأس والجمجمة المثالية لإنسان الغاب، بينما الجزء السفلي من الوجه هو من أصل أفريقي" (كوك 1996، 148). ولدعم شكل القردة، ادعي كذلك أن أذنيه كانت بعيدة للغاية عن كونها أذن إنسان، وكانت أسنانه" مزدوجة تقريبا بالكامل"، ونتيجة لذلك، كان لا يستطيع غلق فمه بالكامل (ساكسون 1989، 99). أدعى السيرك أنه فُحص "من قبل بعض الرجال الأكثر علمًا لدينا"، وقد أعلنوا أن "هناك رابط يصل بين الحياة البرية الأفريقية وخلق المتوحشين" (ساكسون 1989، 99، التركيز في الأصل).

هذه "الحقيقة العظيمة بالنسبة لداروين" لم تكن فقط جزءًا ولكن طُلب منها كذلك أن تؤدي دورًا – حيث يُمنح طاقم طويل ليحمله على قول أنه لا يقف عادة على قدمين، بل سار مثل القرد (ساكسون 1989، 99). كان يلبس مئزر فقط، وعُلم

"لغة الأدغال" – أغلبهما همهات شنيعة – لمساعدته على تمثيل شخصية الرجل – القرد. وعندما أعطي له السيجار، كان ينخر ويبتسم، ثم يأكل السيجار (والاس 1959، 117). ممثل جيد، أقنع الملايين على التصديق أنه، في الواقع، الرجل القرد. وصفت الدعاية "أنه" اندماج بين زنجي أفريقي وإنسان الغاب، مما يدل على مدى قرب البشر والقردة من الناحية البيولوجية (آدمز 2001، 36).

في الحقيقة، كان قزمًا أمريكيًا من أصول إفريقية يدعى ويليام هنري جونسون (حوالي 1842– 1926)، والذي عانى من اضطراب دماغي يُعرف الآن باسم "صغر الرأس". ثم سمي مرض "رأس الدبوس" أو "الرأس المخروط"، المصابين بصغر الرأس لديهم مخ صغير بشكل غير طبيعي، ومصابين بتخلف عقلي، ولديهم العديد من المظاهر السطحية التي تشبه القردة. زعم أصدقاء جونسون أنه كان "شخص أبله جيد يتمتع بالعرض" (دورانت ودورانت 1957، 114).

وفقًا لكونهارت، وآخرون، جُند جونسون في مؤامرة لخداع العامة للاعتقاد بأنه كان حلقة داروين المفقودة (1995، 149). خلال تجربة سكوبس عام 1925، عرض "زيب، الرابط المفقود" ذاته كدليل لإثبات التطور (هارتزمان 2005، 50). وصف بأنه "الرجل القرد الذي قاموا بالاستيلاء عليه أثناء تأرجحه بين الأشجار في غابة أفريقية"، وكان "على عكس الرجال القردة الآخرين" لأنه "لم يكن قاسياً أو متوحشاً لدرجة أنه كان يجب تقييده أو تكبيل يديه أو احتجازه خلف القضبان"(ليندفورز 1999، 9).

لعب بشكل مقنع هذه المهزلة لأكثر من نصف قرن – من ستينيات القرن التاسع عشر حتى وفاته في عام 1926 (براندا وسبينس 1952، 242). قبل وفاته بقليل بسب

الالتهاب الرئوي في سن ال 81، وهو الآن رجل ثري للغاية، ورد أنه قال لأخته: "حسنًا، لقد خدعناهم لفترة طويلة" (براندا وسبينس 1952، 242). وقد استنتج البعض أن تعليق زيب "ربما كان يشير فقط إلى كونه" الحلقة المفقودة" (هومبيرجر 2005، 124). خلص برادنا وسبينس إلى أن زيب كان "أعظم شخص غريب" على مر العصور (1952؛ 242، 318).

جوليا باسترانا: حلقة داروين المفقود

جوليا باسترانا، التي عانت من الأمراض الوراثية العديدة، وقد اعتبرت حلقة الوصل المفقودة.

ربما كانت من أكثر الروابط إقناعاً – والأكثر شهرة – روابط داروين المفقودة هي جوليا باسترانا (1834–1860). كان لديها فك مفرط النمو يشبه القردة، ولحية طويلة وشارب، وكان وجهها وجسمها بالكامل (باستثناء راحة يديها وباطن قدميها) مغطاة بشعر كثيف أسود، مجعد (أنونيموس 1855). وكان لديها كذلك أنف عريض ومسطح وشفاه سميكة وأذن كبيرة، وبطرق أخرى كانت تشبه القرد بشكل ملحوظ (ميلز 1974).

هذه السمات، بالإضافة إلى رقبتها السميكة القصيرة، وطولها الذي يبلغ ارتفاعه أربعة أقدام وست بوصات، لم تساعد إلا في دعم اعتبارها "المرأة القرد"، وهي "شبه إنسان"... بين الإنسان وإنسان الغاب" وحلقة داروين المفقودة (أوديل 1931، 413؛ لورانس 1857).

في الواقع، عانت جوليا من العديد من الأمراض الوراثية، بما في ذلك شكل من أشكال الشعرانية (تشوه ينتج مستوى هائلاً من نمو الشعر غير الطبيعي)يسمى بشكل صحيح فرط تكشف الجينات الوراثي أو فرط الشعرانية،كما أنها كانت تعاني من فرط تنسج اللثة، الذي ينتج عنه الفك الجاحظ الذي يشبه القرد(بونديسون وميلز 1993؛ أنافي وآخرين 1989؛ هورنينج وآخرين 1985).

كانت باسترانا واحدة فقط من أكثر من 50 شخصًا موثقًا ممن يعانون من الشعرانية، كثيرًا منهم كانوا "مغطون تمامًا بشعر طويل وكانوا قد أخذوا كعينات لحلقة داروين المفقودة" (دريمر 1973، 126). كثير منهم عملوا في السيرك ك "رجال – قردة أو ذئاب بشرية ضارية" (ماوج 1997، 335).

يمكن أن يكون سبب حالة الشعرانية العديد من العوامل، بما في ذلك تشوهات الغدد الصماء. يمكن لقشرة الغدة الكظرية التالفة أو غير الطبيعية أن تنتج كميات زائدة من الأندروجينات (هرمونات الذكورة)، مما يؤدي إلى فقدان المرأة لسماتها الأنثوية، وتوقف الدورة الشهرية، وظهور العديد من السمات الذكورية، خاصة اللحية والصوت الغليظ. في الجنين الطبيعي الأنثى، يختفي الكيسوم (المنطقة الواقعة بين النخاع والقشرة للغدة الكظرية) تمامًا. عندما يستمر الكيسوم أو يتضخم بسبب الورم، يمكن أن تؤدي إلى وفرة شعر الوجه والجسم في الإناث. سبب آخر للشعرانية هو مرض وراثي نادر

يسمى فرط التشعر الشامل (سوسكيند وإستيرلي 1971).

إذا تطور الورم في الغدد الكظرية في شخص بالغ، يمكن أن تحدث حالة الشعرانية ذاتها. تُعرف عادةً باسم الشعرانية الكظرية، ويقومون بتصحيحها عادة عن طريق استئصال الورم. ويمكن كذلك أن يحدث شكل خفيف من هذه الحالة بواسطة انقطاع الطمث. قد تكون جوليا كذلك لديها مبايض قاصرة وربما ورم أو تشوهات أخرى تسببت في أن يقوم المبيضين بإنتاج هرمونات ذكورية كثيرة. ويدعم هذا الاستنتاج من الأدلة على أن والديها كانا كلاهما طبيعيين (كوكاين 1933، 249). لم يكن معروفا علاج لكافة هذه الحالات عندما كانت جوليا صغيرة.

أكثر ما أيد على كونها المرأة القرد كان وجهها: "لم يكن بها شيء أكثر شبهاً بالقرد من رأسها" (دريمير 1991، 73). فكها بارز للأمام كالغوريلا، شفتيها كبيرة إلى حد كبير. أعطاها الأنف المسطح والحواف الحادة مظهر مشابه بقوة لإنسان نياندرتال (أدمز 1990، 59- 60). تضمنت أسنان جوليا المعيبة ما بدا مثل ترتيب الأسنان الغير منتظمة، ويرجع ذلك على الأرجح إلى فرط تكون اللثة الشديد (تجاوز النمو في اللثة).

حتى أن بعضهم زعم أنه كان لديها مجموعة إضافية كاملة من الأسنان الطبيعية. والاستنتاج الخطأ بأن لديها مجموعة مزدوجة من الأسنان نتج عن حقيقة أن أنيابها السنخية السميكة يمكن الخلط بينها وبين الأسنان (بوندسون 1997، 242). تشارلز داروين، الذي "أبدى اهتمامًا بها بالتأكيد"، وفقًا لبوندسون (1997، 223)، أدام هذا التضليل.

وخلص داروين إلى أن جوليا كانت لها لحية ذكورية سميكة وجبهه ممتلئة بالشعر؛ قاموا بتصويرها، وظهر جلدها السميك للعرض؛ ولكن ما يهمنا هو أنه كان لديها في

كل من الفك العلوي والسفلي مجموعة مزدوجة غير منتظمة من الأسنان، صف موضوع بداخل الآخر، والذي ألقى د.بورلاند عليه الضوء. ونتيجة للأسنان الكثيرة، برز فمها، وظهر وجهها على شكل غوريلا (1896، 321).

لم يذكر داروين إذا ما كان يعتقد أنها كانت حلقة مفقودة، ولكن لا يبدو أنه يشعر بالقلق من كونها "محشوة" كالحيوان وعرضت للجمهور على أنها أحدهم بعد وفاتها. لاحظ جيلسيث وتوفيرود:

ربما كان تشارلز داروين على صواب حول شخصية جوليا، لكن من الناحية العلمية كان مخطئًا لأنه إن كان أحدهم قد أزعج ذاته وسألها، لكانت قد ردت على الفور بأنها بالتأكيد لم يكن لديها أية صفوف إضافية من الأسنان في فمها (على الرغم من أنها كانت تعاني من مشكلات في اللثة). (2003، 39).

يمكن أن يكون سبب تشوهات الأسنان له علاقة بالشعرانية أو يمكن أن يكون سببه داء الاسقربوط بسبب نظام غذائي يفتقر إلى فيتامين جـ عندما كانت صغيرة (فوجيل 1977؛ ميلز 1974). أسنانها، وأنيابها السنخية البارزة والفم ولثتها الكثيفة (فرط تنسج اللثة)، كل ذلك ساعد على دفع شفتيها إلى الخارج، مما أعطى لها "مظهر يُشبه القردة" كثيرًا (جولد وبيلي 1896، 299؛ دريمير 1991، 80). كانت جوليا باسترانا ترتدي عادةً الملابس التي تكشف عن ساقيها وذراعيها وكتفيها حتى يتمكن الناس من رؤية شعرها الكثيف الذي يدعم الانطباع الوسيط بين القردة والبشر (دريمير 1991، 75).

وصفت منشورات الدعاية في ذلك الوقت جوليا بأنها "شبه إنسانية" و"هجين من الإنسان والقردة" (أدمز 1990، 59). في بعض الأحيان، وصفت باسترانا على أنها

"تقاطع بين الإنسان والقرد"، مما أعطى انطباعًا مضللًا بالقدرذاته بأن القردة والبشر كانوا قريبين للغاية لدرجة أنهم يمكن أن يتزاوجوا. عززت هذه الفكرة الاعتقاد بأن البشر تطوروا من القرود. حتى وصفها ريود بأنها نوع من القردة التي "انقرضت قبل عشرة آلاف سنة قبل آدم" (نُقلت من بوندسون 1997، 223).

كانت جوليا ناجحة للغاية لدرجة أنها لم تكن بحاجة إلى جولة في السيرك، ولكن يمكنها العمل ب ذاتها. عندما كانت في المسرح، عبر الجمهور عن "صيحات صوتية عالية. امرأة واحدة صرخت. أغمي عليها في مقعدها (دريمير 1991، 73). ولأنه لم يكن كافيًا بالنسبة لها سوى عرض الجمهور الذي يرى جسدها الذي يشبه القرود، فقد وضعت عرضًا للمواهب. بعض الدول، مثل ألمانيا، كل ما هو محظور باستثناء "الغريب" يدل على أن هؤلاء الأشخاص متدهورين.

للتغلب على هذه المشكلة، رقصت وغنت وغيرت جمهورها. بعد أن رقصت، "كان التصفيق عاصفاً ومتواترًا. قد تكون امرأة قبيحة، يبدو أن هذا هو قول الجمهور، لكنها تستطيع الرقص(دريمير 1991، 74)! غنت كذلك، في كثير من الأحيان باللغة الإسبانية أو الإنجليزية، وقيل لها إن صوتها عذب وغامر، مؤكدة صفاتها الإنسان القرد.

كان نجاح باسترانا كبيراً للغاية لدرجة أنه "اليوم، بعد مرور أكثر من مائة عام على وفاتها، ما زال الأشخاص يعرفون اسمها" (دريمير 1991، 75). أنتجت المخرجة الإيطالية الشهيرة كارلو بونتي في عام 1994 مسرحية عن حياتها بعنوان "المرأة القرد" (بونتي 1996).المسرحية، التي صدرت أصلاً باللغة الإيطالية باسم "المرأة القرد"، يكتشف رجل فتاة خجولة وحساسة، يغطي جسمها شعر كثيف، ويدرك أنها يمكن أن

تجعله غنياً عن طريق عرض الإثارة. وأكدت مسرحية أخرى كتبها شون برندرغاست، تستند إلى حياة جوليا، على استغلالها المأساوي (ماذر 1999).

وهناك فيلم آخر عن حياتها الذي تبلغ ميزانيته 40 مليون دولار، من إخراج تايلور هاكفورد، وبطولة ريتشارد جير كمدير لها. كتبت في الأقل رسالة دكتوراة واحدة وكتاب واحد عنها (فوتش 1918؛ جيلسيث وتوفيرود 2003). حتى أن الشعر قد كتب عن جوليا – وهي قصيدة واحدة بعنوان

''ابتهالات جوليا باسترانا''، (شابكوت 1998، 325– 329).

حياتها المبكرة

حياة باسترانا المبكرة مغمورة بالغموض. أدعى أحد مديريها ذات مرة اكتشافها كطفل رضيع مهجور في منطقة نائية في أميركا الوسطى (ميلز 1974؛ دريمير 1973، 201). على الأرجح، ولدت في قبيلة من سييرا مادري الهنود في ولاية سينالوا على الساحل الغربي للمكسيك (بوندسون 1997، 218؛ دريمير 1991، 76). وزعمت المنشورات التي تعلن عن عرضها أن أقاربها "عاشوا في الكهوف، في حالة عري" وأن "سماتهم تشبه إلى حد كبير تلك الموجودة في"...إنسان الغاب [كذا]... [على الرغم من] أن لديهم الفكر ويستطيعون التحدث... كانوا دائمًا ينظرون إليه من قبل المسافرين كنوع من الارتباط بين الرجل والإبداع الغاشم (نقلا عن دريمير 1991، 76).

كان هذا التفسير ملفقًا لدعم الوهم بأن جوليا كانت الحلقة المفقودة لداروين. وفي الواقع كان لديها وظيفة حيث كانت تعمل في منزل الحاكم حيث تعلمت كيف تقرأ الإسبانية وتتحدث بذكاء. كان لديها هذا المنصب حتى قبل فترة وجيزة من مغادرتها

إلى أميركا في أبريل من عام 1854 (بوندسون وميلز 1993). قاموا "باكتشافها" عندما كان عمرها 20عام فقط من قبل رجل يدعى ريتز الذي أقنعها بالقدوم إلى الولايات المتحدة لتُعرض.

أقنع ريتز جوليا بمغادرة المكسيك بوعدها بحياة أفضل. وصلت إلى نيو أورليانز في أكتوبر من عام 1854، ثم توجهت مباشرة إلى نيويورك. تشير بعض الروايات التاريخية إلى أنها تعلمت في النهاية القراءة باللغة الإنجليزية وانغمست في الروايات الرومانسية – عالم الأحلام الذي سمح لها بأن تحلم أنها : إنسانة شابة جميلة ومعشوقة مثل البطلات التي قرأت عنهم (دريمير 1991، 83؛ ماذر 1999). أجرت العديد من المقابلات مع كبار الصحافيين وكان يصفها عادةً بأنها جيدة وطيّبة ولطيفة ومتربية، واجتماعية، و"ذكية وسريعة"، امرأة تتحكم في ذاتها – كل الأدلة التي تناقضت بشكل صارخ لادعاءات وضعها البشري القرد (بوندسون 1997، 225؛ ميلز 1974؛ لورانس 1857، 48). وسرعان ما تم عرضها في لندن في ريجنت وبيرلينغتون وفي معارض أخرى (لورانس 1857، 48؛ فان هار 1888، 46؛ ألتيك 1978).

الزعم الذي أدلى به بعض المعاصرين أنها كانت "زنجية" يعني أنها لم تكن امرأة قرد ولكنه الاحتيال. من الواضح أن هذا الإدعاء لم يكن جيداً بالنسبة للأعمال، ففحصها مديرها من قبل طبيب يدعى ألكسندر ب. موت، الذي خلص إلى أنها كانت هجينة من القردة البشرية حيث كانت طبيعة المرأة هي الغالبة على غاشمة الأورانجوتان" over the orangutan brute" (بوندسون 1997، 219؛ دريمير 1991، 79).

ولزيادة تعزيز الإدعاءات المروجة، فُحصت جوليا من قبل الطبيب كليفلاند د.س.

برينرد. قارن الطبيب شعر جوليا مع شعر أفريقي تحت المجهر وخلص من هذا "الاختبار" إن جوليا احتوت على " أثر للدم الزنجي" (بوندسون 1997، 219؛ دريمير 1991، 80). كما خلص إلى أنها جزء من "أنواع متميزة". ويمكن تفسير هذه الاستنتاجات الفاحشة بحقيقة أن الأطباء في القرن التاسع عشر كانوا في الغالب لم يتدربوا بشكل جيد، خاصة فيما يتعلق بالقضايا الجينية.

كان الآخرون أقل ميلاً لقبول التفسير التطوري. طلب من د. نيلاند، وهو مقارن تشريح، أن يحكم مكان جوليا في المملكة الحيوانية. وفقا لرأيه "إنها كانت إنسانة تماما" ولم تكن زنجية (بوندسون 1997، 220). استنتج عالم الطبيعة البريطاني فرانسيس ت. باكلاند أنها كانت "ببساطة شنيعة"، لكن فقط امرأة هندية مكسيكية مشوهة (بوكلاند 1865، 44- 51). من الواضح، أن الإدعاءات التي دعمت أنها المرأة القرد القبيحة كانت تستخدم للدعاية، وكانت مزاعم المرأة القبيحة هي السارية - قامت بجولة في كل من الولايات المتحدة وأوروبا لما يقرب من نصف عقد حتى ماتت بعد ولادة طفلها الأول في سن 26. عندما علم مديرها الأخير، ثيودور لينت، أن نجمته ستتركه لمدير آخر (كما حدث في الماضي)، أقنعها بأنه أحبها، وسرعان ما تزوجت (بوندسون 1997، 226). وفي نهاية المطاف أصبحت حاملاً وولدت فتى. قيل إنه عندما رأت جوليا ابنها، كانت مستاءة للغاية لأن الطفل كان لديه العديد من صفاتها القبيحة ثم ماتت في 25 مارس 1860، بعد أيام قليلة فقط من ولادته (ميلز 1974؛ فيدلر 1978، 145). يذكر الحساب الرسمي أنها توفيت في موسكو نتيجة لمضاعفات بعد الولادة. كانت كلماتها الأخيرة تقول، "أنا أموت وأنا سعيدة"؛ أعلم أنني قد أحببت نفسي" (ميلز،

1974، 10). ذُكر سبب الوفاة على أنه التهاب الصفاق، وهو عبارة عن عدوى في الغشاء البريتوني، وهو الغشاء الذي يشكل بطانة التجويف البطني، والتي قد تكون ناتجة عن ظروف المستشفى غير الصحية الشائعة في ذلك الوقت (بوندسون 1997، 229).

وقد بُددت أية شكوك حول دوافع زواجها الحقيقية عندما سمح بتحنيط لجسدها وابنهما من قبل البروفيسور سوكالوف في موسكو. ثم عرضهم السيد لنت لأي شخص على استعداد ان يدفع ثمن مقبول، الذي لم يكن زهيدًا. وأُجري التحنيط في معهد موسكو التشريحي، حيث حقق الأستاذ نتائج ممتازة. لاحظ براون وماسينجر أنه عندما ماتت أصبح من السهل الآن على رجال الطب فحص ومناقشة أجزاء جسمها، والتحدث بحرية عن أصلها المحتمل وتحديد موقعها في المخطط التطوري للطبيعة. من امرأة تحمل صفات المرأة الغوريلا، امتدت الحركة الداروينية (2003، 159).

سرعان ما عثر السيد لنت على "امرأة قرد" أخرى تسمى "زينورا"، وفي غضون بضع سنوات أصبح رجلًا ثريًا من عروض النساء القردة. في عام 1884 ذهب كالمجنون إلى روسيا كلاجئ سياسي، وتوفي بعد ذلك بوقت قصير. بعد وفاته، واستمر معرض جوليا وابنها في أوروبا لعقود من الزمن. أعيد جثثهم لفترة وجيزة إلى أميركا، ثم عادوا إلى المحيط الأطلسي ووضعوا في معهد الطب الشرعي في النرويج (بوندسون 1997، 241؛ أدمز 1990، 60). أراد بعض الأشخاص في هذا الوقت دفن جثامين جوليا وابنها في موطن جوليا في المكسيك، بينما أراد آخرون حفظها حتى يمكن دراستها بواسطة العلوم.

في وقت متأخر من السبعينيات، عُرضت جوليا على أنها "امرأة قرد" وخُزن جسدها في جامعة أوسلو، النرويج (براون وماسنجر 2003، 155).ثم عاد جسدها

أخيراً إلى سينالوا، دي لايفا، وهي مدينة في المكسيك، في عام 2013. وقاموا بعمل طقوساً كاثوليكية ودفنها في مقبرة محلية. ويشعر البعض أن تفاعلها هنا يرقى إلى دفن هذا الجزء المأساوي من التاريخ، بالمعنى الحرفي والمجازي، بحيث تُنسى جريمة التطور هذه. ففي المقابل، يريد اليهود أن يتأكدوا من أن العالم يعرف ما حدث أثناء المحرقة وأن يبقي الذاكرة حية بأية طريقة ممكنة.

حلقات مفقودة أخرى

حتى قبل أن يقوم داروين بنشر عمله الكلاسيكي، كان السيرك في عيد بارنوم يظهر على الرجال القتلة المزعومين على أساس الاعتقاد، الذي نوقش من قبل العلماء آنذاك، أن الحياة قد لا تكون ثابتة، ولكنها تخضع لعملية تغيير تدريجي. لقد ترك الأمر لوالاس وداروين لصياغة نظرية الانتقاء الطبيعي، ولكن حتى قبل نشر أصل الأنواع المثيرة للجدل في عام 1859، تراكمت الأدلة الكافية لإقناع العديد من العلماء أن التطور قد حدث، على الرغم من أن آليته كانت وقتها مدركة بشكل ضئيل (ساكسون 1989، 97).

كان هناك معرض آخر لـ "رجل قرد مشوه ولكن موهوب" يدعى هيرفي ليتش، الذي حاول بارنوم تمريره كـ "الرجل البري من البراري" (ساكسون 1989، 98). كتب بارنوم ما يلي في الإعلانات التي أعلن عن عرضه في القاعة المصرية بلندن عام 1846:

هل هو حيوان؟ هل هو بشري؟... أم أنها هي السائدة منذ زمن طويل بالنسبة للارتباط بين الإنسان وأورانغ أو اوتانغ، وهو ما توصل إليه علماء الطبيعة لسنوات، لكنه لم يكتشف بعد؟... ملامحهم، واليدين، والجزء العلوي من جسمهم هي تشبه الإنسان، الجزء السفلي من الجسم، والساقين الخلفيين، هي بالتأكيد تشبه الحيوانات.

مغطى بالكامل، باستثناء الوجه واليدين، مع شعر طويل يتدفق من مختلف الظلال. إنه أكبر من رجل عادي الحجم، لكنه ليس طويل القامة.... طعامه هو المكسرات والفاكهة، على الرغم من أنه في بعض الأحيان ينغمس في وجبة من اللحم النيئ. إنه يشرب الحليب والماء والشاي، وجزء من النبيذ والبيرة (ساكسون 1989، 98).

في وقت لاحق ثبت أن "الرجل الوحشي للبراري" هو عملية احتيال، وحاول بارنوم حتى إنكار تورطه في التمثيلية. كما عُرضت القرود بشكل شائع كدليل على التطور، ويمكن للعروض أن تفلت منه عادة ولكن كانت قليلة.

كما عرضت حديقة حيوان لندن إنسانًا شقيًا يدعى جيني في منتصف ثلاثينيات القرن التاسع عشر، والذي استحوذ سلوكه الشبيه بالإنسان على خيال الجمهور، كما قدم العديد من المظاهر الهامة في الدفاتر التطورية الأولى لتشارلز داروين (براون وماسنجر 2003، 158- 159).

ساهم إعلان أمريكي من أصل إفريقي كحلقة مفقودة في العنصرية في القرنين الأخيرين (أدمز 2001، 164). كان بعض العارضين أكثر صدقاً وتجنبوا مطالبة "الحلقة المفقودة"، لكنهم زعموا أن النزوات كانت ارتدادات تطورية تسمى الأتافات:

واجه علماء الأنثروبولوجيا الداروينية بشكل مباشر للغاية في البرامج الغريبة، والتي غالباً ما حدثت في الأماكن ذاتها مثل النظارات الإثنوغرافية. وقد استخدمت هذه البرامج الداروينية لفرض أنواع مختلفة من البشر المشوهين كأفراد، أي الأفراد الذين أُعتقل تطورهم بطريقة أو بأخرى، ومن ثم قاموا بتبادل الخصائص مع أسلافهم من الحيوانات (زيميرمان 2001، 73).

ومن بين الروابط الأخرى التي يطلق عليها "المفقودون" ليونيل، وهو الرجل ذو الوجه الأسود الذي ولد في بولندا عام 1890 لوالدين طبيعيين.والذي عمل لسنوات في سيرك بيلي وبارنوم. وهناك "حلقة مفقودة" أخرى اسمها غريس غيلبرت (وصفت بأنها "الطفلة الصوفيّة") وأخرى تدعى "أنثى عيسو" (ولدت في ميشيغان في عام 1880) وقد جالت لسنوات. ومثال آخر على ذلك هو "جو جو"، الصبي ذو وجه الكلب الذي ولد في روسيا، كما كان فيدور جيفتيخو. وُصف في الإعلانات بأنه "متوحش" لا يمكن أن يكون متحضرًا.

وفي الواقع، كان متحضراً للغاية وتحدث الروسية والألمانية والإنجليزية. كما أن أحد أفضل الأمثلة على رابط داروينى المفقود هي بيرسيلا بيجانو، "الفتاة القردة"، وهي كذلك ضحية للشعرانية. عرضت من سن ال 3 سنوات في العروض، وتوفيت في نومها في 5 فبراير 2001، في سن 89 (هوفينز 2001). غالبًا ما ظهرت على خشبة المسرح مع شمبانزي مدَرَّب للتأكيد على حالتها المفقودة. "الفتاة القردة" بريسيلا والتي كانت تشبه كثيراً جوليا باسترانا، وزُعم أنها "فُتشت من قبل العديد من الأخصائيين، وهم جميعًا يدعون أنها كانت تحتوي على سمات" القرد (ليفينسون 1982، 59). ومثال آخر، هذه المسماة "فتاة الغوريلا" و "آلهة الإرهاب"، قام أوهايو بجولة في عام 1974 في مومي، تحت شعار للسؤال: "هل كان داروين على حق؟ هل تطور الإنسان من القرد؟" (ليفينسون 1982، 23).

كراو: الرابط المفقود المثالي

عُرضت آخر [من وصفت بأنها] :"حلقة داروين المفقودة"، وهي فتاة تدعى كراو

فاريني (1876–1926)، لأول مرة في أوروبا في أوائل ثمانينيات القرن التاسع عشر عندما كان عمرها ست أو سبع سنوات فقط، وبعد ذلك بقليل عُرضت في الولايات المتحدة (هارتزمان 2005، 54). من الواضح أنها من أصل هندي صيني، وهي منطقة معروفة الآن باسم لاوس، كانت الفتاة مغطاة بشعر أسود كثيف، وتفتقر إلى غضروف الأنف، ولديها أكياس خد التي يمكنها أن تقدمها إلى الأمام بدرجة الشمبانزي ذاتها، وجعلها كل ذلك أن تبدو مثل القرد (سنيجروفيكس 1999).

أولا، كانت تسمى "طفل القرد"، ثم، عندما نمت، "الفتاة القردة"، وأخيرا، أصبحت "امرأة القرد" (روزفيلز 1996، 126– 163). وصف وجه كراو بأنه "نوع مثير للانتصاب"، ومع قوّاتها الخارقة للقدمين والشفتين، [التي] أعطتها لقب "حلقة داروين المفقودة" (جولد وبيل 1896، 231). من أجل إقناع الجمهور بوضعها البشري القرد، قدموها "بطريقة احتيالية على أنها تحتوي على أكياس في فمها، وأصابع قدميها وغضروف في أنفها، وميزات سيمينية أخرى" (بوجدان 1988، 115).

عندما كانت فتاة صغيرة، صُورت في محيط غابة في أوضاع عززت عن قصد الإدراك العام لها كأنها هجين قرد إنساني (دورانت ودورانت 1957، 105). حتى أنها ادعت أنها كانت جزءًا من سباق كامل من "شعب القرد"، لكن حارسها الذي يدعي "ملك" لاوس أعطى كراو إذنًا لمغادرة البلاد (روزفيلز 1996، 163). في الواقع كانت "سيامي نموذجية" تعاني من "حالة مرضية" (روزفيلز 1996، 163).

عمل الخدعة: "الفتاة المشعرة من تايلاند" كانت "نجمة الإخوة رينغلينغ لسنوات" (دريمير 1973، 219). وُصف المعرض، الذي عُرضت فيه لأول مرة من قبل رجل

أعمال معروف في لندن يدعى فاريني، على النحو التالي:

لقد كان ذروة الجدل حول نظرية تشارلز داروين أن الإنسان كان ينحدر من مخلوقات تشبه القرد (لم يقل داروين أبداً أن الرجل ينحدر من القردة ذاتها) وكان أتباعه يأملون باستمرار في تحويل مخلوق وسيط بين الإنسان والقرود. بالنسبة للبعض يبدو أن كراو هو ما كانوا يبحثون عنه (دريمير 1991، 162- 163).

وكانت الحقيقة هي:

أصل الأنواع الداروينية، على الرغم من نشره قبل خمسة عشر عامًا من تقديم كراو إلى أوروبا وأميركا، كان لا يزال في ذهن الناس. كان الاندفاع نحو الاعتقاد في التطور يزداد قوة، وكان العلماء والعامة على حد سواء مفتونون وخدعوا على نطاق واسع بواسطة العينة الصغيرة في رغبتهم الأولية لإثبات علاقة [القرود والبشر] (هومبيرجير 2005، 116).

كما أدعى فاريني أن كراو تنتمي إلى قبيلة من "شعب القردة" الاستثنائي الذي عاش "عالياً في الأشجار"، وكانت تعيش على اللحوم النيئة والأرز. وقال فاريني إنه تلقى شخصياً إذنًا من العائلة المالكة البورمية لنقل الفتاة إلى إنجلترا وتبنيها لابنته. وتخطى ذلك بدعوى أنها كانت مثالًا لحلقة داروين المفقودة (جيلسيث وتوفيرد 2003، 95- 96).

وخلص هارتسمان إلى أن "كراو تم تسويقها كحلقة "داروين المفقودة"، وقد استفاد المروجون من النقاش، وقدموا كراو كدليل على أفكار داروين، وهي أرضية وسطية بين الإنسان والقرود.... أخذ بعض العلماء هذه المطالبة "في عداد المفقودين" على محمل الجد وركزوا في الواقع على أوراق كراو "(2005، 54).

عرضت في بعض المؤسسات الأكاديمية الرائدة في يومها باعتبارها "حلقة مفقودة"

داروينية (روزفيلز 1996، 163). لاحظ همبرجر أن د.إيه إتش كين قد قاد أنصار المجموعة الذين اعتقدوا أن كراو هي في الواقع، الحلقة المفقودة التي كانوا يبحثون عنها. تقترح نظريته أن هناك في أدغال لاوس سلالة من الأشخاص الأشعريين وكان هؤلاء الأشخاص الجسر بين الإنسان والحيوان. أن كراو كانت كل ما يحتاج إلى معرفته. أكد فحصه لها، دون أدنى شك، بإثبات بالضبط ما كانوا يبحثون عنه [لإثبات التطور القردي البشري] (همبرجر 2005، 116).

ولدعم طلبات السيرك والعلماء، قام السيد كوليتز - جارلو، العضو المناظر في المعهد الإثنوغرافي، بإجراء دراسة "علمية" على كراو عندما كان عمرها ست سنوات تقريباً. وقد وصفها بأنها تشبه القرد بشكل خاص، بعد أن كان شعرها ناعما أسودا سميكا يغطي رأسها وعنقها. ثم "أشار بالتفصيل إلى مدى تشابه هيكل وجهها مع الغوريلا (دريمير 1973، 163؛ وانظر كذلك إلى دريمير 1991، 74).

تحول الباحثون بقوة لرؤية "شعب القردة" الرائع (جيلسيث وتوفيرد 2003، 96). أحد الأمثلة يوضح أن الشرطة كانت أكثر ذكاء تجاه نظرية القرد لدى بعض العلماء. كان هذا الوضع "الشبيه بالقرود" واستنتاج "المفقودين" هو "على نطاق واسع"، ولكن من المعروف الآن أنه كان "وجهة نظر خاطئة" أن هاتشينسون أدعى أن "الصحف ساعدت ذلك على الانتشار" (1902، 2).

في عام 1884، عُرضت كراو في أكواريوم برلين. هنا، اعتقد بعض مروجي العروض عديمي الضمير أنها ستكون فكرة رائعة لوضعها في قفص مع القردة "الأخرى" - لم تفكر الشرطة الألمانية بذلك وربما كانوا على حق. أن أي شخص يمكن أن يفكر في

وضع طفلة صغيرة في قفص الغوريلا كان أقل من الغباء، على الرغم من أنه عمل من الإيمان الخالص. يقال، احتدم جدل كبير بشأن كراو وما إذا كانت إنسانية بالكامل أم لا. وهكذا، يمكن أن نشير إلى أن المروجين يعتقدون حقاً أنها كانت واحدة مع الغوريلا وأن الغوريلا ستراه على هذا النحو كذلك (همبرجر 2005، 116).

لم يتوافق كافة العلماء مع فكرة الرابط المفقود، وقاد غير المؤمنين د.فوفيل. كان، مثل كين، حريصًا للغاية على قبول كراو على أنها حلقة مفقودة، لكنه امتلك شكًا إذ كان أكثر علمًا بالعلوم حول كل شيء. على الرغم من أنه استطاع أن يرى أن كراو لديها خصائص جسدية كانت شديدة السمية، لكن فهمها للغة وردود الفعل الحادة والذكاء السريع جعلته على يقين من أن كراو كانت إنسانةً صغيرة، مصاباً بحالة من الترهل الشديد، ولا شيء أكثر من ذلك. لم تكن نصف قرد بعد كل شيء. لكن على الرغم من الإثبات، رفض كين قبول أي تفسير آخر غير التوضيح الذي ألقاه بخصوصها (همبرجر 2005، 116).

وخلص الخبير إلى أنه على الرغم من الذكاء العادي، وطلاقة اللسان في عدة لغات والقراءة الجيدة والتصرف على نحو مبهج، إذا كانت كراو منزعجة، فإن "طبيعتها البرية في وقت واحد تأتي إلى الصدارة. فترمي ذاتها على الأرض، وتتلو وتصرخ وتركل، وتعبر عن غضبها بسحب شعرها بطريقة خاصة للغاية (مقتبس مندريمير 1973، 163). كتب هارتسمان: "في الحقيقة كان سكان الشجرة المفترضين يقرأون جيداً ومتعددين اللغات وربما أكثر ذكاءً من العديد من المتتبعين الذين دفعوا من أجل مقابلتها" (2005، 54).

من المحتمل أن تكون ذات "خصائص قبيحة"، ومن المفترض أن تكون حالة كراو ناتجة عن الشعرانية، ومن المحتمل أنها عانت من التشوهات ذاتها أو تشوهات مشابهة مثل جوليا باسترانا. ربما كما هو الحال مع جوليا، كان لديها نقص فيتامين (ج) عندما كانت طفلة، والتي قد تكون أنتجت بعض ميزات تشبه القرد مثل شفاهها البارزة. استمرت كراو في العروض حتى أصبحت نجمة من الإخوة رينغلينغ، في سيرك بارنوم وبيلي حتى توفيت في 16 أبريل 1926، عن عمر يناهز ال 49عاما.

الدوافع لاستغلال الأشخاص المشوهين

في كثير من الأحيان لم يكن الدافع وراء السيرك والعارضين في المقام الأول لإثبات التطور للجمهور. ففي الواقع غالبية الحالات لم تعلم معارضهم إذا كانوا مرضي أو مشوهين. وكان الدافع الرئيسي بلا شك في كثير من الأحيان هو الحصول على المال. ومع ذلك، كانت النتيجة النهائية هي المساعدة في إقناع عامة الأشخاص بصحة الداروينية وكان أحد العوامل الأخرى المؤثرة في التسبب في التحويل السريع لقطاعات كبيرة من السكان إلى التطور الداروينى.

وقد خدع بعض علماء الأنثروبولوجيا المدربين وعلماء الأحياء. حتى خلص ميلنر، في دراسة أجريت في هذه الفترة، إلى أن "أنصار التطور الأوائل قد فكروا... كانت جوليا باسترانا بمثابة "ارتداد" لمرحلة شبيهة بالبشرية "(1990، 354). على الرغم من أن غالبية علماء الأنثروبولوجيا ومؤلفو الكتب لم يستخدموا هذه الأمثلة كدليل على الداروينية، فإن داروين وهاكل ووالاس ناقشوا هذه الأمثلة كدليل على التطور الكبير.

أحد "النصوص الأنثروبولوجية القياسية"، "الأجناس الحية للبشرية" (هوتشينسون

1902، 5)، تحتوي على صورة لجوليا باسترانا التي أُستخدمت في بعض المنشورات العنصرية الأمريكية التي ادعت أنها كانت هجينة "بين شخص أسود وقرد" (بوندسون 1997، 243). بل إن داروين وصف مظهر جوليا باسترانا بأنه "مثل الغوريلا" وكدليل على المدى الكبير للاختلاف الجيني الموجود لدى البشر والذي يسمح للاختيار الطبيعي بالاختيار (1896، 321). نحن نعلم الآن أن هذا التفرد لم يكن بسبب الاختلاف الجيني الطبيعي بل كان نتيجة أمراض نادرة.

وصف هيجل الانسة باسترانا كإنسان شبيه بالقرود الذي تطور من القرود طويلة الأنف (1905، 372). وزعم المؤلف أودري توبينغ أن الصينيين "ظنوا لسنوات أن هؤلاء الأشخاص كانوا عودة إلى نموذج أولي من الأجداد مثل الرجل القرد" (1981، 113). ونادرا ما يكشف التطوريون عن هذه الحالات بشكل علني على أنها مزورة، وبالتالي، تصبح كدعم غير صحيح للداروينية، على الرغم من أن بعض الأطباء قاموا بفحص هذه "الروابط المفقودة" وتحققوا من أنهم مجرد بشر مُصابين.

قام بعض العلماء بفحص الإدعاءات الفردية، وخلصت إحدى الدراسات التي أجراها عالم الأنثروبولوجيا الإنجليزي البروفيسور كين إلى أن كراو كانت بوضوح جنس الإنسان الأول (سنيروفيكس 1999؛ وانظر كذلك إلى هاريسون 1883). ولاحظ راتفلز أن المجتمع العلمي و "المتعلمين"، ككل، يميلون إلى العبوس على مطالبات العارضين بـ "المتوحشين" و "الرجال القردة" بأن النزوات كانت في الواقع الروابط المفقودة ذات النظرة الكبيرة.... على الرغم من الشكوك، لكن الاهتمام العلمي في "الروابط المفقودة" نادرًا ما خفت حدته (1996، 162).

من خلال صمتهم، سمحوا بعدم الأمانة والخداع الصريح على مدى عقود. حتى أن بعض العلماء أعاروا هيبتهم وسلطتهم إلى الاحتيال [حتى أصبحوا] "في عداد المفقودين". طلب المشاهدون من العلماء أن يوثقوا المصدر والمصداقية، وظهر تعليق العلماء في الصحف ومنشورات الدعاية. عُرضت بعض المعروضات على الجمعيات العلمية للمناقشة والمضاربة. لعب المشاهدون على الانتماء العلمي.

استخدموا كلمة "متحف" في عنوان العديد من العروض الغريبة وأشاروا إلى محاضرين عرض غريبين كـ "بروفسور" أو "طبيب". ربط المعارض الشريرة بالعلم جعل مناطق الجذب أكثر إثارة للاهتمام، وأكثر قابلية للتصديق، وأقل تفاهة لمشاعر المعارضة العادية للتسلية. (طومسون 1996، 29).

تأثير عروض السيرك للقرد البشري على الأشخاص العاديين

كانت إحدى الأساطير الهامة التي نتجت عن الداروينية أنه يجب أن توجد، في مكان ما في الحاضر أو الماضي، أن هناك مخلوقات كانت وسيطة بين البشر والإنثربويدات. وتتعلق هذه الفكرة بنقل التفويض - أي أن أطفالنا أو أطفال أطفالنا قد يعودون إلى المخلوقات التي دون مستوى الإنسان التي كانت في وقت واحد في الماضي (فيدلر 1978، 241). كل من هذه الأفكار قاموا باستغلالها من قبل السيرك.

كم من ملايين الأشخاص شاهدوا هذه المعروضات "البشر القردة" المختلفة، ونتيجة لذلك، أصبحوا مقتنعين بأن الداروينية كانت صحيحة... وتكشف المقابلات أن تلك المعارض "تركت انطباعًا دائمًا" لدى بعض الأشخاص، مما أثر على الكثيرين لقبول التطور (بوندسون 1997، 217). كان هذا صحيحًا على الرغم من أن غالبية

هذه التشوهات البشر القردة كانت ناتجة عن عيوب طبية معروفة (غالباً ما تكون وراثية) وكانت معروفة جيداً حتى في القرن التاسع عشر (جولد وبيل 1896).

لم تكن هذه المعارض تجرد من الإنسانية بشكل صارخ فحسب، لكن العارضين في كافة الحالات تقريباً صدقوا على "النزوات" أمام العامة، إما كدليل على نظرية داروين للتطور، أو في بعض الأحيان، على الطرقات. على حد تعبير أوديل، "كان العالم يستعد تدريجيا لداروين ويفحصه من ناحية بارنوم" (1931، 413). بالنسبة للجماهير غير المدربة التي شاهدتها، كانت هذه المعروضات من القردة البشرية بلا شك مثيرة للإعجاب ومقبولة للغاية. خلاف ذلك، كما ذكرنا سابقا، لماذا يتدفق الملايين لرؤيتهم بسعر لم يكن رخيصا في يومه؟

تأثير عروض السيرك للقرد البشري علي العنصرية

كانت السيدات الملتصقات والأشخاص الذين يشبهون القرد معروفين قبل فترة طويلة من نشر داروين لهذه الأنواع، كما قاموا باستخدامها كدليل على التطور الكلي قبل داروين. تمتد أفكار التطور البيولوجي إلى الوراء في التاريخ. حتى أن فولتير أدعى أن "الرجل الأبيض إلى الأسود مثل الأسود إلى القرد" (نقلًا عن فيدلر 1978، 240). وزعم آخرون أن "الزنوج كانوا نتيجة للتزاوج المتبادل بين البشر والسيميين". وكانت الأفكار العنصرية موجودة قبل داروين، لكن الأمور تغيرت بشكل كبير بعد نشر كتاباته. كتب فيلدر أن "الأساطير العنصرية لم تؤدِ دورا حاسما في تصور غير الأوروبيين من قبل الأوروبيين حتى انتصار نظرية التطور العضوي في داروين" أصل الأنواع والتي نشرت في 1859. ثم "امتدادها بالقياس إلى أوائل الأنثروبولوجيا التنموية "أصبحت

شائعة لأن ما يقرب من كافة قراء داروين في وقت مبكر اقتادوه إلى أن تقول إن وراء هومو سابينس"Homo sapiens " التطور البشري هوليس من الممكن ،ولا من المرغوب فيه - والكفاح من أجل البقاء على قيد الحياة، لذلك، على الرغم من أنها لا تتوقف عند هذه النقطة، ينتقل من ينتقل من المستوى البيولوجي إلى المستوى الاجتماعي أو الثقافي. هذا "الإنسوبولوجي الجديد" الذي دُرس، قد أثار الرجال من "البدائية" أو "الوحشية" إلى "الحضارة"، من ثقافة دون الأبجدية أو العجلة إلى ثقافة مطبعة وتقنية متقدمة، وباختصار، من الحياة "السيئة، البشعة والقصيرة" في غالبية أنحاء العالم إلى النوع الذي يتمتع به في أوروبا - وبعد فترة، الولايات المتحدة (فيدلر 1978، 240- 241).

يجادل فيدلر بأن العنصرية في الداروينية كانت هامة كذلك في التأثير على ظهور الأفكار والحركات العنصرية مثل كو كلوكس كلان. وعلاوة على ذلك، فإن إقناع العديد من الأشخاص بواقع التطور كان له كذلك العديد من الآثار الجانبية العنصرية غير المقصودة التي ساعدت بلا شك على إضفاء الشرعية على الحركات مثل كو كلوكس كلان. يوجد مثال على ذلك في فيلم 1915 بعنوان "ولادة أمة"، عندما يقول الأب الأبيض لـ "المولاتو" المتعلم في هارفارد الذي طلب يد ابنته في الزواج، "لقد عرفت حقيقة هامة أن رجلًا أو امرأة من سلالة الزنوج، على الرغم من أن قرنًا ما تمت إزالته، ستتكاثر فجأة مرة أخرى وينجب طفل نيغرو خالص، ثخين، غريب الأطوار، مسطحة الأنف، البشرة السوداء. يمكن لقطرة واحدة من دمك في عائلتي دفعها إلى الوراء ثلاثة آلاف سنة في التاريخ" (فيدلر 1978، 241- 242).

كما أن تأثير محاولات إزاحة الأشخاص المصابين والمشوّهين جينياً كحلقة داروين

المفقودة كان له كذلك آثار سلبية، إن لم تكن مأساوية، على الضحايا أنفسهم. فبدلاً من مساعدتهم على التعامل مع أوضاعهم، لا شك في أن هذا قد أدى إلى استمرار عدم توافقهم مع المجتمع، مما أدى إلى إنتاج العلامة المزورة "غريب"، الأمر الذي جعل الأمر أكثر صعوبة بالنسبة لهم لإقامة علاقات طبيعية معقولة مع الآخرين(فيدلر 1978؛ دريمير 1991). عانى غالبية من وصفوا بـ "الرجل القرد الدروينى" من فرط الشعر الزائدي الخانق (الشعر الطويل غير المصطبغ على كامل الجسم) أو أطراف الشعر المفرط الخلقي (الشعر المصطبغ الطويل على كامل الجسم) و/ أو فرط تنسج اللثة.

إدراك أن هؤلاء الأشخاص لم يكونوا في عداد الحلقات المفقودة ولكنهم مرضى من الناحية الطبية أو الوراثية، بالإضافة إلى تعاطف أولئك الذين تعلموا من محنتهم، ساهموا في التشريع والشعور المحلي الذي عارض عرض هؤلاء الأشخاص في برامج جانبية كما كانت شائعة في يوم من الأيام. وقد احتج العديد من قادة الكنائس على عرض جوليا باسترانا مرات عديدة خلال القرن الماضي، لأنهم لم ينظروا إلى ذلك على أنه قذر فحسب، وإنما كذلك مهين للإنسانية (بوندسون 1997، 239). إذا حاول شخص ما تقديم عرضًا مشابهًا اليوم، فلا شك أن الغضب الشعبي سيؤدي إلى إغلاق العرض سريعًا باعتباره عنصريًا ومخادعًا. ولسوء الحظ، فإن الضرر الذي تسببوا به قد انتهى الآن ولا يمكن التراجع عنه بسهولة.

الملخص

لقد استغلوا البشر المرضى والمشوهين باعتبارهم "شاذين" لعدة عقود "لإثبات" الداروينية. كانت هذه المعروضات نقطة جذب رئيسة في العديد من العروض الرائدة في

السيرك لأكثر من قرن، ومن المحتمل أن تؤثر في ملايين الأشخاص لقبول نظرية التطور البشري. واحدًا من أحدث الأمثلة كان في عام 1974، ولا شك في وجود أحدث منها. حتى داروين وهيجل ووالاس ناقشوا هذه الأمثلة بوصفها دليلا محتملا على التطور الكبير. وفحص الأطباء هذه الروابط المفقودة الداروينية المفترضة وتحققوا من أنهم مصابون بالمرض ولكنهم من البشر العاديين. على الرغم من أن غالبية علماء الأنثروبولوجيا ومؤلفي الكتب المدرسية لا يستخدمون "النزوات" في السيرك اليوم لإثبات الداروينية، فإنهم نادراً ما يكشفون عن استخدامها بوصفها دعما احتياليا للداروينية. وبسبب صمتهم، فقد سمحوا بخيانة الأمانة باستمرار واستغلال المرضى لأكثر من قرن من الزمان.

المراجع

راشيل أدامز، 2001. العروض الجانبية بالولايات المتحدة الأمريكية: الأهواء والخيال الثقافي الأمريكي. شيكاغو، إل: صحافة جامعة شيكاغو.

روسيل أدامز، (محرر). 1990. "النساء القردة المستغلة" في أسرار جسم الإنسان. نيويورك: منشورات وقت – الحياة.

ريتشارد ألتيك، 1978. عروض لندن. كامبردج، م.أ: صحيفة جامعة هارفرد.

ي.أنافي، ، ب. ليرمان، س. مينتز، س. كيفيتي. 1989. "التليف اللثوي العائلي مجهول السبب المصحوب بالتأخر العقلي والصرع وفرط التشعر."التطور الطبي للطفلعلم أعصاب542–538 :(4)31.

مصدر مجهول. 1855. هجين هندي! المرأة التي تحمل اسم، جوليا باسترانا. بوسطن، م أ: (يوجد نسخة في مكتبة جامعة يال.)

روبرت. بوجدان، 1988. عرض الأهواء: تقديم الشكاوى الإنسانية للتسلية والربح. شيكاغو، إل: صحافة جامعة شيكاغو.

بوندسون، ج.، أ.ي. ميلز. 1993. "جوليا باسترانا، التي لا توصف: مثال على فرط التشعر الوراثي العام مع فرط تنسج اللثة."المجلة الأمريكيةالجينات الطبية :(2)47 198–212.

بوندسون، يناير 1997. "القصة الغريبة لجوليا باسترانا."مجموعة من التساؤلات الطبية. إثاكا، نيويورك: صحافة جامعة كورنيل، ص. 244 -216.

فريدبراندا، هارتزل سبينس. 1952. القمة الكبيرة: أعوامي الأربعون مع أعظم

عرض على الأرض بواسطة فريد براندا كما قيل لهارتزل سبينس بما في ذلك قاعة المشاهير في السيرك. نيويورك:سيمون وشوستر.

جانيتبراون،، شارون ماسنجر. 2003. "المنظور الفيكتوري: جوليا باسترانا، المرأة ذات اللحية والمشعرة."المسعى159-155 :(4)27.

فرانسيز ت بوكلاند، 1865. تساؤلات التاريخ الطبيعي. المجلد 2. لندن: بينتلي.

ي.أ. كوكاين، 1933. التشوهات الموروثة للجلد وملحقاته. لندن: صحافة جامعة أكسفورد.

جيمس و. جر. كوك، 1996. (روزماري جارلانج طومسون، المحرر). "للرجال، الروابط المفقودة والمفردات: العمل الغريب لـ ب.ت. بارنوم ما هو المعرض."فريكيري: المنظورالثقافي للجسد الاستثنائي. نيويورك: صحافة جامعة نيويورك، ص. 157 -139.

تشارلز داروين، 1896. تنوع الحيوانات والنباتات تحت الاستئناس. نيويورك: د. أبليتون.

فريدريك دريمير، 1973. أشخاص خاصة للغاية؛ النضال والحب والانتصارات للانحرافات البشرية. نيويورك: منشورات أبجون.

---. 1991. "النساء القردة."ولدت مختلفة. نيويورك: بانتام، ص. 91 -27.

جوندورانت، أليس دورانت. 1957. التاريخ المصور للسيرك الأمريكي. نيويورك: أ.س. بارنيز.

ليزلي فيدلير، 1978. أهواء: أساطير وصور الذات السرية. نيويورك: سيمون وشوستر.

جوزيف فوتشز، 1917حول تريكوسون، لاسيما جوليا باسترانا. بون، ألمانيا: جامعة بون. أطروحة دكتوراه.

جورج امجولد، والتر ل. بيل. 1896. الشذوذات والفضول في الطب. فيلادلفيا، ب.أ: و.ب. ساوندیرز.

كرستوفر هالز جيلسيث، لارز أو. توفيرد. 2003. ترجمه دونالد توماسونيس. جوليا باسترانا: القصة المأساوية للمرأة القرد الفيكتورية. إنجلترا: منشورات سوتون.

إرنست هايكيل، 1905. تطور الرجل. نيويورك: أبناء ج.ب. بوتنام.

ج.ب هاريسون، 1883. "كارو، المسمى الرابط المفقود،" تقرير الجمعية البريطانية لتطور العلم، ص. 575.

ماركهارتزمان، 2005. العروض الجانبية الأمريكية: موسوعة لأغرب وأعجب عروض الأداء في العالم. نيويورك: جيرمي تارتشير/ البطريق.

هامبرجر، فرنسا. 2005. كارني فولك: أغرب العروض في العالم. نيويورك: شركة كينجستون للنشر.

ج.م. فيشر هورنينج، ب.ف. باركر، و.ج. كيلوي، ج.و. لوي. 1985. "التليف اللثوي مع فرط التشعر. تقرير حالة."مجلة علم الأسنان347–344 :(6)56.

سكوت هوفينيز، 2001. على ممر نشارة الخشب. يونيو.

.www.atomicbooks.com/shocked/0601/sawdust062001. html

اتش ان هوتشينسون، 1902. الأجناس الحية من البشرية. نيويورك: أبيلتون.

فيليب ب. جر كونهاردت، فيليب ب. كونهاردت الثالث، بيتر و. كونهاردت. 1995. ب.ت. بارنوم؛ أضخم عروض أميركا. نيويورك: ألفريد أ. كنوبف.

ج. ز. لورانس، 1857. "مقال قصير عن الأنثى ذات اللحية والمشعرة."لانسيت48)2).

ليفينسون، راندال. 1982. في البحث عن الفتاة القرد. ميليرتون، نيويورك: أبيرتير.

بيرنث لينـدفورز، 1999. الأفارقة على خشبة المسرح. بلومينجتون، إ.ن: صحافة الجامعة الهندية.

---. 1983. "سيرك الأفارقة".مجلة الثقافة الأمريكية 14–9 :(2)6.

كريستين ماثير، 1999. مراجعة لـ "التاريخ الحقيقي للحياة المأساوية ووفاة جوليا باسترانا، أقبح امرأة في العالم" بقلم شون بريندير جاست. مجلة المسرح.216 -215 :(2)51.

توماس هـ موج، 1997. "الجين المذؤوب" في ملحق العلوم. نيويورك: جروليير.

أ.ي.و. ميلز، 1974. "جوليا باسترانا: السيدة ذات اللحية."تقديم المجتمع الملكي الطبي164–160 :(2):67.

ميلنر، ريتشارد. 2002. المتوحشون والوحوش: ولادة حديقة الحيوان الحديثة. بالتيمور، م.د. صحافة جامعة جونز هوبكنز. ص. 39-38،121–116 ,11–110 ,75–74 .

---. 1990. موسوعة التطور. نيويورك: حقائق في الملف. "جوليا باسترانا"، ص. 354.

جورج. أوديل، 1931. حول مسرح نيويورك. المجلد 1857–1850] 6]. نيويورك: صحافة جامعة كمبوديا.

كارلو.بونتي، المنتج. 1996. المرأة القرد. ترجمات باللغة الإنجليزية. سياتل، و.أ: فيديو لشيء غريب. العنوان الأصليالمرأة القرد.

نيجل. روزفيلز، 1996. "الأزتيك والسكان الأصليون والأشخاص القرود: العلم والأوهام في ألمانيا 1900–1850،" ص. 172 -158، في طومسون 1996.

أ.هـ. ساكسون، 1989. ب.ت. بارنوم: الأسطورة والإنسان. نيويورك: صحافة

جامعة كلومبيا.

توماسشابكوت، المحرر. 1998. اللحظة التي صنعت المعجزة. كوينزلاند، أستراليا: صحافة جامعة كوينزلاند.

ديانا سنيجورويز، 1999. "الجنس والسيميون والمنظار في فرنسا في القرن التاسع عشر؛ أو، كيف تقول أن الإنسان من القرد."المجلة الكندية للتاريخ81-51 :34.

ر.، ن.ب. إستيرلي سوسكايند،. 1971. "فرط التشعر الوراثي الكامل."سلسلة المقارت الرئيسية لعيوب الولادة،106-103 :(8)7.

روزماري جارلاند طومسون، 1996. فريكيري: المنظور الثقافي للجسد الاستثنائي. نيويورك: صحافة جامعة نيويورك.

أودريي. توبنج، 1981. "الرجال البرية".ساينس دايجست أغسطس، ص. 113 -66.

فان هاري، ج. 1888. خمسون عامًا من حياة شومان. لندن: و.هـ. ألين.

فوجيل، ر.إ. 1977. "فرط تنسج اللثة ونقص حمض الفوليك بسبب العلاج بالأدوية المضادة للصرع: "علاقة نظرية."مجلة علم الأحياء النظري278-269 :(2)67.

إرفينج ولاس، 1959. شومان الرائع؛ حياة وأوقات ب.ت. بارنوم. نيويورك: كنوبف.

أندريو. زيمرمان، 2001. الأنثروبولوجيا ومكافحة الإنسانية في الإمبراطورية الألمانية. شيكاغو، إل: صحافة جامعة شيكاغو.

الفصل الثاني عشر

الداروينية تُعلم الإنسان أن الإناث أقل شأناً من الذكور

مقدمة

إن مراجعة الكتابات البارزة في آواخر القرن التاسع عشر تكشف عن أن أحد الأعمدة الرئيسة لنظرية التطور المبكر، كان الاعتقاد بأن المرأة كانت أدنى منزلة من الناحية الفكرية والجسدية للرجل. كانت دونية الإناث استنتاجًا منطقيًا للنظرة الداروينية للعالم، حيث كان يُعتقد أنّ الذكور يتعرضون لضغوط انتقائية أكبر بكثير من الإناث، وخاصةً في الحرب، والتنافس على التزاوج والغذاء والملابس. بالمقابل، كانت النساء محميات من الانتقاء حسب المعايير التي تتطلب من الذكور البالغين توفير وحماية النساء والأطفال (شيرفي1973).

علم الدارونيون أنّه نتيجة لهذه الحماية، كان الانتقاء الطبيعي يعمل بنشاط أكثر على الذكور منه على الإناث. ونتيجة لذلك، أصبح الذكور "أكثر تطوراً" من النساء وأكثر تفوقاً في كافة المجالات الفكرية والمهارية. تعد عقيدة تدني المرأة مثالاً ممتازًا على حقيقة أن منطق الكرسي غالباً ما كان أكثر أهمية في بناء النظرية الداروينية أكثر من الأدلة الحفرية وغيرها من الأدلة التجريبية.

الدليل على النظرية

ادعي الداروينيون على نطاق واسع أنّ المرأة كانت في "درجة أدنى من التطور" من الرجل لأن "التوقف المبكر لتطور الفرد" حدث في الإناث البشرية (جيلمور2001، 124). علاوة على ذلك، كان لدى النساء أدمغة أصغر وأقل تطوراً، ويعتقد أن لديهن "بدائية

أبدية" ويشبهن الأطفال. حتى أنّ أوتو فينينغر جادل بأنّ النساء "طفيليات اجتماعية"، "يجب أن يُقمعن من أجل نقاء العرق". لم تُعد النساء فقط أقل تطوراً من الرجال، ولكن كذلك رآها العديد من علماء الاجتماع أقل روحانيًا، وأكثر مادية، وأقل من الطبيعي، و"خطر حقيقي على الحضارة المعاصرة وكان لابد من قمعها لخير البشرية جمعاء" (غيلمور 2001، 125). جادل إيميل دوركهايم، مؤسس مجال علم الاجتماع الحديث، بأنّ النساء لم يكنّ متساويات مع الرجال، وهو عدم المساواة الذي ينمو بشكل متناسب مع الحضارة.

لم تكن هذه الآراء هي آراء أقلية صغيرة من المثقفين، بل كانت "وجهة نظر الأغلبية في علم الاجتماع التأسيسي في آواخر العصر الفيكتوري" (غيلمور2001، 124؛ غامبل 1849). أدت كتابات تشارلز داروين دورًا رئيسيًا في تطوير هذا الموقف. يشرح هذا الفصل كيف تطورت وجهات نظر كراهية النساء والأدلة المستخدمة لدعمها.

أهمية الداروينية

إن الفكرة المركزية للداروينية هي البقاء للأصلح، الأمر الذي تطلب اختلافات بيولوجية يمكن أن تختار منها الطبيعة. نتيجة للانتقاء الطبيعي، كان من المرجح أن تنقرض الحيوانات الأقل شأنا، وعلى العكس، من المرجح أن تزدهر الحيوانات العليا وتنتج المزيد من النسل (داروين 1871). لقد أصبحت العنصرية البيولوجية للداروينية التي ترجع إلى آواخر القرن التاسع عشر موثقة جيداً ومعروفة على نطاق واسع. كانت نظرية تحسين النسل، المؤثرة بشكل خاص في تطوير العنصرية البيولوجية، نظرية تطورت من قبل ابن عم تشارلز داروين، السير فرانسيس جالتون (بيرغمان 1992؛ شتاين، 1988).

وهو معروف على نطاق واسع أنّه هو وأنصار التطور، بما فيهم داروين، زعموا أنّ المرأة كانت بيولوجياً وفكرياً أدنى من الرجل.

كانت فجوة الذكاء التي يعتقد الكثير من الداروينيين البارزين بوجودها بين الذكور والإناث كبيرة لدرجة أنّ البعض يصنف الجنسين على أنّهما نوعان متمايزان؛ الذكور كجنس متطور والإناث كجنس أدنى (لوف 1983). الاستنتاج واضح من التسمية النوعية ذات الحدين المستخدمة: هومو باريتاليس للنساء، هومو فرانتولس للرجال، يشبه هومو سابينز، هومو إيريكتس، هومو إرجاستر، هومو هيدلبيرجنسيس، وهومو نيندر ثيالستس.

جادل داروين ذاته بأنّ الاختلافات بين الذكور والإناث كانت كبيرة لدرجة أنّه كان مندهشًا من أنّ "مثل هذه الكائنات المختلفة تنتمي إلى النوع نفسه"، وكان مندهشًا من أن "الاختلافات الكبيرة" التي لم تتطور (روسر 1992، 59). مؤرخة علوم بارزة البروفيسورة سو روسر، وهي أكاديمية رائدة وحاملة لدرجة البكالوريوس والماجستير والدكتوراة في علم الحيوان من جامعة ويسكونسن – ماديسون. وتشمل أستاذيتها الأنثروبولوجيا وعلم الحيوان ودراسات النساء. وملخصها المكون من 52 صفحة حول عملها الأكاديمي الذي يشتمل على 13 كتابًا و73 فصلاً في الكتب و67 مقالة علمية العديد منها حول النساء في العلوم. كتبت: "هذه الكتابة في القرن التاسع عشر، ولكن رددها علماء الاجتماع (باراش 1977؛ ويلسون 1978) في هذا القرن، تشارلز داروين (1867) يشير تحديدًا إلى الاختلافات الشاسعة بين الذكور والإناث. ما أدهشه هو حقيقة أنّ هذه الكائنات المختلفة تنتمي إلى النوع نفسه. من أجل جعل التمييز بين الذكور والإناث أقوى ما يمكن، هناك حاجة إلى نظرية الانتقاء الجنسي. إنّه عامل

التمايز، الذي يضمن الفصل التام بين الجنسين، وعملهم في مجالين مختلفين تمامًا يتلاقيان فقط لغرض الإنجاب. حتّى إنّ داروين زعم أنّه من غير المنطقي أن نقول أنّه ينبغي أن يولد الذكر البشري من رحم أنثى، فهذا كأن نقول إنّ "الكنغر المثالي يجب أن يخرج من رحم دب" (داروين، 1967، 425؛ مقتبس من روسر 1992، 155).

ووضعت مزيدًا من التفاصيل، موضحةً بذلك: "مقترح داروين بأنّ الإناث والرجال يختلفون مثلما اختلفت الأنواع المنفصلة في ذهني منذ أن درست للمرة الأولى المقطع منذ 14 عامًا تقريبًا. في وقت مبكر من هذا العام أثناء القراءة في نص يحتوي على مدخل للبيولوجيا حول التعريفات المعيارية للتفاعلات بين الأنواع، ظهر هذا المقطع لداروين مرة أخرى. بدا لي أن تصنيف المرأة كنوع منفصل كان جزءًا هامًا لتطور بعض الحركات الماركسية – النسوية" (روسر 1992، 155).

علاوة على ذلك، استنتجت من أبحاثها التي استمرت لعقود من الزمان حول هذا الموضوع أنّ: "ما أصاب داروين بالاندهاش أنّه عندما راقب الذكور والإناث من الأنواع المختلفة في العالم الطبيعي لاحظ الاختلاف الهائل بينهما: "كيف أنّ يختلفان وهما من نفس النوع تقريبًا في كل الصفات المعروفة لدى علماء الطبيعة؟" (داروين 1859، 424). ما أدهشه هو حقيقة أن هذه الكائنات المختلفة تنتمي إلى نفس النوع. عندما شاهد العالم البشري في ضوء عوالم طبيعية أخرى، فوجئ بملاحظة أنّه حتى الاختلافات الأكبر لم تكن قد تطورت. "من حسن الحظ أنّ قانون المساواة في نقل الصفات الوراثية لكلا الجنسين موجود في الثدييات؛ وإلا كان من المحتمل أن يصبح الرجل متفوقًا في الموهبة العقلية على المرأة، مثل ذكر الطاووس في ريش الزينة على أنثى الطاووس"

(داروين 1871، 565). للوهلة الأولى قد يبدو من الغريب أنّ داروين يؤكد على الاختلافات بين الجنسين. يصور في أصل الأنواع الصراع من أجل الوجود باعتباره نزاعًا رئيسيًا في مجال الأجناس، بدعوى أنّ المنافسة تكون أشد بين أولئك المتقاربين في مقياس الطبيعة (داروين 1859، 76؛ روسر 1992، 59).

باختصار، كان الاختيار الطبيعي والجنسي في قلب الداروينية، وكانت دونية الإناث البشرية دليلًا رئيسيًا وشهادة رئيسية.

جادل داروين بأنّ الذكور شكلوا تطور الإناث حسب رغبتهم عن طريق الانتقاء الجنسي، تماماً كما يشكل مربي الحيوانات (ريتشاردز 1983 أ، 78). على العكس من ذلك، كانت الحرب تعمل على التخلص من الرجال الأضعف، مما سمح فقط للأصلح بالعودة إلى ديارهم والتكاثر. كما كان الرجال يعملون في الصيد، وهو نشاط آخر تخلص من الرجال الأضعف. في المقابل، لم تكن النساء عرضة لضغوط الاختيار هذه لأنهن "تخصصن في" التجمع" في الاقتصاد البدائي" (داير 1985، 122).

كان التفوق الذكوري فعالًا للغاية للتطور الذي ادعى جورج أنّ "عنصر التنافس الذكوري في الانتقاء الجنسي هو المفتاح، كما يعتقد داروين، لتطور الإنسان: من بين كافة الأسباب التي أدت إلى الاختلافات بين أجناس الإنسان، الانتقاء الجنسي كان الأكثر فاعلية (1982، 136). على الرغم من وجود كفاح الانتقاء بين المجموعات، لكنها كانت "أكثر شدة بين أعضاء نفس النوع" لأنّهم "لديهم احتياجات مماثلة ويعتمدون على الأرض ذاتها لتزويدهم بالطعام والأزواج." (ريد 1975، 45). حتى وقت قريب، زعم الدارونيون أنّ النضال المكثف للذكور داخل النوع ذاته كان عاملاً رئيسًا في

إنتاج التفوق الذكوري لكافة الأنواع الجنسية.

أسباب الاعتقاد في الدونية البيولوجية للمرأة معقدة، ولكن أفكار داروين الطبيعية والانتقائية كانت عاملًا رئيسيًا. كانت آراء داروين حول النساء منطقية من النظرية التطورية، "وبالتالي تغذي عدة أجيال من التحيز الجنسي العلمي" (ريتشاردز، 1983، 887). والأهم من ذلك أنّ أفكار داروين - كما أوضحت كتاباته - كان لها تأثير كبير في كل من العلوم والمجتمع. ونتيجة لذلك، أُلهم العلماء لاستخدام البيولوجيا وعلم الأعراق وعلم الأوليات من أجل بناء الدعم للموقف القائل بأنّ المرأة في وضع " بوضوح وبشكل لا رجعة فيه، تابع أدنى" للرجال (مورغان 1972، 1).

يمكن قياس مدى الآثار السلبية لهذه العقيدة من حقيقة أنّ مفهوم "الدونية البيولوجية للمرأة" أثر بشكل كبير على كثير من المنظرين الذين كان لهم دورًا كبيرًا في تشكيل جيلنا؛ من سيغموند فرويد إلى هافلوك إليس (شيلدز 1975). كما جادل ديورانت ببلاغة أنّ كلًا من العنصرية والتمييز على أساس الجنس كانا أساسيين في الداروينية: "قدم داروين نقاشه حول علم النفس في أصل الإنسان من خلال تأكيد التزامه بمبدأ الاستمرارية. واستقر داروين في قضيته بناء على مزيج من الحجج الزائفة والمجردة. الهمج الذين قيل إنّهم يمتلكون أدمغة أصغر وأطراف أكبر حجمًا من الأجناس العليا، والذين قيل أنّ حياتهم تهيمن عليها الغريزة وليس العقل، تم تصنيفهم كوسيط بين الطبيعة والبشر. ووسّع داروين هذا التنسيب قياسًا ليشمل ليس فقط الأطفال والمختلين عقليًا، ولكن كذلك النساء، وبعض ممن لديهم قوة الحدس، والإدراك السريع، وربما التقليد "من سمات الأجناس الدنيا، وبالتالي من سابقة ومتدنية من الحضارة" (ديورانت 1985، 295؛ أصل الإنسان 1871: 326-327).

معتقدات داروين الشخصية

قد تعكس نظرية داروين للأعراق مواقفه الشخصية حول المرأة. على سبيل المثال عندما كان داروين يشعر بالقلق من أنّ أخيه، إيراسموس، قد يتزوج المؤلفة والمصلحة هاريت مارتينو (1802-1876)، كتب إلى أخيه، مشيرًا إلى أنّه إذا تزوجها فلن يكون "أكثر من مجرد عبد زنجي لها. - تخيل إيراسموس المسكين كعبد زنجي للسيدة الفيلسوفة والحيوية للغاية." وأضاف داروين: "إنّ المساواة الكاملة في الحقوق جزء من عقيدتها. أشك كثيرًا فيما إذا كانت المساواة قابلة للتطبيق. يجب أن نصلي من أجل "العبد الزنجي" المسكين" (داروين 1985، 518-519). وفقاً لديزموند ومور (1991، 201)، كان جزءًا من المشكلة هو أنّ السيدة مارتينو عادت لتوها من زيارة إلى أميركا "وكانت مليئة بحقوق ملكية الزوجة للبيت". كانت هاريت مارتينو من أبرز المدافعات عن تحرير المرأة (انظر سيرتها الذاتية 1877).

من بين المؤشرات الأكثر دلالة على موقف داروين تجاه النساء، التصريحات التي كتبها عندما كان شاباً عند سرد ما اعتبره مزايا الزواج، بما في ذلك الأطفال ورفيق دائم "سيشعرون بالاهتمام بأحد الأشياء التي يحبها ويلعب معها" أفضل من كلب على أية حال - المنزل، وشخص ما لرعاية البيت - سحر الموسيقى والألعاب ومحادثة الإناث السطحية. هذه الأمور جيدة لصحة الشخص" (1958، 232-233). حجج داروين ضد الزواج اشتملت على استنتاجه بأنّه لو بقي وحيدًا، لكان لديه حرية أكبر في السفر، وأقل مسؤوليةً وقلقًا، ووفرة في الوقت والمال. ويضيف أنّ وجود العديد من الأطفال قد يجبره على كسب لقمة العيش، مضيفًا أنّ زوجته قد لا تحب لندن. "ثم

العقوبة هي النفي والتدهور" (1958، 232-233).

أدرك داروين أنه، بصفته رجلاً متزوجًا، سيكون "عبداً رديئًا"... "أسوأ من زنجي"، ولكن بعد ذلك يتذكر أنّه "لا يمكن للمرء أن يعيش هذه الحياة بمفرده، مع الشيخوخة المترنحة، ودون أطفال لن ينظر في وجهه أحد". لخص داروين تقييمه على المذكرة الفلسفية التي تقول "هناك الكثير من العبيد السعداء" وبعد ذلك بوقت قصير، في عام 1839، تزوج ابنة عمه، إيما ويدجوود (1958، 234).

على أساس مثل هذه التصريحات، استنتج العديد من كتاب السير الذاتية لداروين أنّه كان يقلل من شأن النساء: "سيكون من الصعب تصور الانغماس في الملذات، شئ مزدرٍ، خنوع النساء للرجال" (برنت 1981، 247). جادل ريتشاردز بأن داروين قد حدد: "بوضوح الآراء حول الدونية الفكرية للمرأة ومكانتها الخاملة. لم تكن الزوجة تطمح لأن تكون رفيقة زوجها الفكرية، بل أن ترفه عنه في ساعات فراغه وتعتني بشخصيته وبيته، كي يتفرغ هو لأشياء أكثر أهمية. هذه النظريات كانت مغلفة داخل الدفاتر التي كتبها في ذلك الوقت الشاب الطبيعي الطموح قبل وقت قصير من العثور على "زوجته الناعمة اللطيفة على الأريكة". (على الرغم من أنّه طوال حياتهم معًا كان تشارلز هو الذي احتكر الأريكة، وليس إيما) (1983، 886).

غالباً ما ادّعى أنصار داروين "دائمًا أنّ سبب نظرة داروين العنصرية والتي تشمل التفرقة على أساس الجنس هي أنّ مجتمع داروين كان يُظهر هذه الخصائص ذاتها." من الواضح أنّ مجتمعه وطبقته الاجتماعية كانا مؤثرين، ولكن كما يلاحظ هال، لم يكن داروين "قليل الخبرة حتى أنّه ببساطة قرأ خصائص مجتمعه في الطبيعة" (1999).

تكشف قراءة أعمال داروين وتلاميذه عن أنّ عقيدة دونية المرأة كانت أساسية لنظرية التطور المبكر. لُخصت المبررات الرئيسة التي قدمها داروين لاستنتاجاته الدونية الأنثوية في عمله الكلاسيكي، أصل الإنسان. في هذا الكتاب، جادل داروين بأنّ الإناث البالغة من غالبية الأنواع تشبه صغار الجنسين وأنّ "الذكور أكثر تقدما من الناحية التطورية من الإناث" (كيلفز 1986، 8). واستنتج أنّه، بما أنّ تطور الأنثى يتقدم بمعدل أبطأ من التطور الذكوري، فإنّ المرأة كانت "في جوهرها، رجلاً متوقفاً" (شيلدز 1975، 749). سرعان ما انتشرت هذه النظرة المهينة للمرأة بين المعاصرين العلميين والأكاديميين الداروينين.

على سبيل المثال، جادل ألان ماكغريغور تلميذ داروين المعاصر وعالِم الأنثروبولوجيا، بأنّ المرأة كانت أقل تطوراً من الرجل وأنّ "المرأة جسديًا وعقليًا وأخلاقيًا، هي نوع من الأطفال البالغين. من المشكوك فيه أن تكون المرأة قد قدمت ولو فكرة ضئيلة تعود بالنفع على العالم" (1869، 210). وقد قبل كارل فوغت أستاذ التاريخ الطبيعي في جامعة جنيف العديد من "النتائج التي توصل إليها عالم الطبيعة الإنكليزي ، تشارلز داروين". يقول فوغت: "إن الطفل، الأنثى، والعجائز من البيض" جميعهم لديهم السمات الفكرية والشخصية "للزنوج البالغين" وأنّ الإناث في الفكر والشخصية تشبه كلًا من الرضع وأعضاء الأعراق "المتدنية" (1864، 192). جادل فوغت في دراسته بأنّ الإناث البشرية أقرب إلى الحيوانات الدنيا من الذكور وبالمثل لديهم "تشابه أكبر" مع القردة أكثر من الرجال (لوين 1987، 305).

وقد استنتج فوجت أنّ الفجوة بين الذكور والإناث تزداد مع تقدم الحضارات

وأكبرها في المجتمعات الأوروبية المتقدمة (ريتشاردز، 1983، 75). كان داروين "منبهرًا بعمل فوغت وفخورًا بتعداده بين مناصريه" (ريتشاردز 1983، 74). العديد من الداروينيين الآخرين الذين قبلوا الاستنتاج المتعلق بالانتقاء الجنسي كان لديهم قوة إبداعية هائلة من بينهم عالم فسيولوجي بارز جورج جون رومانيس. قبل موت رومان بوقت قصير، سلم داروين له قدرًا كبيرًا من البيانات. ولم يكن لديه وقت للفرز ووفقا لرومان: [أظهرت هذه البيانات] أنّه بينما تحرك الجنسين نحو أدوار أكثر تباينًا، أصبحت الإناث أدنى على نحو متزايد من حيث العقل وأكثر عاطفية. رومان شارك داروين في وجهة نظره أنّ الإناث كانت أقل تطوراً من الذكور؛ وهي أفكار عبّر عنها في العديد من الكتب والعديد من المقالات التي أثرت على جيل من علماء الأحياء. في جامعة بنسلفانيا، كتب عالم الحفريات الأمريكي المؤثر إدوارد شاربر كوب أن الحيوانات الذكور تؤدي "دورًا أكثر نشاطًا في الصراع من أجل الوجود". كل من رومان وكوب شمل البشر في تعميماتهم" (كيلفز1986، 8-9). استخدم رومان هذه البيانات لمواصلة عمله.

الانتقاء الجنسي

لقد أدرك داروين أنّ العديد من الاختلافات بين الذكور والإناث ترجع جزئيا، أو حتى كليًا، إلى الانتقاء الجنسي. وقال إنّه من أجل تمرير جيناته، يجب على الذكر أن يثبت ذاته جسديًا وفكريًا على غيره من الذكور في المنافسة على الإناث. على العكس، يجب أن تكون المرأة متفوقة فقط في الجذب الجنسي. كما جادل داروين بأن "الانتقاء الجنسي يعتمد على نوعين مختلفين من النشاطات الداخلية: نضال الذكور مع الذكور لحيازة الإناث؛ واختيار الإناث بواسطة الزوج" (جورج 1982، 69). في كلماته، نشأ

التطور من "الصراع بين الذكور لحيازة الإناث" (داروين 1959، 88).

ودعماً لاستنتاجه، كتب داروين: "في الدول الهمجية، على سبيل المثال: الأستراليين، فإن النساء هم السبب الدائم للحرب بين أفراد القبيلة ذاتها وبين القبائل البعيدة"، مما يؤدي إلى الانتقاء الجنسي من التنافس الجنسي (1871، المجلد 2، 323). لدعم استنتاجه، يقتبس من هيرن الذي كتب أنّه في الحرب "بالطبع، أقوى حزب يحصل دائما علي الجائزة" أي النساء (1871، المجلد 2، 324). كما أشار داروين إلى العرف الهندي في أميركا الشمالية الذي تطلب من الذكور محاربة منافسيهم للحصول على زوجات. وكانت النتيجة أنّ الرجل الأضعف نادراً ما يمكنه "الحصول على الزوجة التي يفكر رجل أقوى أنه أحق بها" (داروين 1871، المجلد 2، 324). استخدم داروين العديد من الأمثلة المماثلة لتوضيح القوى التطورية التي اعتقد أنّها أنتجت رجالًا يتمتعون بالقوة البدنية والفكرية المتفوقتين ، أقدر على تَطويع الإناث جنسيًا. لقد أدرك أنه نظرًا لأنّ البشر تطوروا من الحيوانات الدنيا، "لن يعارض أحد أنّ الثور يختلف في التصرف عن البقرة، والخنزير الذكر عن الأنثى، والخيل عن الفرس، وكما هو معروف لدى حراس حدائق الحيوان، ذكور القرود أكبر من الإناث" (1871، المجلد 2، 326). جادل داروين بأنّ هناك اختلافات مماثلة بين البشر. وكانت نتيجة هذا الاختيار أنّ الرجال ليسوا فقط "أكثر شجاعة ومشاكسة وحيوية من النساء" بل يمتلكون "عبقرية أكثر ابتكارًا" (داروين 1871، المجلد 2، 316). إنّ العديد من سماتهم كان ينظر إليها على أنها "صفات للأعراق الدنيا، وبالتالي حالة سابقة متدنية من الحضارة" (داروين 1871، المجلد 2، 327). باختصار، استنتج داروين أنّ التفوق الذهني للذكور يثبت من

خلال حقيقة أنّ الرجال يصلون إلي: "مكانة أعلى في كل عمل تستطيع النساء تحقيقه؛ سواء كان يتطلب التفكير العميق أو العقل أو الخيال أو مجرد استخدام الحواس واليدين. إذا أُعد قائمتان من أبرز الرجال والنساء في الشعر والرسم والنحت والموسيقى والتاريخ والعلوم والفلسفة، لن يكون هناك مقارنة. قد نستنتج كذلك، من قانون الانحراف عن المعدلات، كما يوضحه جيدّا السيد جالتون، في عمله حول "العبقرية الوراثية"، أنّه إذا كان الرجال قادرين على التفوق على النساء في العديد من الموضوعات، فإن في المتوسط ، يجب أن تكون القوة العقلية في الرجل أعلى من المرأة" (1871، المجلد 2، 327).

حمل داروين على مدار حياته وجهات النظر هذه حول "تفوق الذكورية"، التي كان يعتقد أنها تنبؤ مركزي للتطور(ريتشاردز، 1983، 885). وقبل وفاته بوقت قصير قال داروين إنّه يتفق مع استنتاج جالتون بأنّ "التعليم والبيئة لا يحدث سوى تأثير صغير" على ذهن غالبية النساء لأنّ "غالبية صفاتنا فطرية وغير مكتسبة" (1958، 43).

باختصار، يعتقد داروين، كما يعتقد العديد من علماء البيولوجيا الاجتماعية، أنّ البيولوجيا وليس البيئة هي المصدر الرئيسي للصفات العقلية، بما في ذلك السلوك والأخلاق (ريتشاردز 1983، 67-68). من الواضح أنّ داروين تجاهل بشكل شبه كامل تأثير العوامل الأكثر أهمية، بما في ذلك الثقافة، والبيئة الأسرية، والتكيف الاجتماعي، وحقيقة أنّ هناك فرصًا مهنية وفكرية قليلة نسبيًا كانت موجودة في زمن داروين للنساء (ويليامز 1977).

وعلاوة على ذلك، وعلى الرغم من أن داروين نسب غالبية السمات النسائية إلى

الانتقاء الجنسي للذكور، فقد وصل إلى أنّ عدد صفات الذكور فقط هو الذي كان سببه انتقاء الإناث. وكان أحد الأسباب هو اعتقاده بأنّ غالبية الإناث لم يكن اختيارهن لصفاتهن البدنية أو العقلية (ريتشاردز 1983، 65). وبالتالي، فإن الرجال ليسوا فقط "أكثر قوة في الجسد والعقل من النساء"، بل "اكتسبوا قوة الاختيار"؛ التطور كان في أيدي الذكور، وكانت الإناث سلبية إلى حد كبير في هذا الأمر (داروين 1871، المجلد 2، 371). هذا هو السبب الذي جعل العديد من الداروينيين يعتقدون أن الغريزة والعواطف تهيمن على النساء، وهذا "أعظم نقاط ضعفهن" (شيلدز 1975، 742).

وشملت المشكلات الرئيسة في فرضية الانتقاء الجنسي حقيقة أنّ الزواج في العديد من المجتمعات يتم ترتيبه من قِبل الأقارب في الغالب لاعتبارات براغماتية، مثل توحد عائلات معينة، للحصول على مهر، أو لتحرير الوالدين من الحاجة إلى دعم النسل الأنثوي. كما جادل داروين بأنّ القوى الذهنية في الذكور: تطورت عادة قبل سن الإنجاب، ولن يتأثر مكونها الوراثي بالبيئة. التفوق الفكري للذكور البشرية كان فطريًا ولكن كيف حدث؟ عن طريق الانتقاء الجنسي، قال داروين، وليس عن طريق اختيار الإناث. قد تكون لحية الرجل نتيجة اختيار الإناث ولكن بالنظر إلى حالة النساء في القبائل الهمجية – حيث احتفظ الرجال بالنساء – في حالة من العبودية أكثر بكثير مما يفعله ذكر أي حيوان – ربما كان الذكر هو الذي اختار ذلك. قد تختلف معايير الجمال المختارة من قبل الذكر، حسب المعايير المختلفة للقبائل (جورج 1982، 74).

السمات التي قال داروين سببها يرجع إلى الانتقاء الجنسي تشمل الخصائص الجنسية الثانوية العديدة التي تميز البشر عن كافة الحيوانات الأخرى، بما في ذلك شكل

الجسم وخلو الأطراف من الشعر. ما يبقى دون إجابة هو ما السبب الذي يجعل الذكور أو الإناث يختارون صفات معينة عندما يتزوجون، هذه الصفات لن يفضلها زملاؤهم المغطون بالشعر على مدار الدهور، ولا يفضل أي من الرئيسيات الغير بشرية هذه الصفات "الإنسانية".

استنتاج داروين أنّ وجود سبب واحد يفسر مجموعة واسعة من الاختلافات الجنسية يمثل مشكلة (جورج 1982، 71). إذا كان الانتقاء الجنسي سبّب تطور لحية الذكور ونقصها في الإناث، فلماذا تفضل النساء الذكور الحليقة؟ من الواضح أنّ المعايير الثقافية حاسمة في تحديد ما يراه جذابًا جنسياً، وهذه المعايير تتغير، مما يمنع الاختيار الجنسي طويل الأجل المطلوب لتطويرها بيولوجياً (ميلمان 1980؛ بيلر 1977).

كما يعتقد العديد من الداروينيين أنّ الذكور هم الجنس الأفضل لأنهم اختلفوا بدرجة أكبر من الإناث في غالبية الصفات (داروين 1871). كان أمرًا مهمًا لأنّ غالبية الداروينيين قد قبلوا أنّ الخروج عن القاعدة يكون نتيجة لآليات تطورية ولسبب أن: "الذكور كانوا الجنس الأكثر تغيّرًا، فقد توصلوا سريعًا إلى أنّ الذكر هو العنصر التدريجي في هذا النوع وبمجرد إضفاء الشرعية على الانحراف عن القاعدة عن طريق النظرية التطورية، أصبحت لفرضية زيادة تقلب الذكور تفسيرات ملائمة لعدد من الاختلافات بين الجنسين، من بينها زيادة التكرار الذي حققه الرجال "التفوق" (تشيلدز1975، 743).

واستخدم مؤيدو تدني النساء أدلة مثل حقيقة أنّ نسبة أعلى من كل ممن لديهم كلًا من إعاقة أو موهبة عقلية كانوا من الذكور. لقد أدركوا أنّه بما أنّ الاختيار يعمل بدرجة أكبر على الرجال، فإنّ الذكور الأضعف سيُقضى عليهم بشكل أكثر صرامة

من الإناث الأضعف، مما يرفع المستوى التطوري للذكور ككل.

جادل نقاد داروين بأن الأمراض المرتبطة بالجنس (بالإضافة إلى العوامل الاجتماعية) كانت لها تأثيرًا كبيرًا في إنتاج العدد الأكبر من الذكور الذين ولدوا وهم ضعاف. علاوة على ذلك سيقومون بالحفاظ على الإناث الأضعف وفقاً للمعايير العالمية التي تحميهن. وعُرف عدد قليل من النساء على أنهن بارزات لأن أدوارهن الاجتماعية غالباً ما تقتصر على التدبير المنزلي وتربية الأطفال. علاوة على ذلك، أدت القيود المفروضة على تعليم وتوظيف النساء من قبل القانون والعرف إلى إجراء مقارنات بين الذكور والإناث عديمة الجدوى في تحديد القدرات الفطرية.

وبالتالي لا يمكن أن يعزى الاختلاف في الذكاء، ورباطة الجأش والفضيلة والنجاح المهني بين الذكور والإناث إلى علم الأحياء دون النظر إلى هذه العوامل الحاسمة. وقد ثبت في وقت لاحق أنّ غالبية الحجج التي تدور حول دونية المرأة والتي بدت ذات يوم مدعومة بشكل جيد (وبالتالي تم قبولها من قبل غالبية علماء الأحياء) بدت هذه الحجج غير صالحة، كما يتضح من التغييرات في المجتمع الغربي التي حدثت في الجيل الأخير (شيلدز 1975). كان الاعتقاد هو أنّ دور المرأة كربة بيت مكنت النساء اللواتي يعانين من الضعف من البقاء على قيد الحياة خارج البيئات المؤسسية، وهذا هو السبب في أنّ الدراسات الاستقصائية المؤسسية تشير إلى عدد أقل من السجينات.

تأثير داروين على المجتمع

كانت لنظرية الانتقاء الطبيعي والجنسي لكل من الجسد والعقل عواقب وخيمة على المجتمع بعد وقت قصير من انتهاء داروين من أول أعماله الرئيسية في التطور في 1859.

كانت "الدونية الفطرية للإناث" مدعومة بقوة بالحتمية البيولوجية والأسبقية، من عقيدة "الطبيعة ضد الطبيعة". وبكلمات شيلدز، فإن الفكرة المهيمنة "للنظرية التطورية التي تطبَّق على العلوم الاجتماعية هي التفوق التطوري للذكر القوقازي" (شيلدز 1975، 739).

حتى أنّ أحد أنصار التطور في آواخر القرن التاسع عشر، جوزيف لو كونتي، توصل إلى أنّ اختلافات الذكور والإناث الناتجة عن التطور العضوي يجب أن تحد من دور المرأة الاجتماعي (ستيفنز 1976، 241). وبناء على ذلك، عارض لي كونتي حق المرأة في الانتخاب، لأنّ التطور جعل المرأة "غير قادرة على التعامل بعقلانية مع المشكلات السياسية وغيرها التي تتطلب انفصالاً عاطفياً ومنطقاً واضحاً" (ستيفنز 1976، 247).

بعد مراجعة نظرية "تابلو راسا" المقبولة على نطاق واسع والتي كانت تنص على أنّ البيئة كانت مسؤولة عن الشخصية، أشار فيشر إلى أنّ الداروينية أدت إلى تغيير جذري في المجتمع. السنة التي انتهى فيها داروين من الإصدار الأول غير المنشور من نظريته في الانتقاء الطبيعي [1842]، بدأ هربرت سبنسر في نشر مقالات حول الطبيعة البشرية. كان سبنسر فيلسوفًا سياسيًا وعالما اجتماعيًا بريطانيًا يعتقد أنّ النظام الاجتماعي الإنساني كان نتيجة للتطور. الآلية التي نشأ بها النظام الاجتماعي هي "البقاء للأصلح"، وهو المصطلح الذي قدمه هو، وليس داروين. في عام 1850، كتب سبنسر إحصائيات اجتماعية، وهي أطروحة فيها نظم الرعاية الاجتماعية المتعارضة، والصرف الصحي الإجباري والمدارس العامة المجانية، والتطعيمات الإجبارية، وأي شكل من أشكال "القانون السيئ". لماذا؟ لأن النظام الاجتماعي قد تطور من خلال البقاء للأصلح. الأغنياء كانوا أغنياء لأنهم كانوا أكثر لياقة؛ سيطرت بعض الدول على

الأخرى لأن هذه الشعوب كانت متفوقة بشكل طبيعي. بعض الأنواع العرقية أخضعت الآخرين لأنهم كانوا أذكى. التطور - كلمة أخرى أشاعها - أنتجت طبقات وأمم وأعراقًا متفوقة (1982، 115-116).

وأشار فيشر إلى أنّ تعاليم أنصار التطور الأوائل تضمنت ليس فقط أفكار حول العرق المتفوق، وإنما كذلك استنتاجات "الجنس المتفوق" وأنّ الذكور كانت مسيطرة على الإناث كنتيجة للتطور.

ويُعتقد كذلك أنّ الذكور أكثر تطوراً لأنهم تعرضوا تاريخياً لكثير من ضغوط الاختيار أكثر من النساء: كان الذكور الأقوى والأسرع والأكثر استعدادًا للبقاء على قيد الحياة وإحضار الطعام؛ وبالتالي، فإن الانتقاء الطبيعي يؤثر فيهم بدرجة أكبر من الإناث. يمكن أن يكون الصيد نشاطًا خطيرًا: فقد يضيع المرء أو يجرح، أو يصبح الصياد أحيانًا هو الفريسة.

ادّعى داروين أنّ السبب الرئيسي الآخر للتفوق الذكوري هو أنّ الذكور اضطروا للقتال والموت لحماية أنفسهم وأطفالهم وإناثهم. وجادل الداروينيي توبينارد في القرن التاسع عشر بأنّ الذكور "يتحملون كل المسؤولية والاهتمام بالغد" وأنهم دائمًا "نشطون في محاربة البيئة والمنافسين البشريين". وبالتالي فهم بحاجة إلى مزيد من العقول "أكثر من المرأة التي يجب أن يتم حمايتها وتغذيتها؛ المرأة المستقرة التي تفتقر إلى أي مهنة داخلية، التي يكون دورها [الوحيد] هو تربية الأطفال والمحبة والسلبية (غولد 1996، 136).

باختصار زعم الدارونيون أنّ التفوق الذكوري يرجع إلى "الميراث من أسلافه الذكور نصف البشر وخلال العصور الهمجية الطويلة التي عاشها البشر، نجح أقوى الرجال

وأكثرهم جرأة، سواء في النضال العام من أجل الحياة أو في مسابقاتهم للزواج نجاحًا كان من شأنه أنّ يضمن لهم ترك ذرية أفضل بكثير" (داروين 1896، 563). وعلى العكس من ذلك، فإن النساء، عوضًا عن الصيد أو الحروب، كنّ يقمن بالمهام المحلية، التي غالباً ما تكون ضيقة النطاق، ومتكررة، ونتيجة لذلك كنّ أقل تأثراً بكثير بضغوط الاختيار.

التقليد القديم للذكور لحماية الإناث كان ينعكس بشكل خاص في سلوك الحرب: فقط الرجال يذهبوا للمعركة، وطبيعة الحرب حالت بشكل عام دون حماية الجنود من القتل المتعمد للإناث والشباب الذكور. وقتل النساء أو اختطافهن أو اغتصابهن في بعض الأحيان، لكنهن نادراً ما شاركن بشكل رسمي في الحرب كقوات قتالية. واستنتج داير أنّ القتال يقتصر على الذكور، لأنّ الرجال كانوا أكثر ملاءمة للقتال نظرًا لـ: "قوتهم البدنية وحريتهم من عبء الإنجاب. ما يقرب من كل ذكر حي لآلاف الأجيال فهم لغز الحروب. وكان الرجال متخصصين في وظائف الصيد والحروب للأسباب المادية ذاتها قبل اختراع الحرب المتحضرة" (1985، 122).

وبما أنّ الانتقاء طويل الأمد يؤدي إلى الضعف، فإنّ كل تلك العوامل التي تسهل إنقاذ الضعفاء تسمح لهم بنقل جيناتهم الدنيئة إلى أبنائهم، الأمر الذي يعمل ضد التطور. كانت الإناث أدنى نتيجة للانتقاء الداروينى الأكبر للذكور مقارنة بالإناث، وبالنسبة للذكور، فإن المكاسب المحتملة إما في التكاثر الفوري أو في إمبراطورية من الزوجات والذرية كانت أكبر. كذلك هي احتمالات الإفلاس الفوري (الموت) أو الإفلاس الدائم من العزوبة اللاإرادية ولا يمكن تجنبها. يجب أن يعمل برنامج تنموي للذكور ضد الصعاب في محاولة للحصول على أعلى توزيع للياقة. سيتبين أن معدل

وفيات الإناث يفوق الذكور، وليس في الأنواع توليد الأعراس المتغايرة، ولكن في الإناث ذوات الذكورة (وليام 1977، 138–139).

كما جادل الداروينيون بأنّ المهارات تؤدي دوراً أكبر بكثير في الصيد والقتال أكثر من المهام المنزلية التي تقوم بها النساء. وبالتالي، فإن حياة النساء تتطلب عادة "مهارات أقل من المهارات المطلوبة للرجل. وتشير الأدلة المتوفرة إلى أنّ الرجال يتفاوتون أكثر في قدرات الصيد مقارنة بالمرأة في قدرات الجلوس، وبالتالي، كما هو الحال بالنسبة للعنف، فإن أعمال الاختيار تكون أكثر كثافة بين الذكور من الإناث" (سيمونز 1980، 162). بكلمات وليامز: في كل لحظة في الحياة، "الجنس المذكر يعمل على الارتقاء إلى الأعلى" (1977، 138).

أهمية دونية الإناث في الداروينية

لقد كان غالبية الداروينيين يعدون الدونية في الإناث جانباً أساسياً، ودليل لا يمكن نفيه على التطور الكلي. كان دليلاً مهمًا بشكلٍ خاص على مساهمات داروين الرئيسة في نظرية التطور، والاختيار الطبيعي والجنسي. لقد لاحظ جورج مدى أهمية النتيجة الدونية للمرأة بالنسبة للتطور: "فالفرق الرئيسي بين الرجال والنساء يكمن في قوتهم الفكرية، "الرجل يحصل على مكانة عالية في كل ما يعمل، أكثر من النساء؛ "إن تلك الاختلافات اللافتة للنظر، لا يمكن أن تكون نتيجة استخدام أو إهمال، لميراث الشخصيات المكتسبة، أو تلك التي تتطلب تفكيراً عميقاً أو عقلًا أو خيالًا أو مجرد استخدام للحواس والأيدي". للعمل الجاد وتنمية العضلات لم يكن من اختصاص الإنسان: "في المجتمعات البربرية تعمل النساء بجد وصعوبة."‥ التفوق الفكري للذكور

البشرية كان فطريًا ولكن كيف حدث؟ عن طريق الانتقاء الجنسي، قال داروين، ليس باختيار النساء (1982، 74).

إن عقيدة النقص الأنثوي دليل رئيس للتطور عن طريق الانتقاء الطبيعي واعتبرت من قبل غالبية العلماء في آواخر القرن التاسع عشر. يدعي غولد أن كافة العلماء تقريباً اعتقدوا أن السود والنساء والمجموعات الأخرى كانوا أدنى من الناحية الفكرية وأقرب بيولوجياً إلى الحيوانات الدنيا من الذكور البيض (غولد 1996، 57). ولم يكن هؤلاء العلماء يكررون ببساطة تحيزاتهم الثقافية؛ ولكن كانت معتقداتهم مبنية على نظرية بحثية وتطورية موسعة، سيقومون الآن بمراجعة بعضها.

ولم يكن داروين ببساطة يقدم أسبابًا بيولوجية لدعم وجهة نظر كانت تُعتقَد على نطاق واسع في أيامه. أشار تافريس إلى أنه كان من المعتقد على نطاق واسع بين العلماء لقرون "أن غالبية أجزاء الجسم للرجال والنساء كانت قابلة للتبادل تمامًا، وأن الأجزاء التي لم تكن - تلك الأعضاء التناسلية المثيرة للاهتمام - كانت مع ذلك متماثلة: كانت الأعضاء النسائية هي ذاتها مثل الرجال، "تحولت في الخارج" (1992، 97). تسببت الداروينية في تغيير جذري في هذه النظرة المشتركة مرة واحدة، وأنتج العلماء في كافة المجالات التي تهاجم هذه الفرضية. بدلاً من ذلك، يؤكد العديد من الداروينيين على ما يرون أنه:

هوة بين الطباع الذكورية والأنثوية، الجسدية والعقلية. واستنتجوا إلى أن الاختلافات بين أجساد الذكور والإناث كانت شاسعة بالمثل، لأن تطوير الإناث قد اكتشفت في مرحلة أدنى من التطور. وقالوا إن النساء يمكن وضعهن على السلم

التطوري جنبا إلى جنب مع الأطفال، والقردة، والأشخاص "البدائيين". حتى الرسوم التوضيحية للهيكل العظمي للإناث تعكس هذا الإيمان بدونية الإناث. رسمت الهياكل العظمية النسائية مع جماجم صغيرة وأحواض واسعة، للتأكيد على فكرة أن المرأة كانت ضعيفة فكريا ومناسبة بشكل رئيس للوظائف الإنجابية (تافرز 1992، 97).

لتثبت علمياً أن هذا الفكر الرئيس في الداروينية يتطلب إنتاج روايات من البحوث التجريبية التي تدعم موقف النساء الأقل شأناً. حتى اليوم، لا يزال بعض علماء التطور يقبلون الكثير من هذه الاستنتاجات (راشكون وأنكني 1996؛ تشيلدز 1975). يشير جيبونز إلى أن العديد من أنصار التطور يتجاهلون الأهمية الحيوية للعوامل الاجتماعية ويتوصلون إلى أن الاختلافات الجنسية في النشاط العقلي لها "جذورها في الضغوط التطورية القوية على الجنسين خلال عصور ما قبل التاريخ عندما كان المخ يتوسع بسرعة" (1991، 958).

قدرة دماغ الإناث الدونية

كان أحد المناهج التي ضبطت على أساس علمي لإثبات أن الإناث كانت أدنى من الذكور "يثبت" أن قدرتها الدماغية المتوسطة كانت أصغر. سعى الباحثون لأول مرة لإثبات قدرة الجمجمة الأصغر في الإناث من خلال قياسات الجمجمة، ثم حاولوا إثبات الهامة الأكثر صعوبة التي كانت لطاقة المخ علاقة سببية مباشرة بالذكاء (فان فالين 1974). وفُسر هذا النهج في التبرير نحو إثبات الدونية من قبل داروين:

بما أن الكليات العقلية المختلفة تطورت تدريجياً فإن المخ سيصبح أكبر بالتأكيد.... إن النسبة الكبيرة التي يتحملها حجم دماغ الإنسان لجسمه، مقارنة

بنفس النسبة في الغوريلا أو إنسان الغاب، ترتبط ارتباطًا وثيقًا بقواه العقلية العليا.... هناك علاقة قوية بين حجم المخ وتطور الكليات الفكرية التي تدعمها المقارنة بين جماجم الأجناس الهمجية والمتحضرة والأشخاص القدامى والحديثين، وعن طريق التشابه بين سلسلة الفقاريات بأكملها. (1896، 54).

أحد أبرز الباحثين الأوائل الذين استخدموا علم القحف لإثبات الدونية الفكرية للمرأة كان داروين بول بروكا (1824–1880). كان البروفيسور بروكا جراحًا في كلية الطب في باريس، وهو واحد من أرقى علماء الأنثروبولوجيا الفيزيائية في أوروبا ومؤسس الجمعية الأنثروبولوجية المرموقة (الرسوم 1979، 415). كان الشغل الشاغل لهذا المجتمع هو قياس السمات البشرية المختلفة، بما في ذلك الجماجم، من أجل "تحديد المجموعات البشرية وتقييم قيمتها النسبية" (جولد 1996، 115).

واستنتج بروكا إلى أنه في البشر الأصحاء، يكون المخ، في المتوسط، أكبر في "الرجال منه في النساء"، وأكبر في "الرجال البارزين من الرجال ذوي المواهب المتوسطة"، وأكبر "في الأعراق العليا من الأجناس الدنيا" (جولد1996، 115). وأضاف أن هناك أشياء أخرى متساوية، وأن "هناك علاقة ملحوظة بين تطور الذكاء وحجم المخ" (جولد1996، 115).

وفي ضوء استنتاجاته، لم يكن بحث بروكا سطحيًا كما قد نتوقع، ولكنه كان واسعًا وشاملًا بحيث لا يستطيع المرء قراءة كتاباته "دون اكتساب احترام كبير لرعايته في توليد البيانات" (جولد1996، 117). وركز بروكا على المقارنات الفكرية والجماعية وعلى كافة المقارنات التي جمعها، وكان أكبر قدر من المعلومات عن أدمغة النساء مقابل

الرجال (غولد 1996، 135). واستنتج إلى أن "الحجم الصغير نسبيًا لدماغ الإناث" يرجع إلى دقتها الجسدية والفكرية (جولد 1996، 136). وأضاف بروكا أن التباين بين أدمغة الرجال والنساء لا يزال يتزايد في المجتمع الحديث نتيجة "اختلاف الضغوط التطورية" (غولد 1996، 136).

كان قياس حجم المخ بالغ الأهمية في إثبات الدونية للمرأة، لأنه كان من المفترض أن حجم المخ يرتبط مع الذكاء. واعتبرت هذه العلاقة حاسمة من وجهة نظر بيولوجية وتطورية... كان هناك تأثيرًا سببيًا مباشرًا، من خلال الانتقاء الطبيعي في سياق التطور البشري، بين الذكاء وحجم المخ. كانت الميزة الانتقائية التطورية لزيادة حجم المخ هي القدرة الأكبر على الأداء الفكري الأكثر تعقيدًا. "الانتقاء الطبيعي على الذكاء بكثافة تقديرية حالية يكفي لشرح المعدل السريع لزيادة حجم المخ في التطور البشري" (جنسن 1980، 361).

الداروينى غوستاف لو بون (1841–1931)، مؤسس مجال علم النفس الاجتماعي ورائد في مجال السلوك الجماعي الذي كان دراسته الكلاسيكية هي سلوك الغوغاء، (1895)، وهو مألوف لكل طالب في العلوم الاجتماعية، علم أنه حتى في الأجناس الأكثر ذكاءً، هناك عدد كبير من النساء لديهن أدمغة: " أقرب في الحجم من تلك التي لدى الغوريلات منها إلى أدمغة الذكور الأكثر تطوراً. هذه الدونية واضحة لدرجة أنه لا يمكن لأحد أن ينافسها للحظة. فقط درجة ممن يستحق المناقشة.... نساء... تمثل الأشكال الأدنى من التطور البشري وهن أقرب إلى الأطفال والكبار، من الرجال المتحضرين. إنها تتفوق في التقلب، وعدم الاتساق، وغياب الفكر والمنطق، وعدم القدرة على التفكير. من دون شك توجد بعض النساء المتميزات... ولكنها استثنائية

مثل ولادة أي شيء بشع، كما على سبيل المثال في الغوريلا برأسين. وبالتالي، قد نهملهن تمامًا (غولد 1996، 136-137).

كان أنصار التطور الآخرين مقتنعين بأن الاختلافات العديدة بين أدمغة الذكور والإناث شملت فصوص أمامية أقل تطوراً وألياف دماغية أكثر نعومة وحيوية في الإناث. وكانت الفصوص الأمامية للذكور في كافة النواحي أكثر تطوراً من تلك الخاصة بالإناث، وهو اختلاف في الجنس وجد حتى في الجنين (الدروع 1975). الاختلافات المفترضة الأخرى التي أشارت إلى أن الذكور كانت متفوّقة شملت تعقيد وتشكيل الجيروسكوب والتلم والجسم الثفني ومعدل تطور قشرة الجنين (شيلدز 1975، 740—742).

دراسة حديثة أجراها فان فالين (والتي استنتجها العالم النفساني من جامعة كاليفورنيا - بيركلي آرثر جنسن كانت "المراجعة الأكثر شمولاً وتعقيداً في الآونة الأخيرة لكل الأدلة المتعلقة بحجم المخ البشري وذكائه") وجدت أن أفضل تقدير للداخل الجنسي قد يكون الارتباط بين حجم المخ ومعدل الذكاء "عاليًا مثل 0,3" (جنسن1980، 361؛ فان فالين 1974، 417). لسوء حظ الداروينيين، فإن العلاقة بين 0,3 تمثل 9 في المائة فقط من التباين بين الجنسين، وهو فرق قد يكون دليلاً على الاختبار والتحيز الثقافي أكثر من الدونية البيولوجية.

حتى إن شالتر يرى أن مقارنة حجم المخ والذكاء (السيطرة على الطول والوزن) يمكن تفسيره على أنه "لدى النساء أدمغة أكبر من الرجال" (شالتر1992، 181). ثم يشرح لماذا من السذاجة استخدام التحليل الإحصائي، مثل الانحدار المتعدد، لإجراء مقارنات بين أحجام الدماغ لدى النساء والرجال، حتى عندما يحاول المرء التحكم في

حجم الجسم والاختلافات في الوزن. يمكن للاستنتاجات السابقة أن تسمح للمرء بالمجادلة مقتنعاً بأن الأدمغة أكبر نسبيًا سواء للرجال أو النساء، حتى لو قام أحدهم بجمع كميات كبيرة من البيانات الدقيقة. لقد أساء العديد من الداروينيين في الماضي أو أساءوا فهم التحليل الإحصائي، وبالتالي قاموا بتصوير نفس النوع من الخطأ الذي وصفه شلايتر.

في استعراضه المكثف لعمل البروفيسور بروكا، استنتج غولد إلى أن استنتاجات بروكا تعكس فقط "الافتراضات المشتركة لأغلب الذكور البيض الناجحين خلال فترة وجود أنفسهم على القمة... والنساء السود، والفقراء أدناه "(1996، 117). كيف توصل بروكا إلى هذه الاستنتاجات؟ يجيب غولد بأن "حقائقه كانت موثوقة... لكن قاموا بجمعها بشكل انتقائي ثم التلاعب بها دون وعي في خدمة الاستنتاجات المسبقة "، أي الاستنتاج بأن النساء كن فكريًا أو أقل شأنا من الرجال، تمامًا كما تنبأ التطور.

أدى بحث بروكا الإضافي والمناخ الاجتماعي المتغير في وقت لاحق إلى تعديله لوجهات نظره، مستنتجًا أن الثقافة كانت أكثر أهمية مما افترضه هو وآخرون من الداروينيين لأول مرة (إليس 1934).

الانقلاب على عقيدة دونية الأنثى

على الرغم من أن عدم المساواة كان يُعتقد منذ زمن طويل، "لقد ظل وضع المرأة الثانوي لفترة طويلة للغاية على افتراضات سهلة حول دونية الأنثى"، وقد حُقق في هذه الافتراضات الدونية علمياً منذ السبعينيات (روسر1992؛ فيي 1979، 415). كان الدافع الحديث للداروينية في الغالب مدفوعًا بالحركة النسائية لتحدي استنتاج داروين

بأن التطور قد أنتج رجالًا "متفوقين على النساء جسديًا وذهنيًا" (روسر1992، 58). وقد أظهرت هذه الانتقادات عيوبًا كبيرة في الأدلة المستخدمة لإثبات دونية الإناث، ونتيجة لذلك، حددت المغالطات في النواحي الرئيسة للداروينية (علية 1977). على سبيل المثال، تجادل إليزابيث فيشر بأن نظرية الانتقاء الطبيعي وانطباقها على البشر والمدعومة من قِبَل داروين أمر مشكوك فيه. يقتبس فيشر تشومسكي، الذي أشار إلى أن العملية التي يحقق بها العقل البشري حالته الحالية من التعقيد هي:

لغز كلي.... من الآمن تماماً أن نعزو هذا التطور إلى "الانتقاء الطبيعي"، طالما أننا ندرك أنه لا يوجد مضمون لهذا التوكيد، وأنه لا شيء أكثر من اعتقاد بأن هناك بعض التفسير الطبيعي لهذه الظواهر (تشومسكي 1972، 97).

كما جادل فيشر بأن الأبحاث الوراثية الحديثة قوضت بشكل خطير العديد من الجوانب الرئيسة لفرضية داروين - خاصة نظرية الانتقاء الجنسي. وعلى النقيض من مطلب الداروينية، حتى لو كان الاختيار الطبيعي يعمل بشكل مختلف على الذكور والإناث، فإن الذكور سيمررون العديد من جيناتهم العليا إلى أبنائهم وبناتهم، لأن غالبية "الجينات ليست موروثة على طول الخطوط الجنسية". وبصرف النظر عن الجينات الموجودة على الكروموسوم Y، "يتلقى الذكور الجينات من الأم والأب" (فيشر 1979، 112).

كان لدى داروين ومعاصروه القليل من المعرفة بالوراثة، لكن هذا لم يمنعهم من التوصل إلى استنتاجات شاملة حولها. حتى أن داروين قد أدلى بالإدعاء الكاذب بأن الخصائص المكتسبة عن طريق الانتقاء الجنسي تقتصر عادة على جنس واحد (كروك1972). ومع ذلك، أدرك داروين في مكان آخر أن المرأة تستطيع نقل غالبية

خصائصها إلى ذريتها من الجنسين، وهي حقيقة تجاهلها في غالبية كتاباته (1871، المجلد 2، 236، 298، 308، 329). على سبيل المثال، أدعى داروين أن العديد من السمات، بما في ذلك العبقرية والقوى العليا للخيال والعقل، "انتقلت بشكل كامل إلى الذكر أكثر من ذرية الأنثى. أصبح الرجل في النهاية متفوقًا على المرأة "(1871، المجلد 2، 328). لم يُذكر الأساس العلمي الذي تم على أساسه هذا الاستنتاج.

كانت وراثة الخصائص المكتسبة جزءًا هامًا من الداروينية. كان هناك سببان رئيسان وراء قبول داروين لوجهة نظر الذكور المتفوقة، وهما نظريته في نظرية "شمولية التخلق" ووجهة نظره في أن بعض الخصائص المكتسبة يمكن توريثها. من بين الضربات الرئيسة لكل من بانغينيسيس (وكافة أشكال اللاماركية الأخرى) كان عمل أوغست وايزمان ، الذي أثبت أن الخلايا التناسلية للحيوانات "متميزة، يمكن تحديدها وتمييزها في مرحلة مبكرة من التطور في كل من الذكور والإناث [و] لم تكن هناك طريقة يمكن أن تؤثر فيها خلايا الجسم على الخلايا الجرثومية "(جورج 1982، 63). على الرغم من أن غالبية العلماء ظلوا يدعمون اللاماركية بعد فترة طويلة من نشر عمل وايزمان، حيث دعم العمل الجديد بشكل متزايد استنتاجات وايزمان، توفي لامارك ببطء (على الرغم من أنه تم إعادة بعثه عدة مرات في التاريخ).

في وقت لاحق، أثبتت نماذج الوراثة مندليان ودي فريزيان أن الأم والأب ساهما بكميات متساوية من المعلومات الوراثية للكروموسوم الجسدي لكل من ذريتهم من الذكور والإناث. ومن عجيب المفارقات أن هذه الضربة الكبرى لنظرية التفوق الذكوري - التي جعلتها غير مقبولة إلى حد كبير - لم تسفر عن أي رفض واسع النطاق لهذه

النظرية. فقط حركة الحقوق المدنية أجبرت على إعادة تقييم المواقف التي كانت متأصلة للغاية في كل من النظرية العلمية والمعايير الثقافية للمجتمع.

إن علم الوراثة الحديث لا ينفي بشكل كامل الأسباب التي استُخدمت في استنتاج أن الإناث متدنية من الناحية التطورية، لأن بعض الصفات المرتبطة بالجنس لا يمكن أن يورثها عادة الذكور إلا على كروموسوم Y. يكون كروموسوم Y أقصر بكثير وله جينات أقل بكثير من كروموسوم X. لأن المرأة الطبيعية ترث اثنين من كروموسومات X، فإن العديد من الجينات المتعسرة الضارة على كروموسوم X الخاص بها والتي يقومون بإخفائها من قبل الجينات السائدة غير الضارة على كروموسوم X الخاص بها. الذكور ليس لديهم هذه الميزة. ويُعبر عن العديد من الصفات المقنعة في الإناث عند الذكور، لأن كروموسوم Y الذكور يفتقر إلى العديد من الأليات X. هذه الحقيقة تدل على التفوق الجيني للمرأة، وهذا هو السبب في أن العديد من الأمراض الوراثية مثل عمى الألوان والهيموفيليا أعلى بكثير في الذكور أكثر من الإناث. هذه الصفات الوراثية، على الرغم من ذلك، غالبًا ما تكون موروثة من خلال الأم والتي أعرب عنها فقط من قبل الأبناء (هاردي 1981).

مساهمة داروين في التمييز الجنسي

على الرغم من أن نظرية داروين دعمت (وطورت في كثير من النواحي) العنصرية والممارسات الجنسية القائمة على أساس بيولوجي، إلا أن البعض يجادل بأنه لن يوافق على نتائج نظريته، ولا يمكن أن ينتهكها. ذهب كثير من تلاميذه إلى أبعد من ذلك – حتى اختتم ابن عم داروين جالتون من دراسته مدى الحياة حول موضوع "المرأة تميل

بكل قدراتها لتكون أقل شأنًا من الرجل" (شيلدز 1975، 743، التأكيد له).

وأضاف ريتشاردز أن "المنحة الأخيرة أكدت الدور المركزي الذي تلعبه العوامل الاقتصادية والسياسية في استقبال النظرية التطورية"، وأن الداروينية قدمت "الأسس الفكرية للإمبريالية، والحرب، والاحتكار، والرأسمالية، وعلم تحسين النسل"، والعنصرية، والتمييز على أساس الجنس. أن "دور داروين الخاص في هذا الأمر لم يكن ضئيلاً، كما أُكد في كثير من الأحيان" (1983، 88). بعد أن لاحظ أن داروين كان يعتقد أن الشاعر الشهير الدارثوني هربرت سبنسر كان "أعظم فيلسوف حي في إنجلترا.. واستنتج فيشر إلى أن الدليل على الآثار السلبية للتدريس التطوري في التاريخ لا يمكن إثباته:

فالأوروبيون كانوا ينتشرون في إفريقيا وآسيا وأميركا، وهم يتهمون الأرض ويخضعون السكان الأصليين ويذبحونهم. لكن أي ذنب خبوه الآن قد اختفى. نظريات سبنسر التطورية برهنت عليهم.... أصل الأنواع لداروين ، الذي نشر في عام 1859، صنع الانقلابًا. ليس فقط في الاختلافات العرقية والطبقية والوطنية، ولكن كل عاطفة بشرية واحدة هي المنتج النهائي التكيفي للتطور والاختيار والبقاء للأصلح (1982، 116).

اتفقت هذه الاستنتاجات الداروينية حول الإناث مع "الاستنتاجات العلمية الأخرى السائدة اليوم. من علم الأنثروبولوجيا إلى علم الأعصاب، أثبتت العلوم أن الفضائل الفيكتورية الأنثوية من السلبية، والحياة الأسرية، والأخلاق العظيمة (... أقل النشاط الجنسي) كانت متجذرة في البيولوجيا الأنثوية "(ستاينيم 1992، 133). ونتيجة لذلك، استنتج العديد من الأشخاص إلى أن "التاريخ التطوري قد منح المرأة جينات ورجالًا محليين ورعاة ذوي جينات محترفة" (هوبرد وآخرون 1979، 208). وأضاف ستاينم أن:

الصفات السلبية المرفوضة والطفولية من "الأجناس الداكنة" (التي كانت لا تزال تسمى "عبء الرجل الأبيض") كانت [كما يعتقد أنصار التطور] جزءًا من مصيرهم البيولوجي. كما دبر التطوريون أن سبب كل هذا هم " الرجال الذين لم يكونوا قوقازيين والنساء من كافة الأجناس كانوا أقل على مقياس التطور. في حالة العرق، كان هذا بسبب زمن تطوري بسيط.... في حالة المرأة القوقازية - التي كان من الواضح أنها كانت تتطور ما دامت مع نظائرها من الذكور - كان هناك سبب آخر. كانت الأنظمة العصبية الأقل تعقيدًا والذكاء الأقل للإناث هي التكيف التطوري لألم الولادة، والعمل المنزلي المتكرر، وغير ذلك من المهام البدنية وغير الفكرية. وبطبيعة الحال، افترض كذلك أن الإناث من الأجناس "الدنيا" أدنى من نظرائهن من الذكور (1992، 133-134).

لقد جادل العديد من علماء الأحياء في القرن التاسع عشر عن دونية النساء لأنهم اعتقدوا أن "التشدد النسائي اللامبالي هدد بإحداث اضطراب في الأجناس وتحويل عملية التطور المنظمة" (في 1979، 415). واعتمد باحثون آخرون النهج الذي تقوم به المنظمة الاجتماعية الجماعية في القرن الماضي وعوامل مماثلة في الحد ببطء من عدم المساواة القائمة بين الجنسين (بورجيز1963). كان للتدريس كذلك آثار واضحة على السياسة الاجتماعية:

بالنسبة لداروين، كانت الاختلافات الفكرية بين الجنسين، مثل اختلافاتهم الجسدية، قابلة للتنبؤ بالكامل على أساس النظر في الإجراء الطويل الأمد للانتقاء الطبيعي والجنسي.... كان الذكاء الذكري قد شُحذ باستمرار من خلال النضال من أجل حيازة الإناث (أي الانتقاء الجنسي) ومن خلال الصيد وأنشطة الذكور الأخرى مثل

الدفاع عن الإناث والشباب (وهذا هو الاختيار الطبيعي) (ريتشاردز 1983، 886 –887).

وأضافت، وفقًا لداروين:

"لقد أصبح الرجل في نهاية المطاف متفوقًا على المرأة". على هذا الأساس، جادل في كتابه "النسب" بأن التعليم العالي للنساء، والذي كان موضع جدل شديد في إنجلترا الفيكتورية، قد لا يكون له تأثير طويل المدى على هذا الاتجاه التطوري لزيادة ذكاء الذكور من أي وقت مضى.... سيعزز ذكاء الذكور باستمرار من قبل النضالات التنافسية الشديدة من الذكور والتي خضعت بالضرورة من أجل الحفاظ على أنفسهم وعائلاتهم، و "هذا سيميل للحفاظ على / أو حتى زيادة قدراتهم العقلية، ونتيجة لذلك، عدم المساواة الحالية بين الجنسين (ريتشاردز 1983، 886–887).

لقد كان إيمان النساء بالنقص متأصلًا للغاية في البيولوجيا التطورية التي استنتجها مورغان إلى أن الباحثين يميلون إلى تجنب "موضوع البيولوجيا والأصول بأكملها"، على أمل أن يتجاهل هذا التاريخ المحرج وأن يتمكن العلماء "من التركيز على ضمان الأشياء المستقبلية لتكون مختلفة "(1972، 2).

حتى العلماء النساء تجاهلن إلى حد كبير نظرية الدونية الداروينية (مارغوليس وساجان 1986؛ تانر وزيلمان 1976). يشدد مورغان على أننا لا نستطيع ببساطة تجاهل علم الأحياء التطوري، لأن الاعتقاد بأن "تراث الغابة وتطور الإنسان كآكلي لحوم قد ترسخ في عقل الإنسان بشكل صارم مثلما فعل جينيسيس على الإطلاق" وأن الذكور قاموا ببناء نظرية" بذاتها مدعومةً بمجموعة هائلة من الحقائق الموثوقة علمياً "(1972، 2—3). ويجادل مورغان بأن هذه "الحقائق" يجب إعادة تقييمها، لأن العلماء

"ضللوا" في بعض الأحيان بسبب التحامل والافتراءات الفلسفية. يجادل مورغان أنه على الرغم من أن عشرات الباحثين قد قلبوا النظرية القائلة بإن النساء أقل شأناً بيولوجياً من الذكور، فإنه يجب تحدي النظرية أكثر.

التأثيرات الثقافية على وجهة نظر الداروينية للمرأة

كانت الثقافة ذات أهمية كبرى في تشكيل نظرية داروين (روسر1992، 56). كانت آراء الطبقة الوسطى الفيكتورية عن الرجال واضحة في كتاب "أصل الإنسان" والكتابات الداروينية الأخرى. ويشدد ريتشاردز على أن الافتراضات الفيكتورية لكل من حتمية وصواب دور المرأة في الأخلاق المعنوية المحلية:

ودور الإنسان كمزود عدواني حر وغرور، قد كُرست في إعادة بناء داروين للتطور البشري. أسلافنا الإناث... كانت الأمهات، الخجولة جنسيا، والأكثر من حيث العطاء، والإيثار، في حين أن أسلافنا الذكور كانوا "طبيعيين" تنافسيين وطموحين وأنانيين، لا يختلفون عن داروين نفسه... كتب في النسب: "الرجل هو منافس الرجال الآخرين؛ إنه مسرور بالمنافسة..." كان... النظام الطبيعي للأشياء، مثلما كان الرجل "أكثر ذكاءًا" من المرأة، كما أظهر داروين رضاه من خلال ندرة النساء البارزات المثقفات والمهنيات: "التمييز الرئيسي في القوى الفكرية للجنسين هو مبين من قبل الرجل الحصول على أعلى درجة في كل ما يأخذ، من النساء - سواء كانت تتطلب التفكير العميق أوالعقل أو الخيال أو مجرد استخدام الحواس أو الأيدي (1983، 885).

وبالرغم من أن الداروينية عملت الكثير من أجل إعاقة حقوق الإنسان، لكن القوى الأخرى أثرت كذلك على قبول عقيدة دونية المرأة: قبل وقت طويل من داروين،

كان "مؤيدو التطور" في وقت سابق قد أعادوا النساء إلى دور الاستعباد والدونية في كل من الثقافات الدينية الإلحادية والشمولية. الصورة الشائعة لـ "رجل الكهف" الذي يسحبه من شعره، وكذلك الدور الخاضع للنساء في كافة الأديان الوثنية (موريس 1989، 135).

كما أن المفهوم الداروينى للتفوق الذكوري قد ساعد على زيادة العلمنة. من المجتمع، وجعلت النظرية الطبيعية التطورية ترى أن البشر خلقوا بموجب القانون الطبيعي أكثر من الاتجاه الإلهي (جورج 1982). كانت الطبيعة هامة للغاية في تطوير عقيدة دونية النساء. لم تكن وجهة نظر داروين في الاختلافات الجنسية البشرية في النسب بدافع من الموجة المعاصرة المناهضة للنسوية... ولكن كان ذلك مركزيا في تفسيره الطبيعي للتطور البشري. لقد كان من وجهة نظره النظرية الموجهة أن الخصائص العقلية والطبيعية البشرية قد نشأت عن طريق عمليات تطورية طبيعية أدت إلى تأهب هذه الخصائص في الطبيعة بدلاً من التنشئة - للإصرار على الأساس البيولوجي للاختلافات العقلية والأخلاقية (ريتشاردز 1983، 97).

كانت إحدى الطرق الرئيسة لمهاجمة الاستنتاج التطوري لدونية الإناث هي نقد الدليل على الداروينية ذاتها. فيشر، على سبيل المثال، لاحظ أنه من الصعب أن نفترض نظريات حول أصول الإنسان على تنظيم الدماغ الفعلي "من أسلافنا الأحفوريين المفترضين، مع عدد قليل من الجماجم المشربة من الحجر الجيري - غالبيتها ضربت، تحطمت، وغيرت بطريقة أخرى بمرور ملايين السنين [للوصول إلى أي استنتاجات صحيحة على أساس هذا]... الدليل، قد تبدو فلكيةً "(1979، 113).

يضيف هوبارد أن "الصور النمطية للجنس الداروينى" ما زالت موجودة "في

المؤلفات المعاصرة حول التطور البشري. هذا هو الحقل الذي تكون فيه الحقائق قليلة ويفصل العينات بمئات الآلاف من السنين، بحيث يكون الحد الأقصى متاحًا لتحيز المحققين "(1979، 26). ثم يناقش هوبارد "جهلنا الساحق" بتطور الإنسان وحقيقة أن النظرية المقبولة حالياً هي مجرد تكهنات.

العديد من محاولات دحض وجهة النظر القائلة بأن النساء متدنّين فكريا، تُهاجم بشكل مماثل جوهر النظرية التطورية ذاتها، لأن هذا الاعتقاد يرتبط ارتباطًا لا ينفصل عن دونية المجموعة البشرية (التي يجب أن تكون موجودة أولاً كي يحدث الانتقاء الطبيعي). لقد أنتجت التقييمات النظرية للنقص الأنثوي العديد من الانتقادات الحاسمة والمنطقية لكل من الانتقاء الجنسي والطبيعي، بالإضافة إلى جوانب أخرى من الداروينية.

يمكن استخدام التطور للتناظر من أجل التفوق الذكوري، ولكن يمكن استخدامه كذلك لبناء حالة للعكس. تحتوي الأدلة على العديد من المناطق المفتوحة "للتفسير الفردي" التي استخدمها بعض المؤلفات النسويات وغيرهن "للقصة التطورية ذاتها لاستخلاص الاستنتاج المعاكس بالتحديد"، وهو ما يفترض أنه يثبت التفوق التطوري للمرأة (لوف 1983، 124). ومن الأمثلة البارزة على ذلك كتاب مونتاجو الكلاسيكي لعام 1952، "التفوق الطبيعي للمرأة". حتى أن بعض علماء البيولوجيا من النساء جادلن في نظرية التطور النسائي، مستنتجين أن المرأة هي جذع تاريخ التطور، والرجال ليسوا سوى فرع، سليل مُطَعم (هيل 1980). وحاول آخرون دمج "المعرفة التطورية الداروينية" التي قاموا بإصلاحها مع المثل العليا النسوية المعاصرة "(هيل، 1980، 263). واستنتج هابجود إلى أن التطور يثبت أن الذكور موجودون لخدمة الإناث، مجادلين

أن "الذكورة لم تتطور في الفراغ"، ولكن بسبب اختيارها من قبل الإناث. ويلاحظ أن العديد من الأنواع الحيوانية هي كائنات تمثيلية وراثية ويمكن أن تتكاثر دون ذكور، وحقيقة أنها لا تحتاج إلى جنس الذكر تثبت أن "الذكور غير ضروريين" في بعض البيئات (هابجود 1979، 23-24). إنها الأنثى التي تتكاثر، والتطور يعلم أن البقاء مهم فقط إلى الدرجة التي تشجع على الإنجاب. وبالتالي، يجادل هافغود بأن الداروينيين يستنتجون أن الذكور تطورت فقط لخدمة الإناث في كافة جوانب حمل الطفل ورعايته، والتي من شأنها أن تشمل كلاً من ضمان أن تصبح المرأة حاملاً وحماية ذريتها أيضًا.

النظرية التحريضية الأخرى هي أن المرأة لم تكن متفوقة فحسب، بل أن غالبية المجتمعات كانت ذات يوم ذات ميول أولية. كما يجادل هؤلاء المراجعين بأن الهيمنة الأبوية كانت بسبب عوامل حدثت مؤخراً نسبياً (ريد 1975). وبالطبع، فإن النظريات التي تفترض الدونية التطورية للذكور تعاني من العديد من المشكلات ذاتها التي تعاني منها دونية المرأة.

تأثير الداروينية على المجتمع

يجادل بعض العلماء، بما في ذلك بعض علماء الاجتماع، بأن الداروينية يجب أن تستخدم لإنتاج نظامنا الأخلاقي (غولدبرغ 1973). على سبيل المثال، جادل فورد بفكرة أنه يجب علينا القضاء على التحيز الجنسي على أنه أمر خطأ وأن "التمييز بين الجنسين الذي نراه كثيرًا في مجتمعاتنا هو في الواقع"... نتيجة ضرورية للقيود التي يمارسها تطورنا. هناك عوامل واضحة تجعل الرجال أكثر عدوانية "(فورد، 1980، 8).

بعد استنتاج أن النقص في الإناث هو نتيجة للانتقاء الطبيعي، فإنه غالباً ما

ينطوي على أن ما ينتجه الانتقاء الطبيعي هو طبيعي، وبالتالي صحيح، أو على الأقل يعطي "كرامة معينة" للسلوكيات التي "قد نعدها شاذة أو حيوانية" (سيمونز 1980، 61). على سبيل المثال، يعرف النجاح التطوري بأنه ترك مزيدًا من النسل؛ وبالتالي، سيختار الاختلاط في الذكور البشرية. يستخدم هذا التفسير لتبرير الاختلاط في الذكور وعدم المسؤولية، ويجادل بأن محاولة تغيير "تصميم الطبيعة الكبير" هي غير مجدية (سيمونز 1980، 61).

حتى أن فوكس يجادل بأن معدل الحمل المرتفع بين الفتيات المراهقات غير المتزوجات اليوم يرجع إلى "تراثنا التطوري" الذي "يدفع" الفتيات الصغيرات إلى الحمل (1980). وبالتالي، يستنتج فوكس إلى أن المحظورات الثقافية والدينية ضد حمل المراهقين غير المتزوجين مآلها الفشل. رداً على هذه الأفكار، يُظهر تانج مارتينز أن تطبيق التطور على السلوك، وهو مجال يسمى علم الاجتماع، هو: خطأ وغير علمي، وهناك القليل من الأدلة الموثوقة لدعم الادعاءات الاجتماعية البيولوجية حول الاختلافات بين الذكور والإناث [و]... إن علم الاجتماع الاجتماعي البشري هو محدد بيولوجيًا ولا يخدم سوى تبرير وتشجيع اضطهاد المرأة من خلال إدامة فكرة أن هيمنة الذكور واضطهاد الإناث هي نتائج طبيعية للتاريخ التطوري البشري. وعلاوة على ذلك، فإنهم يجادلون بأن الاعتماد على سيناريوهات تطورية مشكوك فيها يمكن أن يستخدم لترشيد وتبرير سلوك الرجال البغيض. على سبيل المثال يمكن إعفاء الرجل في منتصف العمر الذي يترك زوجته في منتصف العمر من أجل امرأة أصغر سناً لأنه يتصرف وفقاً للنظرية الاجتماعية عن طريق التصرف من أجل تعظيم مساهمته الجينية إلى الأجيال القادمة عن

طريق ترك زوجة أقدم لديها "قيمة تناسلية منخفضة" لصالح أنثى أصغر سناً ذات قيمة إنجابية أعلى (1997، 117).

يجادل إيبرهارد بأن عدوانية الذكور المادية مبررة بالانتقاء الجنسي وأن "الذكور أكثر عدوانية من الإناث في الأنشطة الجنسية التي تجري التزاوج (ناقشها مطول داروين في عام 1871 وتأكدت عدة مرات منه...)" (إيبرهارد 1985، 67). وعلاوة على ذلك فإن الاستنتاج "الآن أصبح مقبولًا على نطاق واسع... أن الذكور من غالبية الأنواع أقل انتقائية وخطورة في التودد لأنهم يقومون باستثمارات أصغر في النسل "يستخدم لتبرير الاختلاط الجنسي عند الذكور (إيبرهارد 1985، 69). بعبارة أخرى، يُحدد اختلاط الذكور، وراثياً، وبالتالي هو "طبيعي" لأن "الذكور يربحون، من الناحية التطورية، من التزاوج المتكرر، والإناث لا" (تافرس 1992، 214).

والسبب هو أنه كلما زاد عدد الإناث اللواتي يتزوج بهن الذكور، كلما زاد إنتاجه - بينما تحتاج أنثى إلى ذكر واحد فقط لتصبح حاملاً. لا يمكن للتطور أن يتقدم إلا إذا اختارت الإناث الذكر الأكثر ملائمة، كما تنبأت به نظرية الانتقاء الجنسي لداروين. ولهذا السبب، يتمتع الذكور "برغبة في عدم التمييز" للتزاوج، بينما لدى الإناث "سلبيات تمييزية" (تافرس 1992، 214). حتى أن بعض النظريين يجادلون بأن الإكراه الجنسي (وحتى الاغتصاب) من قبل الذكور يتنبأ بالتطور:

التكيف النفسي يكمن وراء كل السلوك البشري. وهكذا، فإن الإكراه الجنسي من جانب الرجال قد ينشأ إما عن التكيف النفسي المحدد للاغتصاب - أو قد يكون أحد الآثار الجانبية للتكيف النفسي الأكثر عمومية غير المرتبط بشكل مباشر بالاغتصاب.

قد يساعدنا تحديد الإشارات البيئية المحددة التي صممها أدمغة الرجال من خلال الاختيار إلى العملية في تحديد أي من هذه التفسيرات المنافسة صحيحة.... تدعم البيانات الحالية كافة التنبؤات الستة، وهي بذلك تتفق مع الفرضية الخاصة بالاغتصاب، ولكن هذا لا يلغي فرضية الآثار الجانبية، والتي تتوافق كذلك مع النتائج، بالإضافة إلى المزيد من الأدلة على أن التزاوج القسري يزيد من ملاءمة الذكور الأجداد أثناء تطور الإنسان (ثورنهيل وثورنهيل 1992، 363).

كما يستنتج بعض الداروينيين أنه نظرًا لأن العديد من الاختلافات السلوكية الجنسية (مثل الاعتداء الجنسي من قبل الذكور) هي نتيجة للتطور، فهي، بالتالي، جزء لا يتغير من بيولوجيتنا (جيزيلين 1974). إن السعي إلى تغيير "النظام الطبيعي" لدونية النساء يتعارض كذلك مع "تصميم الطبيعة الكبير" (جيزيلين 1974). تقول سيمونز أن العديد من الاختلافات في السلوك والسلوك بين الجنسين فطرية ولا يمكن القضاء عليها عن طريق تربية متطابقة للذكور والإناث (1980، 162).

والسبب هو أن الإناث تطورت لتكون مخلصة وأن تكون الذكور خائنة، وأن تكون الذكور عادلة وأن الإناث تفتقر إلى إحساس بالعدالة – وأن تغيير هذه الاختلافات البيولوجية أمر مستحيل، أو في الأقل مليء بالصعوبات (جيزيلين 1974، 13). ردا على هذه الاستنتاجات، جادل ريتشاردز أن العلماء المهتمين بالحجج التطورية مثل هذه يجب عليهم استكشاف "الأبعاد الاجتماعية لكتابات داروين حول التطور البيولوجي والاجتماعي للمرأة".... دعم رؤية متحيزة وتمييزية لقدرات وإمكانيات المرأة.... الجزء الصغير من "أصل الإنسان | الذي يحمل اسم أصل الرجل، حيث

استنتج داروين الدونية الطبيعية والفطرية للمرأة من نظريته في التطور عن طريق الانتقاء الطبيعي والجنسي، أصبح سريع السمعة في المؤلفات النسوية (ريتشاردز 1983، 59- 60).

الاستنتاجات والآثار

إن الاستنتاج الداروينى بأن المرأة دونية كان له العديد من العواقب الاجتماعية التاريخية المؤسفة. يُعتقد أن الانتقاء الجنسي حاسم في التطور، ومن بين البيانات التي تجمعها داروين وأتباعه لدعم دونية النساء، كانت تلك التي تدعم الانتقاء الطبيعي كانت هي الحاسمة (موسديل 1978). ونشأت نظرية تخلُّف المرأة بالنقص عن حقيقة تفيد أن الآلية الرئيسة التي من المفترض أصلاً أن تُفسر التقدم التطوري تبين أنها خطأ. هذه البيانات، على الرغم من اكتمالها اليوم، تشبه إلى حد كبير تلك التي استخدمها داروين لتطوير نظريته، مع دعم استنتاجات مختلفة جذريًا. يوضح هذا بوضوح مدى أهمية كل من الأفكار المسبقة والنظرية في تفسير البيانات. لقد تطورت فكرة الدونية التطورية للمرأة جزئياً لأن القياس كان آنذاك: وتمجد الآن كأساس أساسي للعلم: أراد كل من علماء التشريح والأخصائيين النفسيين قبل كل شيء آخر أن يكونوا "علميين"... كانت النظرية النفسية السابقة معنية بتلك العمليات العقلية الشائعة للجنس البشري: كان رجال القرن التاسع عشر أكثر اهتمامًا بوصف الاختلافات البشرية (في 1979، 419).

لم تُبحث هذه الاختلافات البشرية لفهمها (ومساعدة المجتمع على التغلب عليها)، بل لتبرير نظرية فرضت لدعم مجموعة محددة من المعتقدات الاجتماعية. لا يمكن تجاهل الآثار المترتبة على الداروينية اليوم، لأن نتائج هذا الاعتقاد كانت مأساوية، خاصة في مجال العنصرية، مما جعل التاريخ الضعيف للعلوم يتجاهل دور هذه الأمور في

علم داروين. يجب أن تعكس الآن الصورة المرتقبة والموضوع والمنظر من داون هاوس، بعيدًا عن الاهتمامات الاجتماعية والسياسية لزملائه من الفيكتوريين الذين أساءوا فهم مفاهيمه العلمية لترشيد إمبرياليتهم، وعلم الاقتصاد، والعنصرية والجنس، الطريق أمام الرجل التاريخي الناشئ، الذي كانت كتاباته في كثير من النواحي متناسقة مع محيطه الاجتماعي والثقافي (ريتشاردز 1983، 887، التأكيد مضاف).

ذهب هوبارد وزملاؤه (1979) إلى أبعد من ذلك وألصقوا بالداروينية "التفرقة الجنسية الصارخة" ووضعوا المسؤولية الرئيسة عن التمييز الجنسي في علم الجنس ومذهب الداروينية الاجتماعي، بشكل مباشر على باب داروين. لقد أظهر تقدم المعرفة أن الداروينية الاجتماعية ليست خطأ فحسب، بل ضارة بشكل مأساوي ولا تزال تؤثر سلبًا في المجتمع اليوم، كما هو الحال في الشكل الحديث الذي يطلق عليه علم الاجتماع. واستنتج هوبارد إلى أن داروين "وفر الإطار النظري الذي تمكن علماء الأنثروبولوجيا وعلماء الأحياء من خلاله من اعتماد عدم المساواة الاجتماعية بين الجنسين" (ريتشاردز 1982 أ، 60). وبالتالي، "من الهام فضح نظرية داروين الانتقائية، ليس فقط لأسباب تاريخية، ولكن كذلك لأنها" تظل جزءًا لا يتجزأ من النظريات البيولوجية المعاصرة "(هوبارت وآخرون1979، 16).

إن التفوق الذكوري هام للغاية لدرجة أن جورج يقول: "إن عنصر التنافس الذكوري في الانتقاء الجنسي هو المفتاح، كما يعتقد داروين، لتطور الإنسان" لأن داروين علم "من كافة الأسباب التي أدت إلى اختلافات في المظهر الخارجي. بين الأجناس البشرية، وإلى حد ما بين الإنسان والحيوانات الدنيا، كان الانتقاء الجنسي هو

الأكثر كفاءة "(1982، 136). سبب حاسم لاستنتاج داروين كان رفضه للاعتقاد الغربي بأن الرجل والمرأة كانا ابتكارات محددة صُممت لتكمل بعضها البعض. في المقابل، يعتقد داروين أن الأجناس البشرية "كانت تعادل أصناف النباتات والحيوانات التي شكلت مواد التطور في العالم العضوي بشكل عام"، وكانت النضالات التي خضعت لها الحيوانات للبقاء في قيد الحياة والتزاوج هي نفس الوسائل التي تشكلت في الأصل الجنسين والأعراق (ريتشاردز 1983 أ، 64).

بعد أن تجاهل داروين النظرة التقليدية، احتاج إلى استبدالها بأخرى، والنظرة الذي اختارها، النضال من أجل حيازة الإناث والغذاء، أدى إلى تنافس الذكور ضد الذكور الآخرين. إن الفكرة القائلة بأن التطور يحبذ الرجال الأكثر نشاطا وعدوانية جنسيا يؤدي إلى الاستنتاج بأن هذه الصفات قد اختيرت لأن هؤلاء الذكور معهم عادة ما يتركوا ذرية أكثر (هوبارت وآخرون1979). ولأن داروين استخدم الحيوانات كنماذج، جاء الداروينيون بالعديد من الاستنتاجات الخاطئة عن البشر (روسر1997، 22). يدرك الباحثون الآن أن هذا النهج غير صحيح لأسباب عديدة، بما في ذلك حقيقة أن درجة التماثل الجنسي في الإنسان الحديث العاقل أقل من غالبية الحيوانات، وحتى أقل من غالبية الرئيسات (زلمان 1997).

إن سياسة المساواة بين الجنسين الحديثة في كل من الولايات المتحدة وأوروبا، والافتقار إلى دعم وضعية النقص البيولوجي للإناث، هو أمر في تناقض كبير مع الاستنتاجات المستمدة من البيولوجيا التطورية في منتصف وآواخر القرن التاسع عشر (مونتاجو 1999). وفي حكم أصحاب السياسات، فإن تاريخ هذه التعاليم هو توضيح واضح للتجاوزات التي يمكن أن تقودها الداروينية (فيليبس 1984).

المراجع

فلافيا ألايا، 1977. "العلوم الفيكتورية و"عبقرية" النساء".صحيفة أفكار التاريخ280-261 :38.

آنا سكوت.بيللر، 1977. السمنة& النحافة؛ التاريخ الطبيعي للسمنة. نيويورك: ماكجراو هيل.

جيري بيرجمان. 1992. "علم تحسين النسل وتطور سياسة العرق النازي."وجهات نظر حول العلم والإيمان المسيحي، يونيو، 123-109 :(2)44.

إليزابيث مان بورجيس،1963. ارتقاء النساء. نيويورك: برازيلليز.

بيتر برينت، 1981. تشارلز داروين: رجل لديه فضول كبير. نيويورك: هربر ورو.

بيرناردكامبيلل، محرر. 1972. الانتقاء الجنسي وأصل الإنسان 1971 -1871. شيكاغو، إل: شركة ألدين للنشر.

نوامتشومسكي، 1972. اللغة والفكر. نيويورك: هاركورت وبراس والعالم.

جون هوريل كروك،1972. الإنتقاء الجنسي والإزدواج الشكلي والمنظمة الاجتماعية في الرئيسيات، في كامبل، المحرر.

تشارلزداروين، 1958. نورا بارلو، المحرر. السيرة الذاتية لتشارلز داروين -1809 1882. نيويورك: شركة و. و. نورتون& شركاه.

---. 1959. أصل الأنواع عن طريق وسائل الانتقاء الطبيعي. لندن: جون ماري.

---. 1871. انحدار الإنسان والانتقاء فيما يتعلق بالجنس. لندن: جون ماري. مجلدين.

---. 1896. انحدار الإنسان والانتقاء فيما يتعلق بالجنس. نيويورك: د. أبليتون وشركاه. إصدار مُنقح.

---. 1897. أصل الأنواع عن طريق وسائل الانتقاء الطبيعي. نيويورك: د. أبليتون وشركاه، إصدار 1897.

---. 1985. (فريدريك بورخاردت وسيدني سميث، المحررين). التوافق عند تشارلز داروين. المجلد 1: 1836 -1821. نيويورك: صحيفة جامعة كامبردج.

أدريان ديسموندوجيمس موور. 1991. داروين. نيويورك: كتب وارنر.

جون آر دورانت،. 1985. "إرتقاء الطبيعة في انحدار الإنسان لدارين" في التراث الداروينى ديفيد كوهين، المحرر. برينستون ن.ج: صحافة جامعة برينستون.

جوين دير،1985. الحرب. نيويورك: شركة منشورات كراون.

ويليامز جابيرهارد، 1985. الانتقاء الجنسي والأعضاء التناسلية للحيوانات. كامبردج، م.أ: صحافة جامعة هارفرد.

هافيلوكإيليس، 1934. الرجل والنساء. دراسة للخصائص الجنسية الثانوية والثالثية. لندن: هينيمان.

إليزابيثفيي، 1979. "علم الجماجم في القرن التاسع عشر: دراسة جمجمة الأنثى".بيان تاريخ الطب433 -415 :53.

إليزابيث فيشر،1979. خلق المرأة؛ التطور الجنسي وتشكيل المجتمع. جاردن سيتي، نيويورك: صحافة أنكور/ دوبليداي.

هيلين يفيشر، 1982. تقلص الجنس؛ تطور السلوك البشري. نيويورك: شركة ويليام

مارو وشركاه.

براين جفورد، 1980. أنماط الجنس؛ الحث على التزاوج ومستقبلنا الجنسي. نيويورك: صحافة سانت مارتن.

روبين فوكس، 1980. المصباح الأحمر لسفاح المحارم. نيويورك: إ.ب. دوتون.

إليزا بورتجامبل، 1849. تطور المرأة: التحقيق في عقيدة نقصها بالنسبة للرجل. لندن: ساموبل الفرنسي.

ويلما جورج، 1982. داروين. لندن: كتاب فانتانا.

ميشيل تغسلين، 1974. اقتصاد الطبيعة وتطور الجنس. بيركيلي، ج.أ: صحافة جامعة كاليفورنيا.

آن جيبسون، 1991. "العقل كـ (عضو جنسي). "علم،30 أغسطس، 253: 957- 958.

ديفيد دجيلمور، 2001. كراهية النساء: مرض الذكور. فيلادلفيا، ب.أ: صحافة جامعة بنسلفانيا.

ستيفينجولدبيرج، 1973. حتمية البطريركية؛ لماذا تؤدي الاختلافات البيولوجية بين الرجال والنساء دائمًا إلى هيمنة الذكور. نيويورك: شركة ويليام مارو وشركاه.

ستيفين جايجولد، 1996. سوء قياس الرجال. نيويورك: و. و. نورتون& شركاه.

فريد هابجود، 1979. لماذا الذكور موجودون؛ تحقيق في تطور الجنس. نيويورك: شركة ويليام مارو وشركاه.

سارة بلافيرهاردي، 1981. المرأة التي لم تتطور أبدًا. كامبردج، م.أ: صحافة جامعة هارفرد.

ماري أيه هيل، 1980. تشارلوت بيركينز جيلمان. صنع الأصل الأنثوي -1860 1896. فيلادلفيا، ب.أ: صحافة جامعة تمبل.

ال اس هولينجورث، 1914. "التباين فيما يتعلق بالاختلافات الجنسية في التحصيل."الصحيفة الأمريكية لعلم الاجتماع530-510 :19.

روث هوبارد، 1979. "هل تطور الرجال وحدهم؟" في النظرة إلى النساء في نظرة علم الأحياء للنساء، ر. هوبارد وآخرين. المحررين. ص.35 -7، ص. 15.

---، ماري سو هينيفين وصديق باربرا. 1979. النظرة إلى النساء في نظرة علم الأحياء للنساء؛ مجموعة من النقد النسائي. ام ام أم أيه كامبردج: شركة شينكمان للنشر.

ديفيد هول، 1999. "العام سام يريدك." مراجعة لكتاب أسطورة الأساطير: هل التطور بناء اجتماعي؟ بواسطة مايكل روز. علم1132-1131 :284.

آرثر جينسين، 1980. الخطأ في الاختبار العقلي. نيويورك: الصحافة الحرة.

بيتيان كيلفيس، 1986. إناث الفصائل؛ الجنس والبقاء في مملكة الحيوان. كامبردج، م.أ: صحافة جامعة هارفرد.

روجر ليون، 1987. عظام المنافسة. نيويورك: سيمون وشوستر.

روزالينلوف، 1983. الداروينية والأنوثة: "سؤال المرأة" في الحياة والعمل لأوليف شرينير وتشارلوت بيركينز جليمان، ص. 131 -113.

لين مارجوليس، ودوريون ساجان. 1986. أصول الجنس؛ ثلاثة مليار عام من إعادة التركيب الوراثي. نيو هافين، س.ت.: صحافة جامعة يال.

هاريت مارتينيا، 1877. السيرة الذاتية لهاريت مارتينيا. بوسطن، م أ: جميز ر.

أوسجود وشركاه؛ إعادة الطبع في 1983. نيويورك: فيراجو.

آلان جيه ماكجريجور، 1869. "على الاختلافات الحقيقية بين عقول الرجال والنساء."مجلة جمعية الأنثروبولوجيا210 :7.

ماركيا ميلمان، 1980. مثل هذا الوجه الجميل؛ كونك سمين في أميركا. نيويورك: و. و. نورتون وشركاه.

آشلي مونتاجو، 1952. التفوق الطبيعي للمرأة. نيويورك: كتب لانسر.

---. 1999. التفوق الطبيعي للمرأة. الإصدار الخامس. ولنت كريك، س.أ: رومان وليتلفيلد.

إلاين مورجان، 1972. إنحدار المرأة. نيويورك: ستين والحاضر.

هنري موريس، 1989. الحرب الطويلة ضد الله. جراند رابيدس، م.إ: بيت باكر للكتب.

اس سليث موسيدال، 1978. "فساد - اعتبار علماء الأحياء الفيكتوريين لـ "سؤال النساء". "مجلة تاريخ علم الأحياء55-1 :9.

جون ايه فيليبس، 1984. حواء؛ تاريخ فكرة. سان فرانسسكو، س.أ: منشورات هاربر ورو.

إيفلينريد، 1975. تطور المرأة؛ من العشيرة الأمومية إلى العائلة البطريركية. نيويورك: صحافة باثفيندير.

إيفلينريتشارد، 1983. "هل سيتفضل تشارلز داروين الحقيقي بالنهوض؟"العالم الجديد، 29 /22 ديسمبر، 887-884 :100.

---. 1983 أ. "داروين وانحدار النساء، في ديفيد أولدرويد وإيان لانجام،

المحررين. مجال أوسع من الفكر التطوري. هولاندا: د. ريديل، ص. 111 -57.

سو فروسر، 1992. علم الأحياء والأنوثة؛ تداخل متحرك. نيويورك: تواين.

---. 1997. "التأثيرات المحتملة للنظريات الأنثوية لدراسة التطور."الأنوثة وعلم الأحياء التطوري. عدله باتريشيا أداير جواتي. نيويورك: تشابمان&هال، ص. 41 -21.

جيه بي روشتون، ج.ب.، و كيه أو أنكني. 1996. "حجم المخ والقدرة المعرفية؛ الارتباط بالعمر والجنس والطبقة الاجتماعية والعرق."مراجعة المنشور النفسي،36–21 :3(1).

دولف شلوتير، 1992. "الاختلافات في حجم المخ."الطبيعة17 سبتمبر، 181 :359.

ماري جانشيرفيي، 1973. الطبيعة وتطور جنسية الأنثى. نيويورك: كتب فينتاج.

ستيفاني ايه شيلدس، 1975. "الوظيفية والداروينية وعلم نفس المرأة؛ دراسة في الأسطورة الاجتماعية."الطبيب النفسي الأمريكي754–739 :30(1).

جورج جيه ستين، 1988." العلم الحيوي وجذور النازية."العلماء الأمريكيين، يناير – فبراير، 58–50 :76.

جلوريا ستينيم، 1992. ثورة من الداخل؛ كتاب لاحترام الذات. بوسطن، م أ: ليتل، براون وشركاه.

ليستير د. ستيفينز، 1976. "التطور وحقوق المرأة في الثمانينات: أراء جوزيف ليكونت."المؤرخ252–239 :38(2).

دونالدسيمونز، 1980. تطور جنسية البشر. نيويورك: صحافة جامعة أكسفورد.

تانج – مارتينز، ز. 1997. "العلاقة الفضولية لعلم الاجتماع الحيوي والأنوثة: حالة من الاختلافات الغير قابلة للتوفيق،" في الأنوثة وعلم الأحياء التطوري؛ الحدود

والتقاطعاتوالتخوم. باتريشيا جرواتي، المحرر. نيويورك: تشابمان وهال، ص. 117.

نانسي تانير، وأدريان زيهلمان. 1976. "النساء في التطور. الجزء الأول: الابتكار والانتقاء في أصول الإنسان."العلامات: مجلة المرأة في الثقافة والمجتمع608-585 (3)1.

تافريس، كارول. 1992. سوء قياس النساء؛ لماذا النساء ليسوا الجنس الأفضل، الجنس الأدنى أو الجنس المقابل. نيويورك: سيمون وشوستر.

آر ثورنهيل، ن. و. ثورنهيل. 1992. "علم النفس التطوري لجنسية الرجال القهرية."العلوم السلوكية والمخ363 :(2)15.

ليج فان فالين،1974. "حجم المخ والذكاء في الإنسان."المجلة الأمريكية للأنثرولوجيا الجسدية423-417 :40.

كارل فوجت، 1864. محاضرات عن الإنسان: مكانه في الخلق وتاريخ الأرض. جميز هانت، المحرر. لندن: باتيرنوستر لونجمان رو، جريين، لونجمان، روبرتس.

جورج كيه ويليامز،. 1977. الجنس والتطور. برينستون ن.ج: صحافة جامعة برينستون.

أيه زيلمان، 1997. "أجساد النساء، حياة النساء: منظور تطوري،" في منظور حياة - تاريخ تطور الأنثى، م. موربيك، أ. أيه ايه أيه زيلمان جالاواي، المحررين.برينستون ن.ج: صحافة جامعة برينستون.

الفصل الثالث عشر

تأثير الدراوينية الحاسم على الرأسمالية الشرسة

مقدمة

تعد الدراوينية أمر مهم وحاسم، ليس فقط في دعم تطوير ونهوض كلا من النازية والشيوعية (وفي ظهور المحارق النازية والشيوعية)، ولكن سمحت كذلك بصعود العديد من اللصوص النبلاء[1] الرأسماليين الشرسين الذين برزوا في أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين (موريس وموريس 1996). ضف إلى ذلك أنّ داروين لم يؤثر فقط على العلوم الاقتصادية ولكن العلوم السياسية كذلك فضلًا عن كل العلوم الاجتماعية (هسيو 1986أ، 1986ب). وعليه، كان على كل علماء الاجتماع في القرن الواحد والعشرين أن يسووا حساباتهم مع كلًا من داروين وماركس (هودجسون 2006، 7).

بمراجعة المؤلفات الرائدة للمسمون "اللصوص النبلاء" الرأسماليين والتي تكشف كيف أنّ العديد منهم كانوا متأثرين بشكل كبير بما توصل إليه داروين من أنّ القوة ستقوم أخيرًا بتدمير الضعف، وأنّ إيمانهم بالدراوينية ساعدهم على تبرير هذه النظرة باعتبارها سليمة أخلاقيًا. نتيجة لذلك، فقد توصلوا إلى أنّ ممارساتهم التجارية الشرسة التي عادة ما تكون غير قانونية بل وغير أخلاقية أحيانًا أصبحت مبررة بالعلم. وقد خلصوا كذلك إلى أن مفهوم الدراوينية الذي ينص على البقاء للأصلح هو أمر لا مفر منه "لكشف التاريخ"، إذن، ولهذا السبب، فإنّ ممارسة الرأسمالية الشرسة لم تكن شيء

---

(1) اللصوص النبلاء (Robber Baron): استعارة ازدرائية أطلقها النقد الاجتماعي على رجال الأعمال الأمريكين تحديدًا في أواخر القرن التاسع العشر، الذين اتُّهموا بانعدام الضمير واستخدام أساليب ملتوية ليصبحوا أكثر ثراء.(الناشر)

غير أخلاقي، بل أخلاقيًا وطبيعيًا.ووفقًا لما توصل إلية جوليان هيكسلي، وإتش. بي. دي. كيتيلويل، فالدراوينية تؤدي إلى الكثير من الشرّ "من تمجيد الأعمال الحرة، ومبدأ عدم التدخل في الاقتصاد، والحرب، إلى العنصرية وحركة تحسين النسل الغير علمية، وفي النهاية إلى هتلر والنازية" (1965، 81). وكان المساهم الأعظم في هذا التشكيل المروع للرأسمالية هو الاعتقاد الدراويني الذي كان ينص على أنه من الطبيعي والصحيح أن يُستغل كلًا من الأشخاص الضعفاء، والتجارة الضعيفة؛ التجارة الضعيفة تستحق الفشل، وأنّه من الطبيعي أن تنجح التجارة القوية. الحقيقة هي أنّ الدراوينية الاجتماعية تخللت جوانب عديدة من الحياة الأمريكية في العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر، ولكن ليس بالوضوح والسرعة كما في مجال الأعمال. عندما توفي سبينسر في 1903 – في وقت كان فيه بيع 10 آلاف نسخة يعد الأعلى مبيعًا – فقد بيع أكثر من 238000 نسخة من أعماله. كانت الدراوينية الاجتماعية مبررًا ملائمًا للمنافسة الشرسة في مجال الأعمال التي شهدت: الوصول بالممارسات الاحتكارية إلى أقصى درجة ممكنة، والقضاء على المنافسين، وصعود عدد قليل من رجال الأعمال إلى قمة السلطة التي كانت أكبر بكثير من الحكومة أو القوى العاملة (زوبليكا 1992، 30).

فقد توصل بعض اللصوص النبلاء الرأسماليين إلى أن البقاء للأصلح كان أمر لا مفر منه لكشف التاريخ، فقد قاموا بتعديل سلوكهم وفقًا "لقانون الطبيعة" (جوسفسون 1934). فكانت النتيجة أن مستوى شراسة الأعمال التجارية قد وصل إلى درجة إباحة وتبرير القتل. عدم اهتمام اللصوص النبلاء بمصلحة المجتمع أو حتى عمال شركاتهم، أثّر بالسلب على حياة الملايين من البشر. في الغرب، ولعقود، كانت الإصابات الناجمة عن

ظروف العمل الغير آمنة سبب رئيسي في الموت والإصابات المستديمة. في حوالي عام 1900، كان يقدر معدل الوفيات (حالات الموت) ومعدل الإصابات (الجروح والمرض) من حوادث الصناعات بمليون عامل (هانتر 1965).

ظروف العمل العامة في الثمانينيات

كانت ظروف مثل سيور المحركات وأعمدة الطاقة غير المؤمّنة تعد عادية في الثمانينيات وأغلب التسعينات. فكانت النتيجة فقدان الأصابع واليد وحتى الأطراف بأكملها. بالنسبة للعمال، فإن فقدان بعض أجزاء الجسم والإصابات الخطيرة كانت لا مفر منها نتيجة حياة العمل في المصنع أو الوظائف الصناعية عمومًا. كشفت دراسات على العمال أن أكثر من نصف الإصابات عبارة عن إصابات خطيرة مستديمة تتراوح من فقدان الأطراف حتى فقدان الرؤية أو السمع أثناء عملهم. في بعض المهن، يعاني تقريبًا كل عامل من إصابة، ففي الأغلب كل الجوانب محفوفة بالمخاطر؛ تقريبًا كل عمال تصنيع القبعات عانوا من التسمم بالزئبق، وتقريبًا كل عمال مصانع طلاء أقراص الساعات بالراديوم كانوا يصابون بالسرطان عاجلًا أم آجلًا (ستيلمان ودوم 1973).

حتى عندما كان يدرك أصحاب العمل تامًا مخاطر العمل التي يواجهها عاملوهم، فإن أغلبهم فعل القليل - أو لم يفعل شيئًا - للتحسين من ظروف بيئة العمل. عمال مسبك الصلب عادةً ما يعملون لمدة 12 ساعة يوميًا في درجة حرارة 117 فهرنهايت في مقابل 1,25 دولارًا يوميًا (بيتمان 1974، 68). لاحظ الرئيس هاريسون في 1892 أن معدل العمال الأمريكيين المعرضين لخطر الموت أكبر من معدل الموت في الحرب كجندي (بيتمان 1974، 70). خلد أبتون سينكلير الظروف البشعة في صناعة تعليب

اللحوم في كتابه الكلاسيكي حاليًا، الغابة، الذي كانت بداية نشره في 1906. يعد كتاب "الغابة" محفز كبير لتغيير قوانين العمل، وأخيرا فقد تُرجم هذا الكتاب لسبع عشرة لغة وبِيعت ملايين النسخ من هذا الكتاب، وحرك هذا الكتاب ثيودور رووسفيلت حيث أصبح يعمل من أجل إصلاح مجال الأعمال الجشع. وكانت النتيجة تدفق تيار من القوانين الهامة بما في ذلك قانون الغذاء النقي والأدوية.

كانت حياة البشر رخيصة بالنسبة للرأسماليين، فعلى سبيل المثال لا الحصر، المئات الذين ماتوا بلا داع أثناء تركيب السكك الحديدية (زين 1999، 255). وتضمنت الأسباب ظروف حياة عمال السكك الحديدية الفقيرة، وظروف العمل الفقيرة من حرارة شديدة وبرودة مفرطة، كذلك وأمراض مثل الملاريا المنتشرة بفعل الناموس، والحماية الغير كافية من هجمات الهنود. ومثال ممتاز على هذا الاستغلال، ما حدث عندما اشترى جي. بي. مورجان 5000 بندقية معيبة مقابل 3,50 دولارًا أمريكيًا للواحدة، ثم قام ببيعها للجيش بثمن 22 دولارًا أمريكيًا للواحدة. فكانت نتيجة هذه البنادق المعيبة أنها تُصيب عادةً أصابع ابهام مستخدميها (زين 1999، 255). أقام الضحايا دعوة، ولكن قضاء الاتحاد الفيدرالي حكم بأنّ البيع قانوني ومناسب. وكان الشائع في ذلك الوقت في مثل هذه الحالات أن تأخذ المحاكم جانب اللصوص النبلاء (بيتمان 1974، 71).

حيث تتلمذ غالبية القضاة على الداروينية، ولهذا السبب كانت نظرية البقاء للأقوى هي الأصح، بسبب ذلك كانت حياة غالبية الرجال والنساء رخيصة. قال أحد أصحاب الأعمال عندما طُلِب منه بناء سطح لحماية عماله: "الرجال أرخص من الألواح" (بيتمان 1974، 71). كانت شراسة الرأسمالية شديدة للدرجة التي دفعت

حكومات العالم في نهاية المطاف بإصدار مئات من القوانين ضد هذه الممارسات الشائعة. القوانين التي سُنت ضد الاحتكار ما هي إلّا مثال واحد على نتيجة الفساد الشائع أثناء هذه الفترة من تاريخ أميركا.

من المسيحية إلى الداروينية

نشأ غالبية اللصوص النبلاء على التدين، ولكن سرعان ما تخلوا عن هذا المعتقد واعتنقوا أفكار داروين وسبينسر حول البقاء للأقوى. على سبيل المثال ستالين وماركس ولينين وهيتلر، وكارينجي - الذي اعترف ذات مرة بأنه كان معتنقًا للمسيحية ولكنّه استبدلها بالداروينية، فقد ذكر كارينجي في سيرته الذاتية أنه عندما انتابه الشك هو والعديد من أصدقائه في تعاليم الكتاب المقدس "بما في ذلك العناصر الخارقة للطبيعة وبالتأكيد كل مخطط الخلاص" اكتشف: "أعمال داروين وسبينسر.... أتذكر ذلك الضوء الذي تدفق بقوة وجعل كل شيء واضحًا. لم أتخلص فقط من اللاهوت وخوارق الطبيعة، ولكنني أدركت حقيقة التطور. بعدها أصبح شعاري ومصدر الراحة الحقيقي لي هو: "كل شيء يصبح جيد، عندما ينمو بشكل أفضل". فالإنسان لم يُخلق بغريزة من أجل تدهوره، ولكنه ارتقى من الأدنى إلى الأعلى. ولا يمكن تصور النهاية التي قد يصل إليها في مسيرته نحو الكمال" (1920، 327).

أول ما عرف كارينجي عن الداروينية بوضوح كان عن طريق مجموعة من "المفكرين الأحرار والتنويرين الباحثين عن دين جديد للبشرية" الذين التقاهم في بيت أستاذ جامعي بجامعة نيويورك (وول 1970، 364). وما انتهى إليه كارينجي يمكن تلخيصه في قوله: "قانون المنافسة - سواء كانت حميدة أم لا - هو أنّه لا يمكننا الهروب منها.

وبالرغم من أن القانون أحيانًا يمكن أن يكون قاسيًا على بعض الأفراد، لكن هذا لصالح المنافسة، وذلك لأنّه يضمن بقاء الأصلح في كل فرع" (مقتبس من هسيو 1986أ، 10). بعدها بقليل أصبح صديقًا للداروينى الاجتماعي الشهير هيربيرت سبينسر. على الرغم من أن كارينجي نفسه "داروينيًا"، لكنّه في الحقيقة استقى إلهامه من هيربيرت سبينسر. كان سبينسر يتطلع إلى تطبيق فكر تطوري عبر نطاق واسع من الأسئلة السياسية والاجتماعية. حالتة"قبل سبينسر"، قال كارينجي مرارًا وتكرارًا "كل شيء كان مظلم بالنسبة لي، قبله، ولكن بعد مجيئه أصبح كل شيء منيرًا وصحيحًا" (ميلنر 1990، 72).

في الواقع كان سبينسر - وليس داروين - هو المنشيء لعبارة "البقاء للأصلح" والعديد من الأفكار التي تظهر وكأنها داروينية، هي في الأصل مقتبسة من مؤلفات سبينسر (لوران ونيتنيغال 2001، 21؛ ميلنر 1990، 72). لاحظ البروفيسور أسما "Asma" أنه على الرغم من أن "سبينسر هو من صاغ عبارة البقاء للأصلح"، فإن داروين هو من تبناها في "إصداراته اللاحقة من كتابه أصل الأنواع".

وفقًا لما ذكره سبينسر وتلاميذه الأمريكيين - رجال الأعمال مثل جون دي. روكفلر

وأندرو كارينجي - فإن التسلسل الهرمي الاجتماعي يعكس القوانين الثابتة والعامة للطبيعة. تتجلى الطبيعة في بقاء القوي على قيد الحياة وهلاك الضعيف. وعليه، فالكيانات الاقتصادية والاجتماعية التي تبقى هي "القوية" والأفضل، وأمّا الكيانات التي لا تبقى فلا شك أنّه كان محتّم عليها الانهيار. كان الشئ الأفضل أنّ الرأسمالية نجت من الحرب الباردة، كذلك كما كان الشئ الأفضل أن نجت الثدييات في حقبة الحياة الوسطي التي انقرضت فيها الديناصورات. "كيف عرفنا أن الرأسمالية أفضل من الشيوعية وأن الثدييات أفضل من الديناصورات؟ لأنهم بقوا بالطبع" (أسما 1993، 11 التأكيد موجود في الأصل).

توصل ستانديفورد إلى أنّ كارينجي لم يجد في رحلاته أي شيء سوى دعم فكرته أن مبدأ البقاء للأصلح ليس فقط المبدأ الذي يعمل بموجبه نظام العالم، بل إنّ داروين قد برر كل خطوة يمكن أنّ يتخذها في حياته العملية. فمعيار القياس كان الدولار، وأي زيادة يحققها كارينجي كانت دليل عل التقدم نحو الأفضل (ستانديفورد 2005، 50). قام ستانديفورد بتوثيق فلسفة كارينجي الداروينية الشرسة (مبدأ البقاء للأصلح) وتطبيقها ليس فقط على منافسيه بل وعلى موظفيه أيضًا.

داروينية كارينجي الاجتماعية

كان هيربيرت سبينسر (1820-1903) أحد تلاميذ داروين المشهورين. سبينسر كان عالم تحسين نسل وداروينى اجتماعي. استنتج أنّ سلالات معينة كانت أدنى وبذلك ستكون "مُختارة للانقراض". شعر أن الأشياء ذاتها ستحدث للأفراد الضعفاء. حققت العديد من كتب سبينسر أعلى مبيعات كما أنها كانت تستخدم ككتب

جامعية. وأثرت في العديد من أكبر ريادي الأعمال التجارية في العالم. كارينجي: "هو من قام بتبجيل سبينسر، واستبدل اللاهوت المسيحي بسياسة عدم التدخل، حيث أن كل شيء سيصبح جيدًا إذا كان ينمو بشكل أفضل... تبنى أقطاب الرأسمالية كل ظواهر ما وراء الطبيعة بلهفة حيث أنها أوجدت لهم المبرر المطلق لممارساتهم التجارية القاسية" (أسما 1993، 11).

كتب ومقالات سبينسر جعلته مشهورًا عالميًا بحلول 1870، وفي أميركا أصبحت له شهرة أكبر من ابن وطنه تشارلز داروين. تأسست المجلة الأمريكية الناجحة للغاية – مجلة العلوم الشعبية الشهرية – تأسست كمنتدى لأفكار سبنسر. قام الصناعي أندرو كارينجي بتقديم عشاء على شرفه، الذي حضره كل شخص من أشخاص العصر المذّهب. إلى الآن أعمال سبينسر لم تقرأ، واصبح اسمه يُتلقى بالتثاؤب، وهو ليس بطلًا حتى بالنسبة للفلاسفة أو التطوريين..... أصبح سبينسر كامتداد للرأسمالية الصناعية القائمة على مبدأ عدم التدخل بالمبررات الأخلاقية، على الرغم من أن الفكرة أصبحت تعرف باسم الداروينية الاجتماعية، لكنها كانت في الحقيقة السبينسرية الاجتماعية (ميلنر 1990، 415).

كانت المشكلة أن سبينسر خلص إلى أن التطور الاجتماعي سيقضي على الأفراد والشركات الأقل ملائمة أو الأضعف، ولا يجب على "الرجال العقلاء" أن يتدخلوا مع "قوانين" التطور التي لا تقهر. كانت النتيجة في اعتقاده هي مجتمع متطور ويعمل بسلاسة لينتج البضائع الجيدة لأعضائه المستقبليين. قانون التطور هو التقدم المستمر لتحقيق سعادة الفرد والمجتمع في نهاية المطاف (ميلنر 1990، 415).

أصبح كارينجي أغنى رجل في العالم، وكان الزعيم بلا منازع في صناعة الصلب. أهمية كارنيغي للرأسمالية، والداروينية إلى كارنيغي، أوضحها ميلنر على النحو التالي: "صعد كارينجي في قطاع الأعمال ليصبح المليونير الشرس ذا النفوذ الذي يستغل البشر والعالم ويسحق منافسيه، ثم يبرر أفعاله بفلسفة الداروينية الاجتماعية. وزعم أنّ المنافسة في مجال الأعمال تقدم خدمة للمجتمع من خلال القضاء على العناصر الأضعف. أولئك الذين يستطيعون البقاء في مجال العمل هم "الأصلح" ويستحقون هذه المناصب والمكافئات. ضم كارنيغي الأخلاق الرأسمالية إلى قانون الطبيعة (ميلنر 1990، 72).

تقريبًا من 1870 فصاعدًا، "أعلن كارينجي إلى العالم بصوت عالٍ – في الخطب العامة والكتب والمقالات وفي الأحاديث الخاصة وحتى في الخطابات الشخصية – أن اعتماده الفكري والروحاني هو على هربرت سبنسر" (وول 1970، 381). وفي منشوراته ومراسلاته الشخصية، يقدم كارينجي إشارات سهلة ومتكررة إلى العقيدة الداروينية الاجتماعية. فعبارات مثل: "البقاء للأصلح"، و"تحسين العرق" و"الصراع من أجل البقاء" خرجت بسلاسة من قلمه ومن بين شفتيه. فقد رأى مجال الأعمال على أنه صراع تنافسي عظيم، وكان دائمًا وبكل أسف على علم بالضعفاء الذين لم ينجوا (وول 1970، 389).

لقد تمسك أكثر رجال الأعمال الناجحين بالفكر الدارويني وذلك بعد أن حققوا النجاح، و لا شك أن ضحايا المنافسة الظالمة لم ينسبوا إخفاقهم إلى ضعفهم الشخصي أو عدم جدارتهم في صراع الحياة (وول 1970، 377). على الرغم من أنّ العديد من أنصار التطور المعاصرين تأسفوا على الداروينية الاجتماعية المفرطة، إلّا أنّها

كانت "مشهورة للغاية بين رأسماليي عدم التدخل في القرن التاسع عشر لأنه يبدو بالفعل أنها كانت تُعطي تصديقًا علميًا على المنافسة الشرسة في مجال الأعمال والسياسة" (موريس وموريس 1996، 83).

صورة أندرو كارنيغي ووليام جينينغز برايان وغيرهم من رجال الأعمال في ذلك اليوم.

لم يتخلَ العديد من الرأسماليين عن إيمانهم بالله تمامًا، ولكن بدلاً من ذلك حاولوا مزجها مع الداروينية. كانت النتيجة حلًا وسطًا إلى حدٍّ ما مثل التطور التوحيدي. ربما لم يكن غالبية رجال الأعمال الأميركيين من الداروينيين الاجتماعيين، ولكنهم كانوا يميلون إلى أن ينسبوا نجاحاتهم أكثر إلى سماتهم الشخصية مثل الذكاء والبراعة والمثابرة والفضيلة، بدلًا من نسبتها إلى سحق منافسيهم الأقل نجاحًا بشراسة. بعد كل شيء، كان غالبيتهم يرون أنفسهم مسيحيين يلتزمون بقواعد "حب جارك" و "عامل الناس كما تحب أن يعاملوك"، لذا، على الرغم من أنهم سعوا لتحقيق المستحيل – من خلال

خدمة الله[بالأعمال الصالحة] والثروة في وقت واحد - لم يجدوا صعوبة في التوفيق بين المسيحية والأفكار الداروينية حول الصراع من أجل البقاء، والبقاء للأصلح ولم يفكر أو يدرك أيًا منهم بحال من الأحوال أنّهم في حالة حرب اقتصادية مع زملائهم الصناعيون (أولدرويد 1980، 216)

ذكر جون دي. روكفلر أن "نمو شركة كبيرة هو ببساطة بقاء للأصلح؛ تطبيقًا لقانون الطبيعة" (غينت 1902، 29). مع احتفاظ آل روكفلر على الواجهة المسيحية، فقد اعتنقوا مذهب التطور ورفضوا سفر التكوين باعتباره من الأساطير. (تايلور 1991، 386). عندما تعهد أحد المتبرعين بمبلغ 10 آلاف دولار للمساعدة في تأسيس جامعة تحمل اسم ويليام جينينغز براين، ردّ جون دي. روكفلر الابن في اليوم ذاته بالتبرع بمليون دولار إلى كلية علم اللاهوت في جامعة شيكاغو (لارسون 1997، 183). فالفلسفة التي تبناها كارينجي لم تُعتنق من قبل روكفلر وباقي مؤسسي السكك الحديدية مثل جيميس هيل فقط، ولكن أيضًا من قبل أغلب الرأسماليين المعاصرين (موريس وموريس 1996، 87). حتى الرأسمالي الأمريكي المعروف هينيري فورد قد وجد في الرأسمالية الأساس المنطقي والرائع لأنظمة المشاريع الحرة. (ليفين وميلنر 1994، 161) فالاقتران بين كلًا من داروين والرأسمالية كان أفضل تعبير عما حدث لسبينسر في رحلته من إنكلترا لأميركا: "حتى وإن كان ضيوف العشاء غير مقتنعين تمامًا بمدى صحة أفكار سبنسر، إلا أنّ المأدبة أظهرت مدى الشعبية التي وصل إليها في الولايات المتحدة الأمريكية. عندما كان سبينسر على رصيف الميناء في انتظار السفينة التي سترجعه إلى انجلترا، شدّ على يد كارينجي ويومانز وصاح أمام الصحفيين: "ها هما أفضل صديقان

أمريكيان بالنسبة لي." ربما كانت هذه لمحة نادرة عن الدفء الذي تحمله شخصية سبنسر، ولكن الأكثر من ذلك أنّها مثّلت التناغم بين العلم - الداروينية الاجتماعية - الجديد ورؤية تطور مجال الأعمال."

كان لأفكار سبنسر آثار واضحة في مجالات أخرى كذلك. وأشار الراحل إسحاق أسيموف إلى أنه يمكن استخدام الداروينية لتبرير تجاهل المسؤولية الاجتماعية الطبيعية تجاه العاطلين عن العمل أو المحتاجين: "يبدوا أن هذه النظرة أصبحت رأيًا علميًا وذلك بفعل عالم الاجتماع الإنجليزي هيربرت سبينسر، الذي قام بتطبيق نظريات التطور التي عمل عليها في البداية عالم الطبيعة الإنجليزي تشارلز روبرت داروين في 1859. صاغ سبينسر عبارة "البقاء للأصلح". في 1884 - على سبيل المثال - جادل بأنّ العاطلين عن العمل أو من يشكلون عبئا على المجتمع، فإنّهم يتحتم عليهم الموت بدلاً من أن يصبحوا هدفًا للعون والإحسان. إذا فعلنا هذا نكون قد تخلصنا من الأفراد الذين لا يصلحون للبقاء وعززنا السلالة البشرية. كانت فلسفة بشعة للغاية حيث كانت تُستخدم لتبرير أسوأ دوافع البشر (1977، 94).

ألهمت الداروينية الشيوعية والرأسمالية

من الموثق تاريخيًا أن داروين لم يلهم هتلر فقط ولكن ستالين ولينن. وأن هذا التطور ألهم كلًا من الشيوعيين والرأسماليين ولم تكن مفاجأة جديدة الحدوث، فكلاهما يعارض علانية القيم الأساسية المسيحية على جوانب مختلفة، وهذا ما يسمى "بالصراع الطبقي" الذي كان يُعتقد أنه جزء لا مفر منه من التاريخ (بيرلوف 1999، 266). كلًّا من الحزب اليساري اللينيني - الماركسي والحزب اليميني الرأسمالي الشرس كانوا ضد

نظرية الخلق، حتى عندما يقاتلون فيما بينهم، فإنهم يبقون متحدين ضد نظرية الخلق (موريس وموريس 1996، 82).

فبعد وقت قصير من نشر داروين مرجعه التاريخي في 1859، فُسرت نظرية "البقاء للأصلح" في علم الأحياء من قبل الرأسماليين على أنها مبدأ أخلاقي يقضي بالمنافسة الاقتصادية القاسية (راكيلس 1990، 63، انظر كذلك هيسيو 1986أ، 10). قام مليونير هيوسن رجل النفط ميتشيل هلبوتي الذي كان نموذجًا واضحًا للصوص النبلاء بتبرير أعماله الوحشية بحجة أنّه: "كما في الطبيعة؛ مبدأ البقاء للأصلح يسود" (مقتبس من أويلين وأويلين 1984، 113). لاحظ المؤرخ غيرترود هيميلفارب أن الداروينية قُبلت بسرعة في أنكلترا، ولكن تمت مقاومتها في فرنسا، أحد أسباب ذلك أنها بررت جشع اللصوص النبلاء. يُقال إنّ نظرية الانتقاء الطبيعي قد نشأت في إنكلترا فقط لأنّ سياسة عدم التدخل في إنكلترا هي التي وفرّت العقلية الأنانية - أنصار المذهب الذري[1]- اللازمة لها.

هناك فقط تمكّن داروين من أن يفترض بشكل قاطع أن الوحدة الأساسية هي الفرد، والغريزة الأساسية هي المصلحة الشخصية، والنشاط الأساسي هو النضال. يقول شبنغلر واصفًا أصل الأنواع بأنّه "تطبيق علم الاقتصاد على علم الأحياء" كما قال أنه تفوح منه رائحة المصانع الإنكليزية، أما عن الانتقاء الطبيعي، فقد ظهر في انجلترا لأنها

---

(1) المذهب الذّري: هو فكرة فلسفية تطورت في اليونان خلال القرن الخامس قبل الميلاد. تنصّ على أنّ الطبيعة تتكون من مبدأين أساسيين: الذرة والفراغ. وأن الكون كله يتكون من مجموعة من الأجسام غير القابلة للانقسام –الذرات– المحاطة بالفراغ والتي تصصدم وتتحد مع بعضها البعض مكونة كتل. واختلاف الأشياء في الكون يكون بسبب اختلاف عدد وكيفية اتحاد هذه الذرات. نفت هذه النظرية أي تدخل إلهي في خلق الكون، وهي نظرية باطلة علميًا وعقديًا.(الناشر)

كانت التعبير المثالي عن "فلسفة الجشع" الفيكتورية المتمثلة في أخلاقيات الرأسماليين واقتصاد مانشستر (1962، 418).

أدرك البعض أيضًا أنّ الأفكار الداروينة بالرغم من اعتمادها على "مؤلفات هيربيرت سبينسر بشكل أكبر من اعتمادها على تشارلز داروين" فإنّها تتضمنّ التصديق على الممارسات التجارية الدموية و"استخدام مؤيدوها لسياسة عدم التدخل في الاقتصاد للتخلص من غير الصالحين، وغير الأكفاء، والعاجزين (ميلنر 1990، 412). ربط الأمريكيون الانتقاء الطبيعي الدارويني وتطبيقه على البشر بعقلية البقاء للأصلح والتي بررت سياسة عدم التدخل الرأسمالية، والإمبريالية، والعسكرية. عقود قبل حملة "بريان ضد تدريس الدراوينية في المدارس"، زعم – على سبيل المثال – أندرو كارينجي وجون دي. روكفلر أنّ هذا مبرر لممارساتهم التجارية الشرسة (لارسون 1997، 27). وكما قال كولسون وبيرسي: "إننا اليوم نشعر بالفزع من هذا الموقف القاسي، وأننا محقون في هذا" (1994، 106).

استخدام الداروينية لتبرير الرأسمالية الشرسة

كان البروفسور ويليام غراهام سومنر من جامعة برنستون أحد أبرز المتحدثين في الداروينية الاجتماعية، والذي خلص إلى أن أصحاب الملايين هم الأفراد "الأصلح" في المجتمع، وبالتالي: "استحقوا امتيازاتهم، لقد تم "اختيارهم طبيعيًا من بوتقة المنافسة." وقد وافق أندو كارينجي وجون دي. روكفلر واعتنقا فلسفات مشابهة والتي اعتبراها مبررًا علميًا لتجاوزات الرأسمالية الصناعية (ميلنر 1990، 412)

وأيد العديد من الأساتذة البارزين بالإضافة إلى هيربرت سبينسر تطبيق فلسفة

"البقاء للأصلح" في المجتمع. كبار علماء علم الاجتماع مثل كولي وسوروكين وسومر وروس وحتى بارك، جميعهم ملتزمون بعقائد البيولوجية العنصرية التي تبرر بل وتشجع سياسة البقاء للأصلح الاجتماعية (روزنتيال 1977)

في السابق كانت للنظريات التي تقول بأنّ السلوك شئ وراثي إلى حد كبير أثرًا في تعزيز قبول الرأسمالية المتطرفة والعنصرية والتمييز على أساس الجنس، وحتى الحرب (روزنتال عام 1997). وأشار روزنتال إلى أنّ هذا كان صحيحًا على الرغم من عدم وجود أي دليل علمي على أن السلوك الاجتماعي للإنسان أساسه بيولوجي، أو أن المنافسة التجارية/الاجتماعية، وهيمنة الذكور، والعدوانية، والإقليمية، ورهاب الأجانب، وحتى الوطنية، والحرب، والإبادة الجماعية هي قضايا بشرية قائمة على أساس جيني (روزنتال عام 1997). ومع ذلك، احتلت المذاهب البيوجينية مكانًا بارزًا طوال الوقت، ففي غالبية التاريخ الأكاديمي الأمريكي الاجتماعي كان مفهوم "الصراع من أجل البقاء" يعني بالنسبة للعديد من الرأسماليين تدمير من يرونهم منافسين أضعف وأقل قيمة. إن القيام بذلك كان مجرد نتيجة لقانون "البقاء للأصلح" الذي يعمل ليس فقط في الطبيعة، ولكن كذلك في كل مجالات الحياة الأخرى، بما في ذلك الأعمال التجارية. في رأي كارينجي "أنه على الرغم من أنّ قانون البقاء للأصلح ربّما يكون أحيانًا قاسيًا على بعض الأفراد، لكن هذا لصالح المنافسة، وذلك لأنّه يضمن بقاء الأصلح في كل فرع" (1920، 327). وخلص العديد من الداروينين إلى أن البقاء في مجال الأعمال يتطلب التمسك بالقوانين الداروينية وأنّ تجاهلها يمكن أن يؤدي للانقراض، كما حدث

بالفعل في عالم الأحياء. على الرغم من أن العديد من اللصوص النبلاء تبرعوا بمبالغ كبيرة من المال، إلّا أنّ الأفكار الداروينية أثرت عليهم في هذا أيضًا. فعلى سبيل المثال قام كارينجي وحده بالتبرع بـ 125 مليون دولارًا أمريكيًا في الفترة ما بين 1887 إلى 1907 ولكن "أيًّا منها لم يذهب لإغاثة الطبقات الفقيرة، فباعتباره داروينيّ جيد لم ير أن هناك مبرر لمحاولة انقاذ الأفراد الذين لا يصلحون. إلقاء المال في البحر كان أفضل بالنسبة له" (وايلي 1954، 92). لم يرَ اللصوص النبلاء أنّ الداروينية قوة سلبية بالضرورة، ولكن على حد قول رئيس جامعة كلارك - جي. ستانلي هول: "لا يوجد شيء يعزز التفاؤل مثل التطور. فالأفضل - أو على أية حال ليس الأسوأ - هو من يبقى على قيد الحياة. الكون يتطور إلى الأعلى، إلى مزيد من الإبداع وليس لإزالة الإبداع، من الغاز الكوني فصاعدًا؛ الكون يتقدم ويتطور ويتحسن" (1928، 546).

وُجد من تحليل جلسة استماع لجنة إضراب عمال فحم الإنتراسيت[1] (03/1902) أنّ: "تبنّى اتحاد منتجين الفحم الأيديولوجية الداروينية الاجتماعية، وخلطوا ما بين "البقاء للأصلح" و"حرية وحقوق الفرد" (دوكاس 1997، 367). وخلصت هذه الدراسة إلى أنّ شعبية الداروينية الاجتماعية في الفكر القومي في الولايات المتحدة يجب أن تُفهم على أنها من اختراع الرأسمالية (دوكاس 1997، 367).

---

(1) اضراب فحم الإنتراسيت (الحجري): اضراب نظمه اتحاد عمال المناجم في الولايات المتحدة عام 1902 من أجل الحصول على أجور أعلى وعدد ساعات أقل، وهددوا بقطع امداد المدين بالطاقة في الشتاء في الوقت الذي كانوا يعتمدون فيه على الفحم في تدفئة المنازل. وانتهى الاضراب -بعد تدخل الرئيس ثيودور روزفلت- بحصول العمال على زيادة في الاجور بنسبة 10% وتخفيض عدد ساعات العمل من 10 إلى 9 ساعات في اليوم.(الناشر)

الأفكار الداروينية باقية حتى اليوم في مجال الأعمال

كما يشير عنوان أحد الكتب "داروينية الأعمال: التطور أو الذوبان"، فإنّ تطبيق المفاهيم الداروينية على الأعمال التجارية لا يزال إلى حد كبير يحدث حتى اليوم (ماركس 2002). قد تكون حالة إنرون هي المثال الأكثر شهرة ولكنها فقط تلامس سطح هذه المشكلة والميل إلى تأييد هذه الفلسفة (للمثال، انظر كات 1971). أحد الأمثلة المحتملة هي طريقة تطبيق روبرت بلاك وزملاؤه المؤلفون للداروينية الحديثة في كتابهم الأفضل مبيعًا الذي بعنوان داروينية المؤسسات. وخلص المؤلفون إلى أن الأعمال تتطور وتنمو وتتوسع بطرق يمكن التنبؤ بها ومن خلال مراحل محددة تشبه إلى حد كبير مراحل التطور البشري (1966).

تماشيًا مع مبادئ الداروينية، فإنّ "تطور الأعمال التجارية" الطبيعي يعني إمّا أن تبتلع منافسينك أو سيبتلعوك، كما جادل المؤلفون بأنّ الداروينية تنطبق بشكل أفضل على الشركات وليس الأفراد. تقول دراسة أكاديمية بواسطة هودسون كذلك بأنّ تطبيق الداروينية أمر أساسي لتطوير نظرية اقتصادية حديثة قابلة للتطبيق (2006). استنتجت دراسة بواسطة لوران ونيتينجال أنّ التطور الدارويني "هو أفضل نموذج لدينا"، لفهم ليس فقط عالم الطبيعة بل أيضًا العالمين الاجتماعي والاقتصادي (2001، 6-5). يوجد علاقة وثيقة بين الاقتصاد والنظرية الداروينية منذ تكوين نظرية داروين (2001، 15).

كتاب آخر شهير لريتشارد كوتش حقق أعلى مبيعات عام 2001 "قانون الأعمال الطبيعي: كيفية تسخير قوى التطور والفيزياء والاقتصاد لتحقيق النجاح في مجال الأعمال". الآن يوجد فرع كامل من فروع علم الاقتصاد يطلق عليه "علم الاقتصاد

التطوري". لقد نشروا على الأقل كتابين وجريدة الاقتصاد التطوري. أحد أكثر علماء الاقتصاد التطوري المؤثرين - ألفريد مارشال -، كان - هو وواحد من أشهر تلاميذه جون مينارد كينيس - كانا متأثرين بشكل كبير بداروين وعلم تحسين النسل (غرونيوجن 2001، لورينت 2001)

حول تاريخ صناعة النفط في تكساس، أشار أوليان وأوليان إلى أنه حتى بعد الحرب العالمية الثانية، كان لا يزال هناك العديد من رجال النفط المستقلين الذين يعتقدون أن نجاح اقتصادهم قائم على فلسفة البقاء للأصلح الداروينية (1984، 113). نقل البروفيسور ديفيد جيليرنتر عن المدير التنفيذي السابق لشركة مايكروسوفت - روب غلاسر - أنّ أغنى رجل في العالم - بيل غيتس -: "رجل داروينى متعنت. يُعرف النجاح بأنه الإطاحة بالمنافسين وليس تقديم شيئًا مميزًا" (1998، 202).

الرد الرئيسي على تعدّيات الرأسمالية المبررة بالداروينية هو أن الأفكار الداروينية أُسيء استخدامها في الاقتصاد، وعلى كلٍّ، داروين ذاته يعتقد أن نظريته البيولوجية قدمت الدعم للمنافسة الاقتصادية الفردية ومبدأ عدم التدخل في الاقتصاد (فيكارت 1995، 609).

الاستنتاجات

لعبت الداروينية دورًا حاسمًا في تنمية وتطور ليس فقط النازية والشيوعية ولكن أيضًا الرأسمالية الشرسة، ويتضح هذا جيدًا من خلال اللصوص النبلاء في القرنين التاسع عشر والعشرون. على الرغم من أنه من الصعب أن نستخلص بثقة أن الرأسمالية الشرسة لم لتزدهر ببهذا القدر إذا لم يقم داروين بتطوير نظريته التطورية، ولكن هناك شيء واحد واضح وهو أنه: إذا استمر كارينجي وركفلر والكثير من الرأسماليين الشرسين

الآخرين في اعتناق النظرة العالمية اليهودية - المسيحية[1] الخالصة التي كانوا عليها في شبابهم بدلًا من تحولهم إلى لداروينية، لم تكن الرأسمالية لتصبح غير إنسانية مثلما كانت في آواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين.

لا شك أنّ دوافع أخرى منها الطمع والطموح كانت عوامل في شراسة اللصوص النبلاء (وايلي 1959). ويميل الكثيرون إلى الادعاء بأنّ نجاحاتهم كانت بسبب العمل الجاد والذكاء والادخار والرصانة (وول 1970، 379) على الرغم من أنّ حياتهم تحكي شيئًا آخر، حيث أنّ الدروينية أعطت الكثير من الرأسماليين ما بدا أنّه مبررًا علميًا مما سمح بنقل الرأسمالية إلى التطرف الذي كانت عليه في بدايات القرن الماضي (موريس وموريس 1996، 84، هوفستادلر 1955)، قال وول: يبدو أن رجال الأعمال الأوائل في الصناعة الأمريكية ليس لديهم حاجة إلى معرفة نظرية سبنسر أكثر من الحيوانات المفترسة في الغابة، ومع ذلك كان مقبولًا بشكل عام أنّهم - مثل نظرائهم من الحيوانات المفترسة - تصرفوا في حياتهم اليومية بناءً على نظرية التطور الداروينية القاسية، فالأضعف كان يُلتهم والأصلح ينجوا، فقد استفادت الصناعة الأمريكية والمجتمع الأمريكي من هذا الصراع التنافسي من أجل البقاء. (1977، 376).

---

(1) جدير بالذكر أن الإسلام أرسى في عقول أتباعه حفظ الحقوق ، بل وأمر بالإحسان ، قال تعالى ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [الأعراف: 85] ، وفي الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قد قال «**قال اللهُ : ثلاثةٌ أنا خصمهم يومَ القيامةِ : رجلٌ أعطى بي ثم غدرَ ، ورجلٌ باع حرًّا فأكل ثمنَه ، ورجلٌ استأجرَ أجيرًا فاستوفى منهُ ولم يُعْطِه أجرَه**» ، بل أخرج الشيخان في صحيحيهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حق الرقيق أنه قال «**هم إخوانُكم . جعلهم اللهُ تحتَ أيديكم ، فمَنْ جعلَ اللهُ أخاه تحتَ يدِه ، فلْيُطْعِمْه ممَّا يَأْكُلُ ، ولْيُلْبِسْه مما يَلْبَسُ ، ولا يُكَلِّفُه مِنَ العملَ ما يَغْلِبُه ، فإن كلَّفَه ما يَغْلِبُه فلْيُعِنْه عليه**». فإن كان هذا في الرق فالعمال لهم نفس الحقوق من باب أولى . (الناشر)

كان الضرر الناجم عن تطبيق الداروينية في مجال الأعمال محفزًا رئيسيًا لوليام جينينغز برايان في حملته لمواجهة انتشار الداروينية. وأشار لارسون إلى أن برايان "بنى حياته السياسية على استنكار التجاوزات الرأسمالية والعسكرية"، و"في 1904 رفض الداروينية باعتبارها قانون لا يرحم، بواسطته يقوم القوي بالتخلص من الضعيف وأخذ مكانه" (1997، 27). وقد أظهر التاريخ تحقق مخاوف بريان، كما أظهر التاريخ أيضًا أن الداروينية أصبحت دينًا بالنسبة لكثير من الصناعيين. قدم بروفسور وول مثالًا ممتازًا بقوله: "التقدم من خلال التطور كلاهما - البيولوجي والتكنولوجي - جلب للطبيعة والبشرية - الآلة والحديقة - التناغم التام. كان هذا خلاصة إيمان كارنيجي بالوصول إلى الكمال المطلق للكون، وسيبقى على هذا الإيمان للسنوات الخمس والثلاثين القادمة (وول 1977، 366). كان سبينسر بالنسبة لكارينجي الإله. ففي كلمات كارينجي نفسه، سبينسر "هو أعظم عقل في عصره وأي عصر آخر"، وأنّ "في مجلداته يوجد الجوهر النهائي لكل الحقيقة والمعرفة" (وول 1970، 390) من ناحية أخرى تؤيد المسيحية السلوك المناقض للداروينية: "لم يأمر الكتاب المقدس بأي حرب ضد أحد، بل بحرب كل شخص ضد نفسه الأمارة بالسوء. مسألة النجاح ليست في طحن المنافسين، بل في رفع المرء لذاته؛ وهما ليسا بنفس الشئ. فرص النجاح مثل فرص الخلاص بلا حدود، يمكن أن تستقبل الجنّة كل من يستحق. هذا التصور السمائي للاقتصادية يختلف عن فكرة مالتوسان، والتي تقضي بأن الفرص محدودة للغاية، وأن صعود الفرد يعني سقوط العديد من الآخرين. كانت النظرة الأكثر تفاؤلية، أنّ كل انتصار يمهد للمزيد، وهي الفكرة التي هيمنت على كتابات غالبية الأشخاص الذين

كتبوا عن "الاعتماد على النفس" (وايلي 1954، 83-84).

لو استمر اللصوص النبلاء في العيش معتمدين على ما استخلصه والي من المسيحية، فإن الإساءات الشائعة في القرن التاسع عشر ربما لم تكن لتحدث مطلقًا. على حد تعبير كولسون وبيراسي فإنّ: "اللصوص النبلاء الصناعيون لم يستخدموا المسيحية لتبرير طريقتهم الوحشية، بل استخدموا التطور" (1994، 106).

الملخص

ساعدت مؤلفات الداروينين على تبرير ليس فقط الاستغلال القاتل للنازيين والشيوعيين، ولكن كذلك الممارسات الشرسة للرأسماليين الاحتكاريين مثل كارنيغي وروكفلر. "كانت الدراوينية تستخدم كذلك للدفاع عن المنافسات الفردية ونتيجتها الاقتصادية لرأسمالة "عدم التدخل" في انجلترا وأميركا. كتب أندرو كارنيجي أن "قانون المنافسة سواء كان حميدا أو لا، فهو موجود؛ لا يمكننا التهرب منه." ذهب روكفلر خطوة أبعد من ذلك (هيسيو 1986ب، 534).

باختصار: "قام صناعيو العصر المذّهب مثل أندرو كارينجي وجون دي. روكفلر وجيمس جي. هيل علنًا وبصراحة بتبرير كل ممارساتهم التجارية الشرسة باستخدام مصطلحات الداروينية الاجتماعية. فقد صرحوا بأنّ ما فعلوه كان صحيحًا والسبب في ذلك هو قانون داروين "البقاء للأصلح". بالتأكيد كان هناك خاسرون من هذه الممارسات، وبالتالي كان هناك فائزون. والذين أصبحوا فائزين أصبحوا كذلك لأنهم الأصلح. وفي النهاية، لم يكن ذلك لصالحهم، بل كان لصالح المجتمع" (لارسون 2002، 125). إن المساهمة الهامة للداروينية قد وُثقت جيداً خاصة التي طورها سبينسر إلى سياسة عدم التدخل الرأسمالية.

المراجع

إيزاكأسيموف، 1977. الباب الذهبي: الولايات المتحدة من 1856 حتى 1918. بوسطن، م أ: شركة هوتون ميفلين.

ستيفين تي أسما، 1993. "الداروينية الاجتماعية الجديدة: تستحق فقرك الشديد."الإنسانية11 :(5)53.

أتو بيتمان، 1974. الأيام القديمة الذهبية –كانت رهيبة! نيويورك: البيت العشوائي.

روبرت آر بلاك، واريـن أفيس، جين موتون. 1966. الداروينية المؤسسة – منظور تطوري على عمل المنظمة في المؤسسة الديناميكية. هوستون، ت.إكس: منشورات جولف.

أندرو كارنيجي، 1920. السيرة الذاتية لأندرو كارنيجي. جزن س. فان ديك، المحرر. أُعيد طباعته في 1986، بوسطن م.أ: صحافة جامعة نورث إيسترن.

إيفور كات، 1971. منظور كات: الداروينية الصناعية الحديثة. نيويورك: بوتنام.

تشارلز كولسون، نانسي بيارسي. 1994. نعمة خطيرة. دالاس، ت.إكس. كلمة.

ديميترادوكاس، 1997. "رأسمالية المؤسسة تحت التجربة: جلسات استماع لجنة اضراب فحم الأنثراست، 1903–1902.''المتطابقات: دراسات عالمية عن الثقافة والقوة398–367 :(3)3.

ديفيد جيليرنتير، 1998. "بيل جيتس."مجلة تايم205–201 :(23)152.

ويليام جينت، 1902. إقطاعنا الخيري. نيويورك: ماكميلان.

بيتر جروينيويجين، 2001. "اقتصاديات التطور لألفريد مارشال: نظرة عامة،" عند لورينت ونايت إنجال، ص. 61 -49.

جي ستانليهال، 1928. المراهقة وعلم النفس الخاص بها. نيويورك: د. أبليتون.

جيرترودهيميلفارب، 1962. داروِن والثورة الداروينية. نيويورك: و. و. نورتون.

جيوفريهودجسون، 2006. الاقتصاديات في ظل داروين وماركس. نورثامبتون، ماستشوستس: إدوارد إلجار.

ريتشارد هوفستادتير،1955. الداروينية الاجتماعية في الفكر الأمريكي. بوسطن، م أ: بياكون.

روبرتهانتر، 1965. الفقر. نيويورك: كتب الشعلة.

كينيثهسو، 1986 أ. الموت الأعظم: الكارثة الكونية والديناصورات ونظرية التطور. نيويورك: هاركورت، براس، جوفانوفيتش.

---. 1986بب. "أخطاء داروين الثلاثة."جيولوجية يونيو، 534-532 :14.

جوليان وهـ.ب.د. كيتليويلهوكسلي، 1965. تشارلز داروين وعالمه. نيويورك: الفيكنج.

ماثيو جوسيفسون، 1934. اللصوص النبلاء. نيويورك: هاركورت وبراس.

ريتشارد كوخ، 2001، القوانين الطبيعية للأعمال؛ كيفية تسخير قوة التطور والفيزياء والاقتصاديات لتحقيق نجاح الأعمال. نيويورك، نيويورك: العملة/ دوبليداي.

إدوارد جي لارسون، 1997. صيف الألهة: تجربة المنظور ومناظرة أميركا المستمرة حول العلم والدين. نيويورك: كتب أساسية.

---. 2002. نظرية التطور: تاريخ من التناقض. تشانتيللي، ف.أ: الشركة المعلمة.

جون لورينت، 2001. "كينز والداورينية." الفصل الخامس في لرويت ونايت إنجال.

---، وجون نايت إنجال. 2001. الداروينية والاقتصاديات التطورية. نورثامبتون،

ماستشوستس: إدوارد إلجار.

جوسيف ليفين، كينيث ميللر. 1994. علم الأحياء: اكتشاف الحياة. ليكسينجتون، ك.ي: العاصمة هيث.

إيريك ايه ماركس، 2002. داروينية الأعمال: تطور أم ذوبان: استراتيجيات التكيف لعصر المعلومات. تشيتشيستر، إنجلترا: جون ويلي وأبنائه.

ريتشارد ميلنر، 1990. موسوعة التطور. نيويورك: حقائق في الملف.

هنري موريس، جون د. موريس. 1996. ثلاثية الخلق الحديث. المجلد 3. المجتمع والخلق. الغابة الخضراء، أ.ر: كتب مرجعية.

دي آر أولدرويد، 1980. تأثيرات الداروينية. الأراضي المرتفعة الأطلنطية، ن.ج: صحافة الإنسانية.

روجر امأولين، ديانا دافيز أولين. 1984. المنقبون: رجال النفط المستقلون في تكساس. أوستن، تكساس: صحافة تكساس الشهرية.

جيمسبيرلوف، 1999. تورنادو في جانكيارد. أرلينجتون، م أ: كتب الملاذ.

جيمسراتشيلز، 1990. خلقت من الحيوانات: التأثيرات الأخلاقية للداروينية. نيويورك: صحافة جامعة أكسفورد.

ستيفين جي روزإنثال، 1977. "علم الأحياء الاجتماعية: تصنيع جديد أم أيدولوجية قديمة؟" بحث قدم في اتفاقية الجمعية الأمريكية لعلم الاجتماع في عام 1977.

أبتونسينكلير، 1906. الغابة. نيويورك: دوبليداي وشكراه.

ليسستاندفورد، 2005. مقابلتك في الجحيم. نيويورك: صحافة الأنهار الثلاثة.

جيانستيلمان، سوزان داوم. 1973. العمل خطير على صحتك. نيويورك: كتب عهد البيت العشوائي.

إيان تي تايلور، 1991. في عقول الرجال: داروين ونظام العالم الجديد. مينيابوليس، م.ن: منشورات تفي.

جوسيف افوال، 1970. أندرو كارنيجي. نيويورك: صحافة جامعة أكسفورد.

ريتشارد ويكارت،1995. "خطاب لداروين حديث الاكتشاف عن الداروينية الاجتماعية."إزيس 611–609 :86.

إيفرين ويللي، 1954. الإنسان المصنوع ذاتيًا في أميركا. نيو برونسويك، ن.ج: صحافة جامعة روتجيرز.

------. 1959. "الداروينية الاجتماعية ورجل الأعمال."متابعة المجتمع الفلسفي الأمريكي، 640–629 :103(5).

هواردزين، 1999. تاريخ الشعوب في الولايات المتحدة. نيويورك: هاربر كولينز.

إيفان ال زوبيلكا، 1992. سوء الممارسة العلمية: مناقشة تطور الخلق. ليكسينجتون، ك.ي: كتب بريستول.

الفصل الرابع عشر

تأسيس الداروينية للإبادة الشيوعية

مقدمة

من خلال مراجعة مؤلفات مؤسسي وقادة الشيوعية الذين قاموا بتوثيق نظرية التطور الطبيعي، فقد اتضح أنّ لها أهمية بالغة في تطور الشيوعية الحديثة، خاصة التي أشاعها داروين.

وافق العديد من أعمدة الشيوعية الرئيسين – بمن فيهم ستالين ولينين وماركس وماو وأنغلز – على النظرة العالمية التي صُورت في سفر التكوين حتى تعرفوا على داروين وغيره من المفكرين التطويرين المعاصرين، الأمر الذي أدى في نهاية المطاف إلى التخلي عن تلك النظرة العالمية والتحول إلى الإلحاد والداروينية (إنغلز 1876، هالستيد 1980، يونغ 1982). كانت الداروينية كذلك هامة للغاية في تحولهم إلى الشيوعية وإلى تمسكهم بنظرة عالمية أخرى أدت بهم إلى فلسفة قائمة على الإلحاد. الادّعاء بأنّ الأحداث الرهيبة في الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية لا علاقة لها بإلحاد ماركس ولينين، غير صحيح. ومن الأمثلة على ذلك المادة 124 من دستور الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية التي تنص على أنه "من أجل ضمان حرية المواطن الفكرية، تفصل الكنيسة في الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية عن الدولة، وتفصل المدرسة عن الكنيسة، من أجل حرية العبادة الدينية وحرية الدعوة ضد الدين مكفولة لكافة المواطنين". سمحت عبارة "حرية الدعوة ضد الدين" لأي أحد بأن مهاجمة المؤمنين ونبذهم، وهذا ما حدث في المدارس والجامعات السوفيتية. فلقد قاموا بالفعل بتأسيس أقسام للإلحاد، وذلك للتأكد

من أنها كانت جزءًا هامًا من منهج الدراسة الأكاديمي. ولا تظهر عبارة "فصل الكنيسة والدولة" في الدستور الأميركي، على الرغم من أن التعديل الأول ينص على أنّه "يلتزم الكونغرس بأن لا يضع أي قانون يحترم مؤسسة دينية أو يحظر الممارسة الحرة لها. وكانت الأديان المضطهدة في أميركا الاستعمارية قلقة للغاية بشأن محاباة الحكومة المدنية لبعض الطوائف المسيحية المعينة، كما كانت هذه الحال ذاتها في أوروبا. أراد الكثيرون إبقاء الدولة خارج الكنيسة، وطمأنتهم بأن الكنيسة ستحصل على الحرية الدينية الكاملة، في عام 1802 كتب الرئيس توماس جيفرسون رسالة إلى جمعية دانيبوري كونيتيكت المعمدانية مؤكدًا لهم أن التعديل الأول يحمي الشعب الأمريكي من خلال إقامة "جدار الفصل بين الكنيسة والدولة" للحفاظ على الكنيسة من تدخل الدولة.

كما كان للداروينية تأثير سلبي عميق على أخلاق وسلوك هؤلاء الأعمدة الرئيسيين للشيوعية (راتشلز 1990، أولدرويد 1980، لينكزوسكي 1996، روز 1986). مثال على ذلك، أحد الأفكار الأساسية للشيوعية حول الثورة العنيفة التي يُطيح فيها القوي بالضعيف. كانت هذه النظرة العالمية جزءًا لا مفر منه من ظهور التاريخ الذي جاء من المفاهيم والاستنتاجات الداروينية. كانت النظرية الداروينية بمثابة وجهة نظر حاسمة ليس فقط في التأثير على تطور النازية ولكن كذلك في ظهور المحارق الشيوعية التي أودت بحياة ما يقرب 200 مليون شخص على أقل تقدير (كورتوا وآخرون 1999، 4، آزار 1999). كما لاحظ موريس أنّ: كلًّا من ماركس وهتلر مع كافة أسلافهم وشركائهم وخلفائهم من أنصار التطور العقائدي حاولوا بناء مجتمعاتهم على أُسس تطورية. هناك وثائق كثيرة حول هذه الفكرة، وعدد قليل منها يشكك في ذلك (1997، 419).

لم يكن التطور جانبًا ثانويًا، بل "كان اللبنة المركزية في المذهب الماركسي" كان الشيوعيون مقتنعين بأنّ التطور من الذرة إلى البشر قد حدث بالفعل، وأنّ كافة البيولوجيا قد تطورت بشكل تلقائي للأعلى، وأنه يجب القضاء بشكل فعال على الروابط البينية (أو الأنواع الأقل تطوراً). كانوا يعتقدون أن الانتقاء الطبيعي يمكن ويجب أنّ تتم مساعدته بفعالية، وبالتالي وضعوا تدابير سياسية للقضاء على [أولئك] الذين اعتبروهم "متخلفين" (ويلدير سميث 1982، 27). ولأسباب وجيهة للغاية "لقرابة قرن، اقترن اسم كارل ماركس باسم تشارلز داروين بعلاقة وثيقة" (بول 1979، 469). وكما كتب جون سبارغو في آواخر الستينيات، قال كارل ماركس: "لا شيء يمنحني أي سرور أكثر من ارتباط اسمي بداروين. عمله الرائع يجعلني محصّن، قد لا يكون داروين على علم بذلك، ولكنه ينتمي للثورة الاجتماعية (الشيوعية)" (كما ورد في فيكارت 1999، 15). يعتبر العديد من القادة الشيوعيين ماركس وداروين "المفكرين الأكثر ثورية وتأثيرًا في القرن التاسع عشر" (وين 1999، 362). علاوة على ذلك، عاش ماركس وداروين "على بُعد عشرين ميلاً فقط لمعظم حياتهم، وكان لهم العديد من المعارف المشتركين بينهم" (وين 1999، 312). "اقتران التطوريين بالثوريين" لم يتم في الجنة، بل اتضح أنّه تم في الجحيم. قال ستالين: "أنّ الداروينية الجديدة تُجهز التطور للثورة الشيوعية وتضع الأُسس الأرضية لقيام الثورة عن طريق إكمال عملية التطور وتسهيل نشاطها الإضافي. الماركسية تعتمد على الداروينية وتعالجها من دون نقد" (1954، 1، 304، 310). وكان العديد من الإصلاحيين المتطرفين نشيطين قبل نشر داروين لعمله الأساسي، أصل الأنواع في عام 1859. من هذا المنطلق، بما أن الإيمان الديني ساد بين

العلماء وغير العلماء قبل داروين، فقد كان من الصعب للغاية على هؤلاء المتطرفين إقناع الجماهير بقبول الإيديولوجيات اليسارية الشيوعية أو غيرها. ولهذا السبب، منعت الدول الغربية تطوير غالبية الحركات المتطرفة لقرون، لكنّ داروين فتح الباب أمام الماركسية من خلال توفير ما اعتقد ماركس أنه منطق علمي لإنكار الخلق، وبالتالي إنكار وجود الله (بيرلوف 1999، 244).

مؤسس الشيوعية كارل ماركس يكتشف داروين

عُمّد ماركس لوثريًا في عام 1824، ودرس في إحدى المدارس الابتدائية اللوثرية، وحصد الثناء على مقالاته "الجادة" حول "الموضوعات الأخلاقية والدينية"، وحكم عليه معلموه بأنه سيكون ماهر إلى حد كبير في علم اللاهوت، كان كتابه الاول بعنوان "اتحاد المؤمنين مع المسيح" كان دراسة في حب المسيح (برلين 1959، 31، ورمبراند 1986،11). فقد بقي مسيحيًا ملتزمًا حتى الوقت الذي اطّلع فيه على كتابات مادية وإلحادية عندما كان طالبًا في جامعة برلين من 1836 حتى 1841 (كوستر 1989، 163).

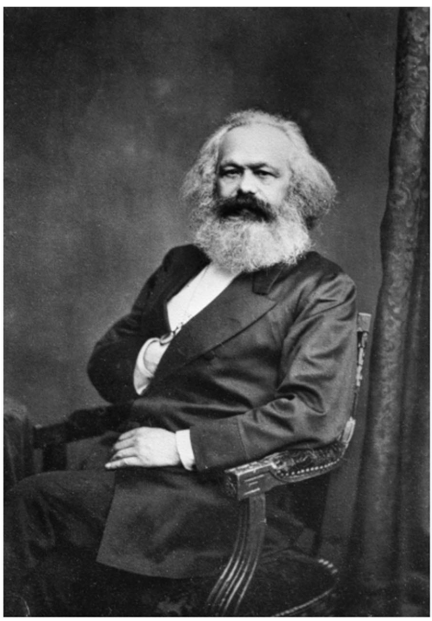

صورة لكارل ماركس عام 1875.

كان إنكار ماركس لوجود الله، وتحوله إلى الداروينية حرجًا في تطوير نظرته الإلحادية المعروفة للعالم الآن باسم الشيوعية. وشدد ماركس مثل كافة الداروينيين أنّ نظرته

الشيوعية للعالم كانت قائمة على المنهجية والنظرية العلمية (كولمان 1931، 705). أُعجب ماركس بكتب داروين، ليس لغرض اقتصادي ولكن لأسباب أكثر جوهرية، وهي كون داروين ماديًا بحتًا، ولم يعد تفسيره يتضمن أي إشارة إلى أسباب غير مادية لا يمكن رؤيتها خارجاً أو من جانب آخر، لهذا السبب المهم، أصبح داروين وماركس رفقاء حقيقين (بيثيل 1978، 37)

كان كلّ من ماركس وإنغلز مقتنعين بأن داروين قد وجّه الضربة القاضية لنظرية الغائية في العلوم الطبيعية من خلال تقديم تفسير منطقي للتكيف الوظيفي في الكائنات الحية وإثبات تفسيره تجريبيًا. وبشكل عام، رحبوا بـ [نظرية] داروين" (جورافسكي 1961، 12). بيرلوف بصفته ملحد يساري سابق قام بدراسة الشيوعية وانتهى إلى أن التطور والماركسية يسيران جنبًا إلى جنب (1999، 244). يعتقد المؤلف فريدريك إنغلز الذي شارك ماركس في نظريته الشيوعية أن الأفكار الداروينية كانت جزءًا مهما في النظرة الشيوعية للعالم. كتب إنغلز إلى ماركس في عام 1859 يخبره أنه كان يقرأ كتاب داروين 1859 قائلًا: "لقد كان رائعًا للغاية. لم تسع المحاولات السابقة لإثبات التطور التاريخي في الطبيعة، وبالتأكيد لم يكن لها تأثير جيد على الإطلاق" في فهم البشر (كما ورد في باترسون 2009، 87). لاحظ المؤرخ كريس تالبوت أن كلًا من ماركس وإنغلز أكدّا طوال حياتهما على أهمية أعمال داروين (2012،1).

كارل ماركس تحت تأثير الداروينية

كتب كارل ماركس (1883-1818) بلا كلل حتى مماته، حيث أنتج مئات من الكتب والدراسات والمقالات. حتى أن المؤرخة الماركسية آسيا برلين زعمت أنه لا يوجد

مفكر "في القرن التاسع عشر كان له تأثيرًا مباشرًا ومدروسًا وقويًا على البشرية مثل كارل ماركس" (1959، 1). رأى كلّ من هتلر وماركس العالم الحالي من حيث مبدأ "البقاء للأصلح" الداروينى الذي يشمل انتصار القوي وإخضاع الضعفاء (بانيكويك 1912، جورفيسكي 1961). علّم داروين أن "الصراع للأصلح" موجود بين كافة الكائنات الحية، بما في ذلك البشر. استنتج هتلر من هذه الفكرة أن "الصراع من أجل الوجود" الرئيسي بين البشر كان في المقام الأول بين الأعراق، لكن ماركس اعتقد أن النضال الرئيسي كان بين الطبقات الاجتماعية. اعتقد ماركس أنّه تمم عمله بالتوازي مع داروين. اعتقد ماركس أنّه اكتشف قانون التنمية تمامًا مثل داروين. فقد رأى التاريخ كمراحل، كما رأى الداروينيون الطبقات الجيولوجية وأشكال الحياة المتعاقبة. جعل كلّ من ماركس وداروين الصراع هو الوسيلة للتنمية. ومرة أخرى، فإن قياس القيمة عند داروين هو البقاء على قيد الحياة مع التكاثر؛ حقيقة مطلقة تحدث بغض النظر عن الجودة الأخلاقية أو الجمالية للمنتج. فالمبدأ الذي يقوم به ماركس في قياس القيمة هو العمل المبذول؛ أيضًا حقيقة مطلقة تحدث دائما في الوقت المناسب، وتتجاهل كذلك فائدة المنتج. كان داروين، وماركس يميلان إلى التهرب والتعديل على حلهما الميكانيكي في وجه الاعتراضات (بارزون 1958، 170). على الرغم من أنهم قاموا بتطبيق الداروينية على مجموعات مختلفة، لكن هتلر وماركس كانا مدينين لداروين بأفكارهما الأساسية. كتاب أصل الأنواع قد أثار إعجاب ماركس أكثر من غالبية الكتب و"ربما أعمق من أي كتاب آخر قد قرأه" (كولب 1972، 332). يقول ماركس "إن كتاب داروين مهم للغاية ويخدمني ليس فقط كأساس للانتقاء الطبيعي في الصراع الطبقات في

التاريخ، بل ويشكل الضربة القاضية للغائية في العلوم الطبيعية أو في معناها العقلاني المشروح والمجرب" (زيركل 1959، 86).

قرأ ماركس أولاً كتاب أصل الأنواع لداروين بعد عام من نشره. كان متحمسا للغاية للكتاب الذي أعاد قراءته بعد ذلك بعامين (كولب 1972، 329). آمن ماركس بالكثير من أفكار داروين وقام بإرسال نسخة من كتاب رأس المال (نشر لأول مرة في عام 1867) إلى داروين. يصف ماركس ذاته بالمعجب الصادق لداروين (غولد 1974، 70) علاوة على ذلك، نظر ماركس بذاته إلى عمل داروين كتأكيد علمي على وجهات نظره الخاصة (ستاين 1988، 52).

هناك أدلة أخرى تدعم الاستنتاجات التي توصل إليها داروين والتي كانت مؤثرة للغاية على المحصلة العامة من استنتاجات ماركس وخاصة في الأقسام التاريخية لكتاب رأس المال. ودليل ذلك يتضمن أن الحقيقة التي توصل إليها ماركس قد استشهد بها مرتين في كتاب رأس المال عام 1862، حضر ماركس سلسلة تتكون من ست محاضرات قام بتدريسها توماس هكسلي، وكان محورها هو أفكار داروين ولم تتحدث عن أي شيء آخر سوى داروين والأهمية الهائلة لاكتشافاته العلمية (كولب 1972، 329–330). يفتخر الماركسيون والشيوعيون والاشتراكيون اليوم بالدور الذي أداه ماركس في نشر الداروينية. د.بيرنال – عالم الأحياء الماركسي – ذكر: "أنّ ماركس كان أحد المفكرين الأوائل الذين قبلوا الأفكار التطورية، بالرغم من الاعتقاد السائد بأنّ الفضل يرجع إلى داروين في جعلها هي المهيمنة في الجزء الأخير من القرن التاسع عشر. كان حدث تقديره لكتاب داروين أصل الأنواع على الفور دون نقد. منذ ذلك الوقت، امتدت فكرة التطور مع التغييرات المفاجئة بشكل

أكبر مما تخيله داروين إلى ما وراء عالم الكائنات الحية وصلت إلى الأرض والكون كله. في ضوء الاكتشافات الحديثة، أصبح العلماء الآن أكثر استعدادًا لقبول ظواهر الطبيعة على أنها مجموعة من الخطوات لا شئ يعطى أو يصنع. من الناحية الفكرية، فإنّ ماركس الذي رآها منذ أكثر من مائة عام، يقف كالمعيار الأول للعقل. ومع ذلك، إذا كان قد اقتصر على تأسيس وجهة نظر تاريخية مادية عالمية، لكانت البشرية قد فوتت شيئًا أكبر بكثير من أي بناء فكري آخر" (1952، 12–20).

وفقًا لما ذكره صديق مقرب من ماركس، كان ماركس من أوائل المفكرين "الرئيسين الذين أدركوا أهمية بحث داروين. ففي عام 1859 وهو عام نشر كتاب أصل الأنواع – وللصدفة الرائعة هو عام نشر المساهمة في نقد الاقتصاد السياسي لماركس – حينها أدرك ماركس أهمية داروين التاريخية. وبالنسبة لداروين، فقد كان يستعد لثورة مماثلة لتلك التي كان يجهز لها ماركس نفسه. قام ماركس بمجاراة كل ظهور جديد وأدرك كل خطوة للأمام، خاصة في مجالات العلوم الطبيعية (ليبكيكت 1968، 106).

بعد أن أصبح ماركس دارويني، رفض بشدة الايمان بالأمور الخارقة للطبيعة (برلين 1959، 30). كما أنه استنكر الدين ووصفه بأنّه "أفيون الشعوب"، وفي كل الدول تقريبًا التي استولى الشيوعيون فيها على السلطة ألغيت الكنائس كليًا او تم تعطيل عملها.

كان داروين وماركس اثنين من الرجال الأربعة المسئولين عن إنتاج العديد من الأحداث الأكثر أهمية في القرن العشرين (هيمان 1966). كان ماركس "مفتونًا" بداروين، وكان لأفكار داروين تأثيرًا كبيرًا ليس فقط عليه وعلى وإنغلز، بل كذلك على كل من لينين وستالين. كما أنّ كتابات هؤلاء الرجال ناقشت أفكار داروين بشكل

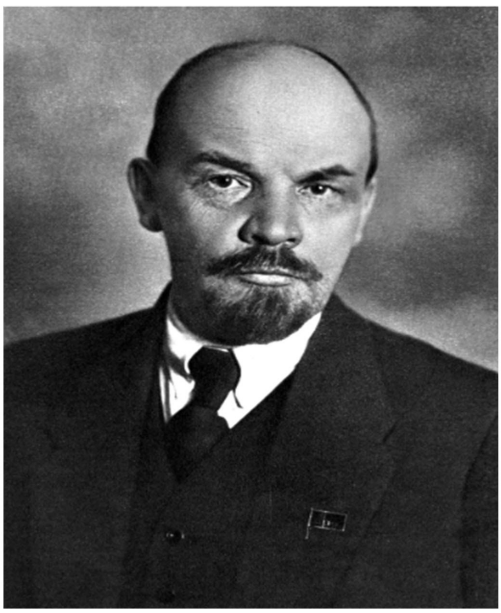

الثوري والسياسي الروسي، فلاديمير لينين، 1920

متكرر (هيير 1975). اعتنق ماركس وإنغلز الداروينية "بحماس"، وتابعا مؤلفات داروين، وكثيرا ما كان هناك توافق بين آرائهم (وآراء آخرين) حول استنتاجات داروين (كونر 1980، 4، هاير 1975، ماركس وإنغلز 1936). أدرك الشيوعيون أهمية داروين في حركتهم، وبالتالي دافعوا بقوة عن داروين؛ "اعترفت الحركة الاشتراكية بالداروينية كعنصر مهم في نظرتها العالمية العامة منذ البداية. عندما نشر داروين كتاب أصل الأنواع في عام 1859، كتب كارل ماركس رسالة إلى فريدريك إنغلز قال فيها: "هذا هو الكتاب الذي يحتوي على أساس التاريخ الطبيعي لوجهة نظرنا". ومن بين كافة الباحثين البارزين في القرن التاسع عشر الذين تركوا لنا مثل هذا الموروث الغني بالمعرفة، نحن ممتنون بشكل خاص لتشارلز داروين لفتح الطريق لنا إلى فهم التطور الجدلي للطبيعة" (كونر 1980، 12، 18).

هل أرسل ماركس مسودة الطباعة[1] لـ رأس المال إلى داروين؟

كان يُعتقد على نطاق واسع أنّ ماركس أرسل مسودة الطباعة الخاصة بكتاب

(1) هي مسودة تتم طباعتها بهدف المراجعة بواسطة الكاتب أو المدققين اللغوين. وفي الماضي كانت عبارة عن عمود طويل ليس على صورة صفحات أو أوراق منفصلة.(الناشر)

رأس المال لداروين وعرض عليه أن يحتفظ بها. ولكن يُقال أنّ داروين رفض خوفاً من أن هذا الفعل قد يسبب له [الحرج] مع بعض أفرد عائلته إذا علموا بأي شكل من الأشكال أن عنده شئ يدعم توجيه الهجمات ضدّ الدين (كما ورد في كيث 1955، 234؛ الاقتباس الأصلي من معهد ماركس - إنغلز، موسكو). تشير أبحاث أخرى إلى أنّه في الواقع لم يكن كارل ماركس هو الذي أرسل الرسالة إلى داروين، بل إدوارد أفيلينغ زوج إليانور ماركس (وين 1999، 366-367). لم يكن الكتاب الذي أُرسل إلى داروين رأس المال الذي كان قد نُشر بالفعل عند إرسال الرسالة، ولكن كتاب تلميذ داروين

والذي كان جزءًا من سلسلة حُررت بواسطة "الملحدين"، ويساعدنا هذا الاستنتاج على فهم رسالة داروين، ولماذا شعر أنّ تأييد كتاب ملحد سيحرج عائلته. ويرجع هذا الاختلاط جزئيا إلى حقيقة أن "الملحد"، أفيلنغ وضع الرسالة في ظرف به رسائل من "بطليه الاثنين: ماركس وداروين". تكشف هذه الحادثة بوضوح عن وجود ارتباط وثيق بين داروين وماركس وكان ذلك من قبل الشيوعيين، ولهذا السبب يكون الاعتبار دائمًا لأعمال ماركس. أرسل ماركس إلى داروين نسخة من كتاب رأس المال ولا تزال في داخل بيت داروين إلى الآن (كلوب 1972، 333)، وكتب داروين أنّه "لشرف" له أنّ يتلقّى نسخة من "العمل العظيم" لماركس.

انعكست علاقة داروين وماركس عندما خلص الشيوعي البارز فريدريك ليسنر إلى أنّ كتاب رأس المال وكتاب أصل الأنواع كانا أكبر الإبداعات العلمية في القرن التاسع عشر (1968، 109). إن أهمية الداروينية في الوفيات المقدرة بـ 140 مليون شخص بسبب الشيوعية تعود جزئياً إلى أنّه: "بالنسبة لماركس، الإنسان ليس له طبيعة. الإنسان

هو صانع نفسه. وهو في حرية تامة من الأخلاق، أو من قوانين الطبيعية، أو من إله الطبيعة. فمن هنا ندرك لماذا تبرر الماركسية التضحية الوحشية بالبشر الذين يعيشون اليوم، الذين في هذه المرحلة من التاريخ يعتبرون بشكل جزئي بشر" (إيدلبرج 1984، 10). يضيف هالستيد أن الأساس النظري للشيوعية هو المادية المثيرة للجدل والتي شُرحت بشكل كبير بواسطة فريدريك إنغلز في كتاب ضد دابيرنج وكتاب منطق الطبيعة. اعترف بالقيمة الكبيرة للمساهمات التي قدمتها الجيولوجيا في إثبات وجود حركة مستمرة وتغيير في الطبيعة وأهمية عرض داروين وأنّ هذا ينطبق كذلك على العالم، فجوهر الإطار النظري بأكمله هو طبيعة التغيرات النوعية. هذا موضح كذلك من قبل إنغلز في منطق الطبيعة "حيث لا تحدث فيه التغيرات النوعية بشكل تدريجي ولكن بسرعة وفجأة، تأخذ شكل قفزة من مرحلة إلى أخرى." ها هنا إذن وصفة الثورة (هالستيد 1980أ، 216-217).

تنص الشيوعية على هذا من خلال "الدفاع عن الداروينية، الأشخاص الذين يعملون لتقوية دفاعاتهم ضد هجمات الجهود الرجعية وتمهيد الطريق لتحويل النظام الاجتماعي" أي: ثورة شيوعية (كونر 1980، 12)

احتضن فريدريك إنغلز الداروينية

ربما لم يكن لأحد تأثير على ماركس أكبر من فريدريك إنغلز، كان زميل ماركس وشريكه في الكثير من الأعمال. إنغلز الذي نشأ كذلك على يد أب صارم و"تَقَوي"[1]

(1) الحركة التقوية: حركة لوثرية كانت تسعى للتأكيد على العقيدة الإنجيلية، وأيضًا ضرورة التقوى والإلتزام بالمسيحية على المستوى الفردي. بالرغم من أنها كانت حركة لوثرية إلا أنّها كان لها تأثير كبير على كل البروتستانتيين حول العالم.(الناشر)

ومؤمن بالكتاب المقدس. على الرغم من نشأته في أسرة مسيحية ورعه، إلّا أنّ إنغلز بدأ يتشكك في إيمانه عندما قرأ لعلماء اللاهوت الألمان الليبراليين مثل برونو باور من جامعة برلين (ورمبراند 1986، 36-37). الأهم من ذلك، كان أحد العوامل الرئيسة التي أثرت على أفكار هؤلاء اللاهوتيين الليبراليين هي مؤلفات داروين. وفي الوقت ذاته أصبح إنغلز معارضاً نشطًا ليس فقط للمسيحية ولكن معارضًا كذلك للإيمان بالله. من الواضح أن ذلك كان نتيجة دراسته في جامعة برلين (كوستر 1989، 164). كان السبب في معاداته للمسيحية والتحول إلى الإلحاد هو داروين. قال: "في هذه الأيام، وفي مفهومنا للتطور الكوني، لا يوجد على الإطلاق أي مجال لخالق أو حاكم" (إنغلز 1907، 15). وأضاف أنّه "لا يوجد خالق ولا حاكم للكون. لا يمكن خلق المادة والطاقة ولا يمكن إبادتها. العقل هو صورة للطاقة؛ هو وظيفة المخ. كل ما نعرفه هو أنّ العالم المادي محكوم بمجموعة من القوانين الثابتة. لذلك، فرجل العلم هو المؤمن بالمادية. وبخصوص الأمور التي خارج مجاله من العلوم التي لا يعرف عنها شيئًا، فهو يترجم جهله إلى اليونانية ويُطلق عليها اللاأدرية[1]".

" (إنغلز 1907، 18). نسب أنغلز الفضل في هذه النظرة العالمية: "إلى داروين قبل أي أحد. لقد عالج المفهوم الميتافيزيقي للطبيعة بأكبر ضربة من خلال دليله على أن كافة الكائنات العضوية والنباتات والحيوانات والإنسان ذاته هو ناتج عن عملية تطوير مستمرة عبر ملايين السنين" (إنغلز 1907، 34-35). على قبرة ماركس خلال دفنه،

(1) اللاأدرية أو الأغنوستية: وهي توجه فلسفي يُؤمن بأن القضايا الدينية أو الغيبية، وخاصة تلك المتعلقة بالقضايا الإلهية مثل وجود الله أو عدم وجوده أوما وراء الطبيعة، يزعمون أنها غير محددة وغامضة ولا يمكن لأحد معرفته.(الناشر)

قال إنغلز: "أنّه كما اكتشف داروين قانون التطور في الطبيعة العضوية، فقد اكتشف ماركس قانون التطور في التاريخ البشري" (تريدغولد 1972، 50، إنغلز 1968). خلصت المؤرخة جيرترود هيميلفارب من خلال دراستها لداروين إلى أنّه كان هناك الكثير من الحقيقة في هذا التأبين لماركس: "ما اشتهر به كلًّا منهما كان أيقاع ومسار داخلي للحياة، أحدهما حياة الطبيعة، والآخر حياة المجتمع، تلك الحياة التي تعمل وفقًا لقوانين ثابتة، دون إرادة إله أو بشر. لم تكن هناك كوارث في التاريخ كما لم يكن هناك في الطبيعة. لا توجد هناك أية أفعال يتعذر تفسيرها ولا توجد أية انتهاكات للنظام الطبيعي. كان الإله عاجزًا تمامًا مثل الأفراد من البشر عن التدخل في القانون الداخلي الذاتي التأقلم مع التغيير الذاتي والتطور" [1] (هيميلفارب 1959، 422-423).

لاحظ هوفستاتر أنّ غالبية الماركسيين الارثوذكسيين الأوائل شعروا بأنهم في وطنهم في البيئة الداروينية. عندما قرأ ماركس كتاب أصل الأنواع في عام 1860، كتب

إلى فريدريك إنغلز وفي وقت لاحق إلى فريناند لاسال أنّ كتاب داروين مهم للغاية ويخدمني كأساس في العلوم الطبيعية للنضال الطبقي في التاريخ. فقد وُضِع عمل داروين وماركس جنبًا إلى جنب على رفوف المكتبات الاشتراكية في ألمانيا (1959، 115).

بالإضافة إلى ذلك كانت الكتب الشيوعية التي تدفقت من صحافة كير في شيكاغو - الناشر الرئيسي للكتب الشيوعية بالولايات المتحدة - تزيَّن باستمرار بمقتبسات بارزة من داروين، وهكسلي، وسبنسر، وهيجيل (هوفستاتر 1959، 115).

---

(1) وهذا الفكر المنحرف عن جادة العقل والمنطق ناتج عن فهمهم الضيق لطبيعة الحياة، وأن الله لم يخلقها لتكون جنة بلا اختبار ولا امتحان .(الناشر)

ماركس وإنغلز وداروين

شارك ماركس وإنغلز في تأليف كتاب كامل عن التطور (1955). في ذلك كان دليلا واضحًا على معرفة أساسية بالداروينية. على سبيل المثال، كتب الباحثون أن التقدم في علم الأحافير وعلم التشريح وعلم وظائف الأعضاء بشكل عام لا سيما منذ اكتشاف الخلية قد تراكمت فيه الكثير من الأدلة التي خلصت إلى أنّ التطور الكلي أصبح الآن حقيقة موثقة علمياً (ماركس وإنغلز 1955، 162 -163). كتبوا أنّ البحث الذي يقارن بين مختلف الأجهزة المتشابهة في الحيوانات المختلفة مع بعضها البعض لم يتم على مرحلة البلوغ فقط ولكن في كافة مراحل نموها. وكلما زاد التعمق في هذا البحث، كلما زاد تفتت الأنظمة المتجرة للطبيعة العضوية الثابتة الغير قابلة للتغيير. لم تصبح الأنواع المنفصلة من النباتات والحيوانات أكثر تداخلًا بصورة غير قابلة للانفصال،

ولكن الحيوانات التي ظهرت مثل السُهيميات والذفافيات (هي أسماك مزدوجة التنفس ثنائية الرئة) التي سخرت من كل تصنيف سابق، وأخيرًا صودفت كائنات حية لا يمكن القول بأنها تنتمي للمملكة النباتية أو الحيوانية. ملأت المزيد والمزيد من الفراغات في سجل الحفريات بشكل يجبر حتى أكثر المترددين على الاعتراف بالتوازي المذهل بين تاريخ تطور العالم العضوي ككل (ماركس وإنغلز 1955، 162-163). وعلاوة على ذلك: "ندخل التاريخ بالشر. الحيوانات أيضًا لها تاريخ لأصلهم وتطورهم التدريجي وصولًا إلى الشكل الحالي" (ماركس وإنغلز 1955، 168). جادل داروين وماركس وإنغلز بأنّ: "المنافسة الحرة - الصراع من أجل الوجود - هي الحالة الطبيعية للمملكة الحيوانية" (ماركس وإنغلز 1955، 169). ويثبت تطبيق قوانين التطور على البشر

أن التطور "يمكن أن يرفع البشرية فوق بقية عالم الحيوان" (ماركس وإنغلز 1955، 169). ويضيفون أن التقدم العلمي في هذه العلوم بما فيها الجيولوجيا وعلم الأجنة وعلم وظائف الأعضاء والكيمياء العضوية أمر مهم لأن تطور أساس هذه العلوم الجديدة أظهر التنبؤات المذهلة بظهور نظرية التطور الأخيرة (على سبيل المثال جوته ولامارك) (ماركس وإنغلز 1955، 233). وقد خلصوا إلى أنّ البشر تطوروا من بروتوبلازم بسيط - وهذا الاعتقاد الذي طوره داروين أولًا - أي أنّ كل الحياة الموجودة اليوم بما فيها الإنسان هي نتاج عملية تطور طويلة من عدد قليل من الجراثيم وحيدة الخلية في الأصل، والتي نشأت بدورها من بروتوبلازم أو ألبيومين الذي أصبح موجودًا بالوسائل الكيميائية. بفضل كل هذه الاكتشافات الرائعة والاكتشافات الأخرى التي أحدثت تقدم هائل في العلوم الطبيعية، وصلنا الآن إلى النقطة التي يمكننا من خلالها إثبات الترابط بين العمليات في الطبيعة وبالتالي يمكن أن نقدم بشكل منهجي تقريبًا نظرة شاملة للترابط في الطبيعة من خلال الحقائق التي توفرها الطبيعة التجريبية ذاتها (ماركس وإنغلز 1955، 252-253).

وأضافوا أن العلم الطبيعي كان في حالة اضطراب في الماضي لكن خلال الخمسة عشر عامًا الماضية، توصل إلى استنتاج واضح نسبيًا. تم الحصول على بيانات علمية جديدة لم يسمع بها من قبل - إلّا تأسيس العلاقات المتبادلة - ومن ثمّ تُبعت بحالة من فوضى الاكتشافات الواحدة تلو الأخرى، فقط مؤخرًا أصبح تحقق ثلاثة اكتشافات ممكنًا: وهي اكتشاف الخلية، وتحول الطاقة، ونظرية التطور التي نُسبت فيما بعد إلى داروين (ماركس وإنغلز 1955، 234).

وبالمثل، فإن دراسة كتبها فريدريك إنغلز (1975) توضح أن ماركس وإنغلز كانا لديهم أكثر من مجرد متوسطة عن التطور.

تحول ألكسندر هيرزين

كان يوجد شخص آخر له دور مهم في عملية التطوير التي شملت الحركة الشيوعية وهو ألكسندر هيرزن (1812-1870). وهو أول رجل يتحدث بوضوح عن التطرف الجديد في روسيا. كان في انسجام تام مع أفكار ماركس ورائد في الدعوة إلى تمرد جماهيري لتحقيق القوة الشيوعية. كانت نظريته عبارة عن نسخة روسية مميزة من الاشتراكية تستند إلى مجتمع الفلاحين، الذي قدم الأساس الأيديولوجي لكثير من نشاط الثوريين في روسيا حتى عام 1917. تأثر هيريزين كذلك بالداروينية.

تهتم مؤلفات هيرزن الجامعية أساسًا بموضوع التحول البيولوجي. يُظهر هيرزن معرفة جيدة بالمؤلفات العلمية الجادة لهذه الفترة. خصوصًا الأعمال التي أعلنت فكرة التطور [بما في ذلك] كتابات إيراسموس داروين - جد تشارلز وبشكل ما سلفه الأيدولوجي - تابع المناظرة بين أتباع كوفييه - الذين اعتقدوا بثبات الأنواع - وجيفروي - سانت - هيلاير المؤمن بالتحول أو التطوري، وبالفعل فقد وقف في صف الأخير، حيث أنّ فكرة التطور المستمر ضرورية لتوضيح التقدم التدريجي المطلق. باختصار يعتمد التدريب العلمي لهيرزن في الأساس على المواد الخام لفلسفة الطبيعة (مالیا 1961، 91).

هيرزن كان "الشخصية الأكثر حيوية" في الحركة التي أطاحت في النهاية بالحكومة الروسية وأقامت دولة شيوعية (شوب1951، 7). قَبِل العديد من الأشخاص الداروينية أولا، ثم قبلوا الشيوعية أو كما استنتج بوسي: "الماركسية حولت المثقفين؛ ولكن [فقط]

المثقفين الذين كانوا قد تحولوا إلى الداروينية بالفعل" (1983، 452).

كان قبول الداروينية ورفض الدين أمرين حاسمين بالنسبة للشيوعية الجديدة والحركات النازية لأسباب تشمل أن الجيل الذي جعل من الرفض الأعمى والنهائي للدين كانوا "علماء الاجتماع" الداروينيين، الذين اتبعوا ما تصوروا أنه يقود البيولوجيا الجديدة، مما جعل الإله مستحيلاً[في وجهة نظره المزعومة]. فعلت الداروينية نفسها أكثر من ذلك، فقد افترضت نظرية التغيير التطوري التي اعتنقها المثقفون بشغف وقاموا بتطبيقها ليس فقط على الأنواع البشرية كما اقترح داروين، ولكن كذلك على المجتمع البشري والدولة. لم يكن داروين هو بداية المعتقدات التطورية، لكن الداروينية في أوروبا الغربية وأميركا منحتهم شعبية واسعة. وقد استخدمها في بعض الأحيان رجال مثل هربرت سبنسر لتبرير بعض القوانين القائمة، ولكن في كثير من الأحيان استخدمت لمهاجمتها على أنها بالية. تحول نيقولاس دانيلفسكي وعدد قليل آخر إلى الداروينية لأغراض محافظة، ولكن في روسيا كان الإصلاح الداروينى هو القاعدة (تريدغولد 1972، 32).

كانت دوافع هتلر لقبول وتنفيذ الداروينية مختلفة عن الدوافع الداروينية للثورات الشيوعية. ففي ظل التناغم الحادث بين العديد من علماء الأحياء الرائدين في عصره (بما في ذلك علماء الأحياء الألمان والأمريكيين والفرنسيين والإنجليز)، أعتقد هتلر أن الأعراق البشرية قد تطورت بشكل منفصل، وبالتالي كانت غير متكافئة، والتزاوج بين الأعراق قد يؤدي إلى الخلط بين الأعراق التي تتمتع بصفات متفوقة وتلك التى لديها سمات أقل جودة مما يؤدي إلى إنتاج نسل متوسط أو أسوأ. كان الحل لمشكلات الإنسان هو منع التزاوج بين الأجناس العليا والدنيا وضمان أن الأجناس العليا هي من

يحكم الأمة والصناعة وكافة المؤسسات (ماكرون 1995). فسر الشيوعيون نظرية داروين بطريقة مختلفة نوعًا ما. لقد رأوا النظرية الماركسية حول العمل كنظرية حاسمة في الانتقال من قرد إلى إنسان (إنغلز 1950). لكن الشاغل الأساسي لكليهما كان القضاء على الدين، "وكانت النازية والشيوعية معًا يصران على أن التطور الإلحادي كالعلمي حل محل الإله" (آزار 1990، 10). وتتضح الأهمية الجوهرية لاستئصال الدين عن طريق الشيوعية من خلال مراجعة تاريخ تطور الشيوعية، والذي يعود على الأقل إلى جورج فيلهلم فريدريش هيغل (1770–1831).

لماذا كانت الشيوعية إلحادية وأسفرت عن الإبادات

الداروينية عادة ما تؤدي إلى إلحاد العديد من العلماء (بروفن 1999، إس123؛ انظر أيضًا لاش 1967، كارينجي 1972، بيرغمان 2010). لا شك أنها أثرت على ماركس في تبني الإلحاد. كما تأثر ماركس كذلك بشكل كبير بمفهوم الجدلية التي وضعها هيغل (هال 1985). لقد رأى جورج هيغل أن الدين والعلوم والتاريخ و "كل شيء آخر" يتطور إلى حالة أعلى مع تقدم الوقت (ماكرون 1995، 51). إنها تفعل ذلك من خلال عملية تسمى الجدلية، والتي تواجه فيها أطروحة (فكرة) نقيضًا (فكرة متعارضة)، لتنتج توليفة أو مزيج من أفضل الأفكار القديمة والجديدة (ماكرون 1995، 51). جادل ماركس بأن الرأسمالية هي الأطروحة، وأن طبقة الكادحين المنظمة هي النقيض. ففي الأساس، كان الصراع المركزي في الرأسمالية بين أولئك الذين سيطروا على وسائل الإنتاج (أصحابها، الطبقة الغنية، أو البورجوازية) وأولئك الذين قاموا بالعمل الفعلي (العامل أو الكادح). كانت الفكرة المركزية لماركس هي أنّ الجمع بين الأطروحة والنقيض (على

سبيل المثال الشيوعية) سينشأ عن الصراع بين طبقة الكادحين والطبقة المتوسطة. ويتجلى ذلك في عبارة ماركس الشهيرة "يا عمّال العالم اتّحدوا وأطيحوا بمضطهديكم."

وخلص ماركس إلى أنّ الجماهير (الأشخاص الذين يعملون في المصانع والمزارع) سيصارعون مع أصحاب الأعمال والأثرياء ورجال الأعمال. وبما أنّ هناك عدد كبير من العمال أكبر بكثير من الملاك، فقد اعتقد ماركس أنّ العمال سيصبحون في نهاية المطاف رجال أعمال من خلال الثورة العنيفة وسيستحوذون على مصانعهم وثرواتهم. وستكون النتيجة ديكتاتورية من قبل الطبقة الكادحة. اعتقد ماركس أنّ الملكية الخاصة ستُلغى، وأنّ العمال سيمتلكون البلاد بشكل جماعي، بما في ذلك المزارع ووسائل الإنتاج. ثم يتقاسم كافة العمال بالتساوي في ثمار عملهم، مما ينتج مجتمعاً طبقيًا يحصل فيه الكافة على مبالغ متساوية من المال.

ويتضح أن هذه الفلسفة جذبت ملايين الأشخاص، لا سيما الفقراء والمضطهدين والعديد من أبناء الطبقة الوسطى الذين كانوا مهتمين بالفقراء (ديل ريو 1976؛ أرلين 1984). غالباً ما أدت الثورات الشيوعية إلى سلب الثروة من الطبقات المالكة للأرض والأثرياء والصناعيين وغيرهم. ولقد بنى العديد من هؤلاء الأشخاص ثروتهم بالعمل الشاق والقرارات المهنية المذهلة ولم يكونوا مستعدين للتخلي عما فعلوه، فقد عملوا لعقود كثيرة بجد لتحقيق ذلك.

بشكل عام، أدى الاستيلاء على الأراضي والثروة من أصحاب الأملاك إلى قدر هائل من المقاومة، ونتيجة لذلك حدثت مجازر رهيبة أدت لإزهاق مئات وملايين من الأرواح. وغالباً ما كان من ضمنهم أصحاب المشاريع الأكثر موهبة، والصناعيين

الأكثر مهارة، والعمود الفقري الثقافي للأمة. وأدار العمال الشركات والمصانع التي كان يديرها في السابق ما وصفهم ماركس بـ"البرجوازيين". لسوء الحظ – وليس مفاجئًا – أنّ العديد من هؤلاء العمال افتقروا إلى المهارات والذكاء والصفات الشخصية اللازمة لإدارة هذه الأعمال. ونتيجة لذلك كان هناك منتجات رديئة وإنتاج منخفض وكمية هائلة من النفايات والتي كانت قاعدة لأجيال في العالم الشيوعي. لقد وحدت نظرية ماركس الداروينية والثورية و"لا يستطيع أي مؤرخ إنكار أنّ إدعاء ماركس بتقديم الإرشاد العلمي لأولئك الذين سيحولون المجتمع كان أحد الأسباب الرئيسة لتأثير مذهبه الهائل" (جورافيسكي 1961، 4). فعلى سبيل المثال كان الأساس المرتكز علية المذهب الماركسي هو أن الإنسانية تتطور نحو الشيوعية، وأن هذا التطور لا يمكن إيقافه كما لا يمكن إيقاف أميبا من التطور في المجال العضوي (أزار 1990، 219).

معارضة ماركس المتعنتة للدين

كان من الأمور الحاسمة في تطوير نظرية ماركس، وكذا العديد من أتباعه، رفضه للدين وقيمه الأخلاقية وقبوله للنظرة العالمية اللاأدرية/الإلحادية. عندما فقد ماركس إيمانه المسيحي وأصبح ملحدًا، خلص إلى أن الدين الإيماني كان أداة للأغنياء لإخضاع الفقراء، كما لخّصه في قوله الشهير: الدين هو "أفيون الشعوب" (ماركس 1844، 57). يعد الأفيون دواء مسكن للألم، ووصف ماركس الدين بأنه له الوظيفة ذاتها، أي أنّه استُخدم لتهدئة المظلومين لأنّه أكد السلام واللاعنف وحب الجار. وكانت النتيجة أنّها جعلتهم يشعرون بتحسن لكنّ مشكلتهم لم تُحل، وخلص ماركس إلى أنّ الحل كان إعادة توزيع ثروة الأمة.

رأى ماركس أنّ الدين ليس مجرد وهم: فقد كان له وظيفة اجتماعية ضارة، ألا وهي صرف انتباه المضطهدين عن حقيقة اضطهادهم ومنع الأشخاص من رؤية الحقائق القاسية لوجودهم. طالما أنّ العمال والمضطهدين يعتقدون أنّ سلوكهم الأخلاقي والمعاناة ستكسبهم الحرية والسعادة في الجنة، فإنّهم سيسمحون لأنفسهم بأنّ يتعرضوا للاضطهاد. استنتج ماركس أنّ العمال لن يغيروا تصورهم للواقع إلا عندما يدركوا أنّه لا يوجد إله، ولا حياة آخرة، ولا يوجد سبب وجيه لعدم الحصول على ما يريدون الآن، حتى لو كان عليهم أن يأخذوه من الآخرين.

وخلص ماركس إلى أن الحل الوحيد هو إلغاء الدين، مما سيسمح للفقراء بالتمرد علانية ضد "مضطهديهم" أصحاب الأراضي والأثرياء ورجال الأعمال وغيرهم، وإعادة توزيع ثروتهم حتى يتمكن الفقراء من التمتع بثروات الرجال الأغنياء في هذا العالم. علاوة على ذلك، فإنّه إذا لم يقم الأغنياء بتسليم ثرواتهم دون نضال، فإنّ الجماهير ستضطر إلى الاستيلاء عليها بالقوة (ماكرون 1995، 216). لاحظ إيديلبيرج أنّ "عقيدة ماركس الأخروية؛ فلسفته المادية، صالحة لكافة الأغراض العملية، وهي عقيدة الثورة الدائمة؛ عقيدة لا يمكن أن تأتي نتيجة لشئ إلّا العنف المتكرر والإرهاب والاستبداد" (1984، 10).

ولهذا السبب خلص ماركس إلى أنّ "إلغاء الدين" هو شرط أساسي لتحقيق السعادة الحقيقية للشعب (1844، 58). ونتيجة لذلك كان حجر الزاوية الهام في الشيوعية هو نزع الأفيون (الدين) عن الناس وإقناعهم بأنّ عليهم أن يأكلوا ويشربون ويفرحوا الآن، لأنهم قد يموتون غدا. فالسبيل الوحيد لتحقيق ذلك والحصول على

الموارد هو القيام بأخذ الممتلكات التي تنتمي للأغنياء والنجاح في ذلك. وشدد ماركس على الاستنتاج الداروينى الذي ينص على أنّه بغض النظر عن الملذات الشخصية في الوقت الحالي، لا معنى ولا غرض للحياة لاحقًا، لأننا جئنا مصادفة إلى الطبيعة، وفي كل الأحوال هذا لن يحدث على الأرض مرة ثانية (غولد 1989، 233).

ومع ذلك لم يتم تفسير أحد العوامل الهامة بشكل ملائم في نظرة ماركس غير الواقعية (المثالية) للعالم. أولًا، الحقيقة التي أكدها الكتاب المقدس أنّ العمال يستحقون أجورهم. عادةً ما يستلزم بدء مشروع جديد قدراً هائلاً من المخاطر ويتطلب عملاً شاقاً للغاية وساعات طويلة من قبل الأشخاص الذين يجب أن يكون لديهم في كثير من الأحيان مهارات خاصة لتوجيه هذه المشروعات لتحقيق النجاح. في الأغلب تخفق غالبية المشاريع الجديدة، فمعدل النجاح يكون أقل من واحد من كل خمسة، ونجاح أغلبها عادة ما يكون فقط متوسطًا.

وفي المقابل، يمكن أن يحصل المرء على مكافآت هائلة إذا نجح المشروع. وما تشمله المكافآت ليس فقط الثروة والمكانة ولكن كذلك الرضا عن النفس بسبب تحقيق بناء مشروع ناجح. المقابل يجب أن يكون عظيمًا بما يكفي كي يتحمل الناس المخاطر التي تنطوي عليها. بعض الأشخاص الذين تخفق شركاتهم يفقدون كل شيء يمتلكونه. كان عاملًا رئيسيًا افتقدته الشيوعية مما أدى إلى فشلها.

لكي تضمن الشيوعية قوة قاعدتها، كان من الضروري تلقين الناس ضد الدين، لا سيمًا الديانات اليهودية والمسيحية والإسلامية التي تؤكد جميعها على أنّ حرمان الأشخاص من ممتلكاتهم دون دفع تعويضات هو أمر خاطيء وأنّ قتل الأشخاص

وسلب ممتلكاتهم هي خطيئة كبيرة. علاوة على ذلك، تشدد هذه الأديان ذاتها على أنّه في الوقت الذي يجب علينا أن ندافع عما هو صحيح، فإنّ العدالة ليست مضمونة في هذا العالم، ولكن الله وعد بالمكافآت في الجنّة لأولئك الذين يسعون إلى الخير[1].

ينص الكتاب المقدس على أنّه ينبغي اظهار الرعاية والرحمة والاهتمام تجاه الفقراء والأرامل والأيتام والمنبوذين اجتماعًا والمشوهين، بل وحتى المجرمين. وينص كذلك على أنّ العامل يستحق أجره، ويدين القتل حتى لو كان جزءًا من الثورة الاجتماعية؛ "وَإِنْ كَانَ أَحَدٌ يَقْتُلُ بِالسَّيْفِ، فَيَنْبَغِي أَنْ يُقْتَلَ بِالسَّيْفِ". (رؤيا 13: 10). لقد عملت المسيحية بشكل عام كقوة تحفظ الناس من الحرمان من ثمار عملهم. أشار جيه. إدغار هوفر إلى أن الشيوعيين يعتقدون أن أيًا كان ما يفعله الإنسان أو يفكر به أو يشعر به، فإنه يمكن تفسيره من حيث المادة الديناميكية وحدها، وأن هذه المسألة هي الشيء الوحيد الموجود. يدّعي الشيوعيون أن المادة شئ مكتفي ذاتيًا، وتتطور ذاتيًا، ودائمة ذاتيًا إلى الأبد، ولا يوجد ما هو مخلوق أعلى أو إله مسئول عن الخلق أو الحفاظ على الكون. توصل الشيوعيون إلى أنّ كافة الاديان والأُطر الأخلاقية المستوحاة من المفاهيم

---

(1) لقد وضعت الأديان وعلى رأسها الإسلام نظامًا يضبط معاملات الناس مع أقاربهم وحكامهم وعمالهم . وشدد الدين عقوبة من يظلم غيره من البشر أو يعاملهم معاملة سيئة ، ، قال تعالى ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [الأعراف: 85] ، وفي الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قد قال «**قال الله : ثلاثة أنا خصمهم يومَ القيامةِ : رجلٌ أعطى بي ثم غدرَ ، ورجلٌ باع حرًّا فأكل ثمنَه ، ورجلٌ استأجرَ أجيرًا فاستوفى منهُ ولم يُعْطِه أجرَه**»، بل أخرج الشيخان في صحيحيهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حق الرقيق أنه قال «**هم إخوانُكم ، جعلهم اللهُ تحتَ أيديكم . فمَنْ جعلَ اللهُ أخاه تحتَ يدِه ، فلْيُطْعِمْه ممَّا يأْكلُ ، ولْيُلْبِسْه مما يَلْبَسُ ، ولا يُكَلِّفُه مِنَ العملَ ما يَغْلِبُه ، فإن كلَّفَه ما يَغْلِبُه فلْيُعِنْه عليه**». فإن كان هذا في الرق فالعمال لهم نفس الحقوق من باب أولى . (الناشر).

الروحية تقوم على الخيال. بالاعتماد على تفسيرهم المادي، يؤكد الشيوعيون أنّه لا يوجد فرق جوهري بين الإنسان والكائنات الحية الأخرى. الإنسان هو مجرد نتاج للكيمياء والفيزياء، ويختلف عن الكائنات الحيّة الأخرى فقط في درجة نموه. لذلك يقول الشيوعيون "أنّه حيث لا يوجد مخلوق أعلى، أي قانون أو تشريع أخلاقي مبني على المفاهيم الروحية يُعد غير صالح (1962، 31).

بالطبع لم يرفض ماركس كل الديانات لكنه رفض الديانة المسيحية واليهودية [والإسلام] وطور دينه الخاص، "دين الشيوعية" (بيرديف 1970، 243). كان دينه "نظامًا للميتافيزيقا الاقتصادية العالمية" ونظامًا لعلم الوجود (بيرديف 1970، 243). لقد أصبحت نتائج نموذج ماركس الإلحادي الآن مأساوية للغاية. فالمذهب الشيوعي معناه أن يأخذ كل واحد وفقًا لاحتياجاته وأن يعطي كل واحد وفقًا لقدراته، ولكن أصبح الكل يأخذ كثيرًا بقدر ما يستطيع ويعطي أقل قدر ممكن. وكانت النتيجة إفلاس غالبية الدول الشيوعية. في العقد الماضي، شهدنا انهيار غالبية الأنظمة الشيوعية واستبدالها إما بالحكومات الرأسمالية أو الاشتراكية. كوبا والصين لديهما الآن حكومات اشتراكية، الصين أقامت إصلاحات رأسمالية واسعة النطاق في سعيها للتعايش مع الرأسمالية، وكوريا الشمالية تتجه نحو حكومة اشتراكية.

إنّ جودة المجتمع ناتجة عن معايير قادتها. يجب أن يكون الأشخاص الأكثر تأهيلاً هم الذين يديرون المدارس والمصانع والحكومات. الفقر الاقتصادي الذي تعاني منه روسيا وغالبية دول أوروبا الشرقية بجانب وجود عوامل متشابكة معقدة يدل بشدة على إخفاق النظام الشيوعي.

كانت روسيا كذلك مصابة بالداروينية للدرجة التي جعلت فلاديمير سولوفييف يقول: "أنتج المفكرون الروس إيمانًا يستند إلى قياس منطقي غريب: الإنسان يمتد نسله إلى القردة، لذلك يجب أن نحب بعضنا البعض" (باين 1964، 629) حتى المجموعات النسائية كانت نشطة في إنتاج "القراءات الجيدة للأجيال الصغرى، وقاموا بإدراج أصل الأنواع لداروين على رأس قائمتهم" (ستيتس 1991، 69). كل هذا ليس مفاجئًا، باعتبار ما حدث في روسيا بعد تولي الشيوعية مباشرة. والأكثر من ذلك، "عندما وصل البلاشفة إلى السلطة في عام 1917، جعلوا هذا الإلحاد المتهور المتعصب أساس عملهم. هناك أدلة على أنهم لم يحظوا بدعم شعبي واسع. فقد كانوا في حالة من الصعود والهبوط أثناء حكمهم للبلد، ما حدث في القرى وكذلك في المصانع، قدرًا كبيرًا مما يمكن وصفه فقط بالتحول الجماعي التلقائي للإلحاد" (ويب وويب 1935، 1006–1007).

تحول لينين إلى الداروينية

كان فلاديمير أوليانوف، المعروف للعالم باسم لينين (1870–1924)، كان متأثرًا أيضًا بشكل كبير بالداروينية. كان لينين مؤسس أول "دولة اشتراكية" والمنظم والقائد الأول لروسيا الشيوعية. حكم روسيا بيد من حديد حتى مات وتولى ستالين (أوبيكين 1969). كان لينين يدير روسيا وفقا لفلسفة "أقل لكن أفضل"؛ إعادة صياغة للانتقاء الطبيعي (شوارتز 1972، 30). نشأ لينين على يد والدين مؤمنين بالكتاب المقدس في منزل من الطبقة المتوسطة (ميلير وآخرون 1963، 33). ثم في حوالي عام 1892 أكتشف لينين مؤلفات داروين وماركس، وتغيرت حياته وحياة العالم بأكمله إلى الأبد (ميلر وآخرون، 1963، 36). يذكر المؤرخ آلان بيسانسون أنّ: "ادّعي أنّه تأثر بداروين

وهذا ما فعله لينين كذلك (وبالمناسبة هذا ما فعله هتلر أيضًا) (1981، 8).

وسرعان ما نشأ لدى لينين انبهار بأفكار تشارلز داروين، لدرجة أنّ الماركسية والداروينية أصبحت دينه الجديد (سيرفيس 2000). أوضح برتراند راسل أنّ المفهوم المادي للتاريخ أصبح حرفيًا يجري في دماء لينين (كلارك 1988). كان لينين يعتقد أن "داروين وضع حداً لنظرة الحيوانات والنباتات غير المترابطة والحديثة" التي خلقها الله "وغير القابلة للتغيير، وكان أول من وضع علم الأحياء على أساس علمي مطلق من خلال إنشاء التحور وتعاقب الأنواع" (لينين 1978، 142).

كان الحافز على تبني لينين للماركسية والداروينية حقيقة أن نظام التعليم الروسي الظالم ألغى فترة حكم والده بمهلة سنة واحدة، مما ألقى أسرته في حالة اضطراب في غضون عام من فقدان وظيفته، توفي والد لينين، تاركا لينين يشعر بالمرارة في سن 16 (كوستر 1989، 174). لقد كان لينين معجبًا للغاية بأبيه، الذي كان رجلًا متشددًا دينيًا وذكيًا، وكانت خسارته مدمرة. كان تحول لينين إلى الداروينية مكتملاً إلى درجة أن "العمل الفني الوحيد في مكتب لينين كان عبارة عن تمثال لقرد يجلس على كومة من الكتب – من بينهم أصل الأنواع – وينظر متأملًا جمجمة بشرية". نظرة داروين للإنسان هذه بقيت أمام نظر لينين أثناء عمله في المكتب، بينما كان يوقع الموافقة على الخطط أو أوامر الإعدام. كان القرد والجمجمة رمزًا لإيمانه، الإيمان الدارويني بأن الإنسان هو حيوان بهيمي، والعالم عبارة عن غابة، وحياة الأفراد غير متصلة بذلك. ربما لم يكن لينين رجلاً شريراً غريزيًا، على الرغم من أنّه أمر بالتأكيد بتطبيق العديد من الإجراءات الشريرة. ربما تذكره هيئة القرد والجمجمة بأنّه في العالم بحسب داروين، فإنّ

وحشية الإنسان ضد الإنسان أمر لا مفر منه. في نضاله ليحقق "جنة العمّال" من خلال وسائل "علمية" أمر بقتل العديد من الأشخاص. ربما ساعده القرد والجمجمة في كبت أي دفعات إنسانية بقيت من طفولته الجيدة (كوستر 1989، 174).

احتل هذا التمثال البرونزي البالغ طوله عشر بوصات موقعًا مهيمنًا على مكتبه (باين 1964، 629). يعلق باين أنه لا يوجد شئ جذّاب في مظهر القرد الذي هو عبارة عن شيء وحشي بمظهر قذر له رأس صغيرة وأكتاف منحنية كبيرة وأذرع متدلية طويلة، أمّا الجمجمة البشرية فكان الفم مفتوح والأعين فارغة فهي أقل جذبًا. يحدّق القرد في الجمجمة، والجمجمة تحدقّ في القرد، يمكننا فقط أن نخمن طبيعة الحوار اللامتناهي الدائر بينهما (1964، 626).

الأكثر من ذلك أنّ لينين كان يصرح بحبه للتمثال الذي وُضِع في مكان بارز ليراه الجميع. كان التمثال الوحيد على المكتب، وأول شيء تراه العين؛ وكلما نظر لينين من مكتبه للتحديق في الصورة الكبيرة للغاية لكارل ماركس واللوحة التي تحمل اسم ستيبان خالتورين بأحرف ذهبية، كان من المؤكد أنه سيرى القرد. هناك شعور ما أن وجوده الحي سيطر على الغرفة (باين 1964، 626-627).

بعد وفاة لينين وتحويل مكتبه إلى متحف، ظل التمثال قائماً لأن "لينين كان واحداً من هؤلاء الرجال الذين عرف تماماً ما كان يحبه وما لا يحبه. لم يكن هناك شيء في الغرفة لم يمثل شئ مهم بالنسبة له" (باين 1964، 627). كان هذا هو إخلاصه للداروينية وأي شيء آخر ربما مثله التمثال له؛ إنها تمثل انتصار الداروينية على البشرية. باعتباره مخلص للشيوعية الروسية، فلم يكن لينين مجرد ملحد فقط، بل شعر بأنّ

الماركسية "تستلزم الإلحاد". لإن الإلحاد كان الطريق للعلوم والتقدم (سيرفيس 2000، 85، 148). ومن المؤكد أنّ سلوكه لا يتفق مع القيم المسيحية، فقد أمر أتباعه بسرقة البنوك، واستخدام القنابل بوصفها وسيلة للإرهاب، واللجوء إلى العنف إذا خدم ذلك هدفهم المتمثل في إنتاج ثورة شيوعية (سيرفيس 2000). حتى سقوط الشيوعية، كان الروس يعتبرونه أعظم بطل قومي لهم.

كيف يصبح الشخص شيوعيًا، وما أهمية الداروينية في هذه العملية، ذكرها شوارتز. وأشار إلى أنّه في الكليات كان الطلاب يدرسون أنّ المؤمنين بالإله لديهم عقول من الدرجة الثانية، وأنّه بما أنّهم أذكياء، فإنّهم لا يحتاجون إلى إله. يقبل هؤلاء الطلاب عادة الفرضية الداروينية المتعلقة بأصل البشر، والفرضية الماركسية المتعلقة بأصل الحضارة والثقافة والأخلاق والدين (شوارتز 1972، 34). وهكذا رأوا مستقبلهم في الشيوعية، وبالتالي كرّسوا حياتهم لتحقيق الأهداف الشيوعية (التي شملت الثورة العنيفة). وكانت النتيجة عهد الإرهاب الذي أودى بحياة الملايين خلال القرن الماضي وما زال يودي بأرواح كثيرة حتى اليوم.

الحرب السوفيتية ضد المسيحية

دفعت العلوم الداروينية الشيوعيين السوفيتيين إلى شنّ حملات وحشية ضد الديانة المسيحية. ولاحظ ويب وويب أنّ هناك "جوانب إيجابية وإبداعية تجاه المعتقد العلمي في اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية"، ولكن كان هناك أيضًا "جانب سلبي ومدمر؛ الإتهامات العنيفة والاقتلاع الجذري - من كل أطراف الاتحاد السوفيتي - للدين وخاصة الديانة المسيحية" (ويب وويب 1935، 1004). أراد لينين استبدال

الـدين وخاصـة الـدين المسـيحي بـالعلوم وتحديـدًا العلـوم الداروينيـة وكـان مصـرًا علـى معارضته للديانة المسيحية. أصر على ذلك كقاعدة لكل تعاليمه، ونفى بشكل قطعي الوجود لأي مظهر من مظاهر خوارق الطبيعة، كما أنه أصر بشدة على أن الكون المعروف للبشرية (بما في ذلك العقل مساويًا للمادة) هو فلك العلوم، وأن هذا التقدم المطرد في المعرفة نتيجة لخبرة الإنسان في الكون، هي المرشد الوحيد الصالح للبشرية (ويب وويب 1935، 1006).

باختصار، اعتقد لينين أنّه لا يوجد مكان للمعجزة ولا يوجد خلود في أي مكان وأنّه لا يوجد روح غير العقل المؤقت للإنسان ولا بقاء ولا إحياء بعد الموت. رفض لينين الاعتراف بأي تردد أو نقاش في الأمر. هو لم يوافق على أي تحريف لهذه الاستنتاجات العقائدية من خلال استخدام كلمات مثل اللاأدرية أو الروحانية. لقد كتب مجلدًا كاملًا ليقول أنّه لا يعتبر من أتباعه أي شخص لا يعتبر الدين على أنّه خرافة وأنّه يؤدي إلى السحر دون أي أساس علمي كما قال ماركس "أفيون الشعوب" (ويب وويب 1935، 1006).

وأضاف هيتشنز أنّ لينين حاول في الواقع القضاء على المسيحية في روسيا: "إنّ مذكرة شوايا السرية التي أصدرها فلاديمير إيليتش لينين في 22 مارس/آذار 1922، أطلقت نهب الكنائس الروسية تحت رعاية الدولة على أمل استفزاز هيئة الكهنوت الأرثوذكسية إلى المقاومة ومن ثَمّ سحقها. "لكي نضع أيدينا على هذا الصندوق الذي يحتوي على العديد من الملايين من الروبلات الذهبية (وربما حتى العديد من المليارات)، يجب علينا القيام بكل ما هو ضروري، يجب علينا الآن أن نقدم المعركة الأكثر حسمًا

بلا رحمة إلى رجال الدين السود ونخضع مقاومتهم لمثل هذه الوحشية حتى لا ينسوها لعقود قادمة" (هيتشينز 2010،179).

اتضح أنّ هدف البلاشفة للحصول على الذهب من هذا المصدر كان مجرد طموح أو هدف زائف. إنّ الدافع الحقيقي هو دفع المسيحيين للدفاع عن أنفسهم ثم تدميرهم (هيتشينز 2010، 179–180). هذا الهدف نجح، ففي عام 1922 فقط، "قُتل 2691 من الكهنة، و1962 من الرهبان، و3457 راهبة" (كورتيوس 1999، 126). كتب وليام تشامبرلين خلال مسيرة الـ 12 عام كمراسل في موسكو أنه: "في روسيا يشهد أول الجهود لتدمير أي اعتقاد لتفسير الحياة على أنها خارقة للطبيعة" (مقتبس من هيتشينيز 2010، 179–180).

كما أن الكنائس التي حاولت تقديم التنازلات واستيعاب الشيوعية داخل معتقداتها المسيحية تعرضوا في نهاية المطاف للخيانة. على سبيل المثال، كانت المجموعة المعروفة باسم "الكنيسة الحية" مؤلفة من كهنة وأساقفة كانوا أكثر استعدادًا لوضع المسيحية الأرثوذكسية تحت تصرف مجلس مفوضي الشعب. لكن بعد أن خدموا البلاشفة من خلال تقسيم الكنيسة الأرثوذكسية وإضعافها، قُبض على قادة الكنيسة الحية (ويُفترض أنهم قُتلوا في السجن، حيث لم يُسمع عنهم بعد ذلك) حدث ذلك في أوائل الثلاثينات. الشيء ذاته حدث مع نظرائهم اليهود (يبيسكتسيا) (الأجزاء اليهودية من الحزب الشيوعي). انتهى أمرهم عام 1929، حيث تم تطهيرها من موظفيها عام 1937 ورئيسهم سيميون ديمانشتين أطلق عليه النار في السجن (هيتشينيز 2010، 198). فالنمط المتكرر هنا هو أنّ الداروينية أدت أولًا إلى الإلحاد ومن ثم إلى الشيوعية وفي النهاية إلى القتل الجماعي للمسحيين وغيرهم.

ليون تروتسكي يصبح داروينيا

كان التحول إلى الداروينية كذلك مهمًا في تطور ليون تروتسكي من اليهودية الأرثوذكسية إلى الماركسية الإلحادية (وولي 2001). ولد ليف دافيدوفيتش برونشتاين (ليون تروتسكي) في عام 1879. لعب ليون تروتسكي دورا رئيسيًا في تطوير الحزب الشيوعي الروسي. كواحد من مؤسسي الشيوعية السوفيتية وأعمدتها الرئيسين (وثاني أقوى رجل في روسيا لسنوات)، كان كذلك المنظم الرئيسي للجيش الأحمر السوفيتي الشهير. كانت إنجازاته في بناء الدولة السوفييتية الاستبدادية مثيرة للإعجاب لدرجة أنّ تروتسكي كان في طريقه ليخلف لينين لكنه خسر أمام ستالين في صراع على السلطة، وفي النهاية تم اغتياله، ومن الواضح أنها كانت أوامر من ستالين.

قرأ تروتسكي عن داروين أثناء وجوده في السجن بسبب أنشطته الثورية عندما كان شابًا. كان داروين ضروريًا في تحوله، وكان كتابه هو أول ما ذكره عندما تحدث عن الكتب التي قرأها أثناء وجوده في السجن (إيستمان 1970، 116). تشير حياة تروتسكي ومؤلفاته إلى أنّ داروين ترك داخله انطابعًا دائمًا عندما كان شابًا. وقد اعترف تروتسكي لاحقًا بأنّه "جادل حول الداروينية" في طريقه إلى أنّ أصبح ماركسيًا وأنّ "داروين دمر آخر إيديولوجياتي السابقة" (تروتسكي 1931، 103).

ادّعى تروتسكي أنّ قراءته للعلوم في السجن في أوديسا مكنته من تطوير النظرية العالمية القوية، ونتج ذلك بسبب أنّ: "فكرة التطور والحتمية (أي:فكرة التطور التدريجي الذي ترسمه طبيعة العالم العادي) استحوذت عليّ تماماً. لقد كان داروين يقف أمامي مثل البواب العظيم عند مدخل معبد الكون. لقد كنت مفتونًا بفكرته البسيطة والقيمة

والمتقنة والقوية في الوقت ذاته. وما أدهشني أكثر، هو أنّه عندما قرأت في أحد كتب داروين - سيرته الذاتية - أعتقد أنه كان محتفظًا بإيمانه بالله. لم أستطع فهم كيف يمكن لنظرية أصل الأنواع عن طريق الانتقاء الطبيعي والجنسي والايمان بالله أن يجدا مكانًا في الرأس ذاته" (إيستمان 1970، 117-118).

قام بدراسة الداروينية وأفضل الحجج ضد الكاثوليكية والبروتستانتية وغيرها من المذاهب (تروتسكي 1931، 117). وجد الحقيقة في ماركس وإنغلز ومفكرين آخرين ملحدين، وكان مهتما بشكل خاص بالعلاقة بين الماركسية والداروينية (تروتسكي 1931. 122، 127، 130).

تحول جوزيف ستالين إلى الداروينية

الديكتاتور السوفيتي الثاني جوزيف ستالين 1879-1953 اسمه الأصلي (جوزيف جوغاشفيليس) وتكتب (Dzhughashvilis). والده كان مدمنًا على الكحول وكان شديد الغضب كالبركان، وكان يشعر بالغيرة من الاهتمام الذي أولته زوجته لابنهما جوزيف، لذلك عامل زوجته وإبنه بشكل سيء للغاية (سيرفيس 2005، 16). أخذ جوزيف الاسم الأخير وهو ستالين الذي يعني "الصلب" أثناء أيامه كثوري عنيف. عندما كان زعيمًا سوفيتيًا، قتل ستالين ما يقرب من 60 مليون شخص (أنتونوف اوفيسينكو 1981). كان طالباً لاهوتيًا مثل داروين، ومثل داروين كذلك فقد كان التطور العامل الرئيسي في تحول ستالين من مؤمن كتابي إلى ملحد (كوستر 1989، 176، سيرفيس 2005، 30، هامبر 1987).

عندما كان لا يزال تلميذًا في الكنيسة، بدأ في القراءة عن داروين وأصبح ملحدًا.

جي. غليورجدزي صديق الطفولة لستالين، قال: "بدأت أتحدث عن الله، فسمعني جوزيف، وبعد لحظة صمت قال "أتعلم، إنّهم يخدعوننا، لا يوجد إله." لقد دُهشت من هذه الكلمات فصِحت به قائلًا: كيف يمكنك قول هذه الكلمات سوسو (ستالين)؟ رد جوزيف قائلًا: "سأُعيرك كتاب لتقرأه، سيريك أنّ العالم وأنّ كل الكائنات الحية مختلفة تمامًا عما في مُخيلتك وأنّ كل هذا الحديث عن الله هو محض هراء" استفسرت منه: ما هذا الكتاب؟ "كتاب داروين، يجب عليك ان تقرأه" لقد أثّر فيّ جوزيف." (ياروسلافسكي 1940، 8-9).

أفاد مونتيفيوري أنّه عندما كان ستالين في الثالثة عشر من عمره، أخذه لادو كيتسكوفلي إلى مكتبة صغيرة في غوري حيث دفع خمسة كوبيك واقترض كتابًا، على الأرجح أنّه كان أصل الأنواع لداروين. قرأه ستالين طوال الليل، ونسى النوم حتى وجدته كيكي [والدته]. قالت: "حان وقت النوم، اذهب إلى النوم الفجر اقترب". رد قائلًا: "لقد أحببت الكتاب كثيرًا يا أمي، لا أستطع التوقف عن القراءة." مع تعمقه في القراءة، تزعزع إيمانه. في أحد الأيام كان سوسو [ستالين] وبعض الأصدقاء بمن فيهم غريشا غليورجدزي يرقدون على العشب في المدينة وهم يتحدثون عن الظلم في أنّ هناك أغنياء وفقراء، عندما أثار دهشتهم فجأة قائلًا: "الله ليس ظالما، إنه غير موجود. لقد خُدعنا. إذا كان الله موجودًا، لكان جعل العالم أكثر عدلاً." صاح غريشا قائلًا: "سوسو! كيف يمكنك أن تقول مثل هذه الأشياء؟" فأجابه: "سأعطيك كتابًا وسترى." وقدم له نسخة من كتاب داروين (مونتيفيوري 2007، 49).

قرأ ستالين ليس لداروين فقط ولكن كذلك لماركس ولينين (سيرفيس 2005، 40).

أثارت هذه الكتب إعجابه كثيراً وسرعان ما أصبح داروينيًا متعطشًا، تخلى عن إيمانه بالله وبدأ يقول لزملائه اللاهوتيين إنّ الأشخاص ينحدرون من القردة وليس من آدم (كوستر 1989، 176). وأصبح "ملحدًا متشددًا"، حتى أنه امتنع بشدة عن مساعدة ودعم الكنيسة (سيرفيس 2005، 13).

"لم يكن ستالين في شبابه في كنيسة غوري مشهورًا بداروين فقط، فقد بدأت شهرته بالأفكار الماركسية" (ياروسلافسكي 1940، 9). ويضيف ميلر أن ستالين كانت ذاكرته غير عادية، وكان يحصل على أعلى الدرجات في كافة المواد تقريبًا بجهد قليل للغاية، لدرجة أن الرهبان الذين علموه خلصوا إلى أنّه سيصبح كاهنًا بارزا. أصبح مهتمًا بالحركة القومية في مقاطعته الأصلية بعد خمس سنوات في المعهد. وفي نظريات داروين وفي كتابات فيكتور هوغو عن الثورة الفرنسية. كقومي كان مناهضًا للقيصرية، وانضم إلى مجتمع اشتراكي سري (ميلر وآخرون 1963، 77).

وكانت نتيجة هذه التجربة أنّ ستالين قد عاش طفولة وحشية بسبب ما اكتسبه في هذه الطفولة، فضلًا عن القراءة لداروين التي أقنعته أنّ الرحمة والرفق كانت مبادئ ضعيفة وغبية. لقد قتل بدم بارد حتى أنّ هتلر كان يحسده على ذلك؛ وقتل أعدادًا أكبر مما قام به هتلر (كوستر 1989، 177).

حاولت مؤلفات ستالين تبرير استخدامه للقوة الوحشية لتحقيق أهداف الداروينية بالسبل الداروينية. في كلماته: "التطور يجهز للثورة ويمهد لها الطريق؛ تبدأ الثورة عملية التطور وتسهل نشاطها الإضافي. توجد عمليات مماثلة تحدث في الطبيعة. يوضح تاريخ العلم أن الطريقة الجدلية هي الطريقة العلمية الحقيقية، ففي علم الفلك وعلم الاجتماع

وفي كل مجال نجد تأكيدًا لفكرة أن لا شيء أبدي في الكون، كل شيء يتغير، كل شيء يتطور. وبالتالي، يجب اعتبار كل شيء في الطبيعة من وجهة نظر الحركة والتنمية. وهذا يعني أن الروح الجدلية موجودة في كل العلوم الحالية، وأن التغيرات الطفيفة والكمية التي تؤدي عاجلاً أو آجلاً إلى تغييرات رئيسة ونوعية ينطبق عليها هذا القانون بقوة مساوية لتاريخ الطبيعة. ويظهر الشيء ذاته في علم الأحياء من خلال النظرية اللاماركية الجديدة، التي أسفرت عنها الداروينية الجديدة. لم يكن لامارك وداروين من الثوريين، لكن طريقتهما التطورية أقامت العلم البيولوجي [الداروينيّ] على أقدامه (ستالين 1906، المجلد رقم 1. 304-306).

ويضيف نقلاً عن السلطة السوفيتية: "الماركسية تقوم على الداروينية بدون نقد" (المجلد رقم 10، 310). كما يظهر الدور المركزي للداروينية في رفضه لاستنتاج كوفيير الأساسي. يرفض كوفيير نظرية داروين التطورية، فهو يعترف بأنّ الكوارث، والنوازل هي اضطرابات غير متوقعة "لأسباب غير معروفة". يقول الأناركيون بأنّ الماركسيين يلتزمون برأي كوفيير وبالتالي ينبذون الداروينية. يرفض داروين نوازل كوفيير، فهو يؤمن بالتطور التدريجي. أما الأناركيون أنفسهم يقولون بأنّ الماركسية تقوم على الداروينية دون نقد أي أن الماركسيين ينكرون نوازل كوفيير (المجلد 10، 310-311).

ما هو الرأي الصحيح؟ يخلص ستالين إلى أنّه "في رأي ماركس وإنغلز، فإن الثورة لا تولدها نظرية الأسباب غير المعروفة لـ "كوفيير، بل بأسباب اجتماعية محددة وحيوية تسمى "تطور القوى المنتجة" أي: التطور (ص 311).

أصدر ستالين، وهو أحد "أكثر الشخصيات شهرة في التاريخ"، بصفته رئيس

"ديكتاتورية أحادية الأيديولوجية"، أوامر بالقتل النظامي للناس على نطاق واسع (سيرفيس 2005، 3).

وأضاف كوستر أن ستالين قتل أناسًا لسببن رئيسيين، وهما أنّه كان يظن أنّهم يشكلون تهديدًا شخصيًا له أو لتقدم برامجه "مما كان يعني في المصطلحات الماركسية الداروينية نوعًا من التطور إلى الجنة الأرضية" (كوستر 1989، 178). والسبب الثاني هو كراهيته للرب ومن ثم اضطهاده للمسيحين (سيرفيس 2005). يؤكد ما كتبه باركادزه – أحد أصدقاء طفولة ستالين المقربين – على أهمية أفكار داروين بالنسبة لستالين، حيث كتب أنّه: "من أجل تحرير عقول طلابنا من أسطورة أنّ العالم قد أُنشئ في ستة أيام، علينا التعرف على الأصل الجيولوجي وعمر الأرض، وعلينا أن نكون قادرين على إثبات ذلك في المناظرات؛ كان علينا أن نتعرف على تعاليم داروين. لقد ساعدنا في هذا كتاب الإنسان في العصور القديمة لليلي، وأصل الإنسان لداروين والذي ترجم بواسطة سيشينوف، يقرأ الرفيق ستالين أعمال سيشينوف العلمية باهتمام كبير. انتقلنا تدريجيا إلى دراسة عن تطور طبقة المجتمع، مما أدى بنا إلى كتابات ماركس وإنغلز ولينين" (ياروسلافسكي 1940، 12-13).

"قراءة الأدب الماركسي في هذا الوقت يمكن أن تتسبب في معاقبة الشخص لأنها كانت تعتبر دعايا ثورية. كان ملموسًا بشكل خاص في المدراس الدينية، حيث ارتبط مجرد حتى ذكر اسم داروين دائمًا بالترهيب الشديد. قدم الرفيق ستالين هذه الكتب إلينا. كان أول شيء يتعين علينا القيام به – كما قال – هو أن نصبح ملحدين. بدأ العديد منا في اكتساب نظرة مادية وتجاهل الموضوعات اللاهوتية. إنّ قراءتنا في فروع

العلوم الأكثر تنوعًا لم تساعد شبابنا فقط على الهروب من روح المعتقدات المتعصبة وذات العقلية الضيقة، بل أعدت كذلك عقولهم لاستقبال الأفكار الماركسية. كل كتاب نقرأه، سواء في علم الآثار أو الجيولوجيا أو علم الفلك أو الحضارة البدائية، ساعد على تأكيد حقيقة الماركسية" (ياروسلافسكي 1940، 12-13).

نتيجة لتأثير لينين وستالين وغيرهم من القادة السوفييت، أصبح داروين بطلاً فكرياً في الاتحاد السوفييتي. هناك متحف داروين الرائع في موسكو، وقد أصدرت السلطات السوفييتية ميدالية داروين الخاصة تكريمًا لذكرى مرور مائة عام على تأسيسها (هوكسلي وأتش. بي. دي. كيتلويل 1965). برر ستالين حربه على الدين بالداروينية.

وكتب أن الحزب الشيوعي "لا يمكن أن يكون محايدًا تجاه الدين" ولكنه يجب أن يسعى لتدميره، ولهذا السبب فإنه يدير الدعاية المعادية للدين ضد كل التحيزات الدينية لأنه يقف وراء العلم، في حين أن التحيزات الدينية تتعارض مع العلم، لأن كل الدين هو نقيض للعلم. حالات مثل ذلك حدثت في أميركا، حيث تمت مقاضاة الدارونيين مؤخرا، لا يمكن أن تحدث هنا لأن الحزب يتبع سياسة الدفاع عن العلم في كل شيء" (ستالين 1927، المجلد رقم 10، 138).

القضية التي ذكرها ستالين هي محاكمة سكوبس في عام 1925، "وهي محاكمة جرت في ولاية تينيسي في الولايات المتحدة، والتي جذبت الاهتمام العالمي. تمت محاكمة أستاذ جامعي يدعى جون سكوبس لتدريس نظرية داروين في التطور. وجد الظلاميون الرجعيون الأميركيون أنه مذنب بانتهاك قوانين الدولة وطبقت عليه غرامة" (ستالين 1927، المجلد رقم 10، 394-395).

يضيف ستالين أن "السلوك الشيوعي، سيواصل القيام بالدعاية ضد التحيز الديني" لأن الحزب لا يمكن أن يكون محايدا تجاه ناشري التحيز الديني، وتجاه رجال الدين الرجعيين الذين يسممون عقول الجماهير العاملة. هل قمنا بقمع رجال الدين الرجعيين؟! نعم فعلنا. الشيء المؤسف الوحيد هو أنهم لم يُقض عليهم بالكامل بعد. الدعاية المعادية للدين هي الوسيلة التي من خلالها سيتم القضاء تماما على رجال الدين الرجعيين. تحدث الحالات في بعض الأحيان عندما يعيق بعض أعضاء الحزب التطور الكامل للدعاية المعادية للدين. إذا طُرد هؤلاء الأعضاء، فهذا أمر جيد للغاية، لأنه لا يوجد مكان لمثل هؤلاء "الشيوعيين" في صفوف حزبنا (ستالين 1927، المجلد 10، 138-139).

الملخص

تُظهر مراجعة تاريخ الشيوعية أن أفكار داروين أدت دورًا بالغ الأهمية في تطوير هذا النظام ونموه (هويت 1963). في حين أنه من الصعب استنتاج أنّ الشيوعية ما كانت لتزدهر كما فعلت إذا لم يقم داروين بتطوير نظرية التطور الخاصة به، فمن الواضح أنّه إذا كان قد استمر ماركس ولينين وانغلز وستالين وماو في تبني النظرة العالمية اليهودية والمسيحية ولم يصبحوا داروينيين، لما انتشرت النظرية الشيوعية والثورات التي ألهمتها أبداً في العديد من البلدان.

ويترتب على ذلك أن المحرقة الناجمة عن الشيوعية (التي تسببت في أكثر من ربع مليار حالة وفاة) من المحتمل أنّها ما كانت لتحدث أبداً. في كلمات ألكساندر سولجينتسين الحائز على جائزة نوبل، "لو طُلب مني اليوم أن أذكر بإيجاز أكبر سبب للثورة المدمرة التي ابتلعت حوالي 60 مليون من شعبنا [الروسي]، لن أجد أصدق من

أن أكرر ذلك: "لقد نسي البشر الله. هذا هو السبب في حدوث كل هذا" (مقتبس من إيريكسون 1985، 24).

كانت المادية الداروينية حاسمة في تطوير نظرية ماركس الرئيسة عن "المادية الجدلية" لأنّه، حتى ظهور داروين، كان غالبية العلماء مؤمنين بنظرية الخلق. فقط عندما يكون هناك تفسير محتمل لوجود الخلق دون وجود الخالق، يمكن أن يستند الإلحاد على أساس فكري. وقد جادل البعض بأنّه إذا لم يتم تطوير نظرية التطور من قبل تشارلز داروين، فإن النظريين الآخرين كانوا قد طوروا في النهاية نظرية مشابهة للغاية. لا تختلف السياسة السوفييتية عن السياسة الحالية في أميركا: "هل هذا يعني أن الحزب محايد تجاه الدين؟ لا، ليس كذلك. نحن نجري وسنواصل الدعاية ضد التحيز الديني. تقر قوانين بلادنا بحق كل مواطن في اعتناق أي دين. هذه مسألة تخص ضمير كل فرد. هذا هو بالضبط السبب في أننا فصلنا الكنيسة عن الدولة. لكن في فصل الكنيسة عن الدولة وإعلان حرية الضمير احتفظنا في الوقت ذاته بحق كل مواطن في محاربة الدين، كل الدين، بالحجة، بالدعاية والإثارة" (ستالين 1927، المجلد رقم 10، 138).

هنالك مشكلة واحدة في مثل هذا الاستنتاج، وهي أنّ تشارلز داروين كان في وضع فريد من نوعه لتطوير ونشر النظرية بنشاط. كان لديه التصميم والوقت والمال والذكاء والشخصية المحببة لقضاء حياته كلها في نشر ما هو الآن، لسبب وجيه، يسمى "النظرة العالمية الداروينية" (تايلور 1991).

علاوة على ذلك كان داروين مروجًا فعالًا للغاية ولم يدخر الموارد ولا الوقت من أجل بيع نظريته. ركز أكثر من 20 كتابًا والآلاف من الرسائل والمقالات في المقام الأول

على موضوع واحد، لنشر فكره حول العالم. لا شك في أنّ باحثين آخرين كانوا ليطوروا أفكارًا متشابهة، كما كان لدى البعض قبل داروين، لكن من المرجح أنّه دون مروج ماهر ومكرس لوقته ومستقل مالياً، لم تكن أفكارهم لتعلق في الأذهان مطلقًا بالطريقة التي حققتها الداروينية، أو إن لاقت قبولًا فلن يستمر لوقت طويل. من الواضح أنّ كلًّا من ماركس وداروين قد غيرا التاريخ بشكل جذري. يدّعي يونغ - وهو من المعجبين بفكر داروين وماركس - أنّ كتاب أصل الأنواع لداروين، إلى جانب رأس المال، "من أهم الأعمال في التاريخ الفكري للقرن التاسع عشر" (1971، 440).

تشير هذه المراجعة حول تطور الماركسيين اللينينيين إلى أنّه من غير الداروينية، لربما لم تحدث المحرقة الشيوعية أبداً، أو كانت ستكون مختلفة للغاية وأقل بكثير في تأثيراتها. يدعم هذا الاستنتاج تعليق هسو على أنّ الداروينية تحتوي على "أكاذيب شريرة"، وأنها أنتجت ثمارًا فظيعة وليست قانونًا طبيعيًا وُضع استنادًا إلى الأدلة بل "عقيدة" (1986، 730). لخص المؤرخ البارز ويل ديورانت القضية على النحو التالي: "من خلال تقديم التطور بدلاً من الله كمسبب للتاريخ، أزال داروين الأساس اللاهوتي للإطار الأخلاقي المسيحي. والإطار الأخلاقي الذي لا خوف من الله فيه مهتز للغاية. هذه هي الحالة التي نحن فيه" (تم اقتباسها من موريس 1997، 473).

إن اهتمام الكثيرين هو: "إذا هيمن التطور، فإنّ أي معنى للحياة ومعه أساس الأخلاق سيسقط بكل تأكيد مثل برج بابل"، يدعمه التاريخ (ستيلي 1999، 1484).

المراجع

أنتونوف – أوفسينكو، أنتون. 1981. عصر ستالين: صورة للطغيان. نيويورك: هربر ورو.

مايكل آرلن. 1984. رحلة المنزل. نيويورك: فارار، ستراوس وجيروكس.

لاري آزار، 1990. القرن العشرين في أزمة: مؤسسة الشمولية. دوبوك، إأ: كيندال – هانت.

تيرنس بول، 1979. "ماركس وداروين: إعادة نظر."النظرية السياسية، 4 نوفمبر، 7(4): 469–483

جاكوبس بارزون، 1958. داروين، ماكس، واجنير: نقد للتراث. الإصدار الثاني. جاردن سيتي، نيويورك: دوبليداي.

نيكولاسبيرديافف، 1970. "دين الشيوعية،" في جوزيف ك. دافيز، رجل في أزمة. جلينفيو، إل: سكوت فوريسمان.

جيري بيرجمان. 2010. "لماذا تطالب الداروينية الأرثوذكسية بالإلحاد."مجلة بحث الإجابات3: 147–152.

برلين، إزاه. 1959. كارل ماركس: حياته وبيئته. نيويورك: صحافة جامعة أكسفورد.

جون ديزموند بيرنال،1952. ماركس والعلم. لندن: لورانس وويشارت.

ألاين بيسانكون، 1981. ظهور الجولاج: الأصول الفكرية اللينينية. نيويورك: الاستمرارية.

توم بيتهيل، 1978. "حرق دارون لإنقاذ ماركس."مجلة هربر، ديسمبر، 92–91 ,38–31.

رونالد دبليو كلارك، 1988. لينين. نيويورك، نيويورك: هربر ورو.

رالف جونيور كولب، 1972. "العقود بين كارل ماركس وتشارلز داروين."صحيفة أفكار التاريخ أبريل – يونيو، 2)35): 338 -329.

كليف كونير، 1980. "التطور مقابل الخلق: في الدفاع عن التفكير العلمي."مراجعة اشتراكية دولية (ملحق مجلة شهرية للمقاتل، نوفمبر.

ستيفنكورتويس، نيكولاس ويرث، جين - لويس بان، أندرزيج باكزكوسكي، كارين بارتوسيك، جين - لويس مارجولين. 1999. الكتاب الأسود للشيوعية: جرائم وارهاب وقمع. كامبردج، م.أ: صحافة جامعة هارفرد.

إدواردو ديل ريو، 1976. ماركس للمبتدئين. نيويورك: كتب بانثيون.

ماكس إياستمان، 1970. ليون تروتسكي: صورة للشباب. نيويورك: صحافة أمز.

بول إيديلبيرج، 1984. "كارل ماركس وإعلان الاستقلال: معنى الماركسية."مراجعة بين الكليات11-3 :20.

فريدريك إنجيلز، 1876. الجزء الذي يلعبه العمل في الانتقال من القرد إلى الإنسان. نيويورك: منشورات دولية.

---. 1907. الاشتراكية: يوتوبي والعلمي. شيكاغو، إل: تشارلز هـ. كير& شركاه. ترجمه إدوارد أفيلينج.

---. 1950. الجزء الذي يلعبه العمل في الانتقال من القرد إلى الإنسان. نيويورك: منشورات دولية.

---. 1968. "جنازة كارل ماركس" في ذكريات عمل ماركس وإنجليز. موسكو: منشورات اللغة الأجنبية. منزل.

---. 1975. الجزء الذي يلعبه العمل في الانتقال من القرد إلى الإنسان. بكين: صحافة اللغات الأجنبية.

إدواردإريكسون، 1985. "سولجينتسين: صوت من جولانج."خلود، أكتوبر، 24-21.

ستيفين جايجولد، 1974. "تأخر دارون."التاريخ الطبيعي70-68 :(10)83.

---. 1989. حياة رائعة؛ بورجيس شيل وطبيعة التاريخ. نيويورك: و. و. نورتون.

ال بيفير هالستيد،1980. "متحف الأخطاء."طبيعة208: 288.

---. 1980 أ. "بوبر: الفلسفة الجيدة، العلم السيء؟"عالم جديد217-215 :87.

بول هيير، 1975. ماركس وداروين: تراث متعلق بالإنسان والطبيعة والمجتمع. أطروحة دكتوراه، جامعة روتجرز.

ديفيد آر هيكي، 1992. "التطور والبيئة وانهيار الشيوعية السوفيتية. "الإنسانية-52:33 35, 40.

جيرترودهيميلفارب، 1959. دارون والثورة الداروينية. نيويورك: و. و. نورتون.

بيتر هيتشينز، 2010. الغضب ضد الله: كيف قادني الإلحاد إلى الإيمان. جراند رابيدس، م.إ: زوندرفان.

ريتشاردهوفستادتير، 1959. الداروينية الإجتماعية في الفكر الأمريكي. نيويورك: شركة جورج برازيللير.

جون إدجار هوفر ،1962. دراسة الشيوعية. نيويورك: هولت، رينيهارت ووينستون.

جون هويت، 1963. كارل ماركس كمطور. هانتس، إنجلترا: إيم.

كينيث هسو، 1986. الموت العظيم: الكارثة الكونية والديناصورات ونظرية التطور. نيويورك: هاركورت، براس جوفانوفيتش.

ديفيد ال هول،. 1985. "الداروينية والديالكتيك"، مراجعة لعالم الأحياء

الديالكتيكي، بواسطة ريتشارد ليفينز وريتشارد ليونتين، الطبيعة، 24-23 :320.

بول جي همبر. 1987. "وحشية إيمان ستالين."تأثير، أكتوبر.

هوكسلي، جوليان وهنري بيرنارد كيتلويل. 1965. تشارلز داروين وعالمه. نيويورك: صحافة الفايكنج.

ستانلي إدجارهيمان، 1966. البنك المتشابك: دارون وماركس وفريزر وفرويد ككتاب للخيال. نيويورك: جروسيت ودونلاب.

ديفيد جورافسكي، 1961. الماركسية السوفيتية والعلم الطبيعي؛ 1932-1917. لندن: روتليدج وكيجان بول.

آرثر كيث، 1955. إعادة تقييم دارون. لندن: واتس، ص. 234 -233.

جي دي كيرنيج، 1972. الماركسية والشيوعية والمجتمع الغربي: موسوعة مقارنة. نيويورك: هيردير وهيردير.

إي كولمان، 1931. "ماركس وداروين".العمل الشهري705-702 :(11)13.

جون كوستير، 1989. متلازمة الإلحاد. برينتوود، ت.ن: ولجيموث وهيات..

جون لاتشز، 1967. فلسفة الماركسية: دليل ببليوجرافي. تشابيل هيل، ن.س: صحافة جامعة شمال كارولينا.

جون لينسزوسكي، 1996. "خيانة المثقفين: التعليم العالي وثقافة الحرب وتهديد الأمن القومي للولايات المتحدة."المجلس السياسي، ص. 52 -35.

فلاديميرلينين، 1978. الأعمال المجمعة لـ ف.إ. لينين. المجلد 1: 1894 -1893. لندن: لورانس ي. ويشارت.

فريدريكليسنير، 1968. "ذكريات العمال لكارل ماركس" في ذكريات ماركس وإنجلز. موسكو: بيت اللغات الأجنبية للنشر.

ويلهيلمليبكنيشت، 1968. "ذكريات ماركس" في ذكريات ماركس وإنجلز. موسكو: بيت اللغات الأجنبية للنشر.

مايكل ماكرون، 1995. إيروكا! تفسير 81 فكرة رئيسية. نيويورك: بارنيس ونوبل.

مارتن ماليا، 1961. ألكسندر هيرزين وولادة الشيوعية الروسية. كامبردج، م.أ: صحافة جامعة هارفرد. أُعيد طبعه في 1971، نيويورك: جروسيت ودونلاب.

كارل ماركس،1844. "مساهمة في نقد فلسفة هيغل لليمين." إعادة طبعه في الكتابات السياسية المبكرة، عدله وترجمه جوزيف أومالي. كامبردج، المملكة المتحدة: صحافة جامعة كامبردج، 1994.

ماركس وكارل وفريدريك إنجلز. 1936. مراسلة 1895–1846، ترجمه دونا تور. نيويورك: منشورات دولية.

ماركس وكارل وفريدريك إنجلز. 1955. في الدين. موسكو. بيت اللغات الأجنبية للنشر.

ويليام ميللر، هنري روبرتس، مارشال شولمان. 1963. معنى الشيوعية. موريستون ن.ج." سلفر برديت.

سيمون سيباجمونتيفيور، 2007. ستالين الصغير. نيويورك: كنوبف.

هنري موريس، 1997. أن كلماتهم قد تُستخدم ضدهم. الغابة الخضراء، أ.ر: كتب مرجعية.

جيه دي أوبيتشكين، المحرر. 1969. ف.إ. لينين: سيرة ذاتية قصيرة. موسكو:

منشورات التقدم.

دي آر أولدرويد، 1980. تأثيرات الداروينية: مقدمة للثورة الداروينية. الأراضي المرتفعة الأطلنطية، ن.ج: صحافة الإنسانية، ص. 216.

أنطونيبانيكوك، 1912. الماركسية والداروينية. شيكاغو، إل: تشارلز أ. كير.

توماس اسباتيرسون، 2009. كارل ماركس، عالم الأنثروبولوجيا. نيويورك: منشورات بيرج.

روبرت باين، 1964. الحياة والوفاة للينين. نيويورك: سيمون وشوستر.

جيمس بيرلوف، . 1999. تورنادو في جانكيارد. أرلينجتون، م أ: كتب الملاذ.

ويل بروفين، 1999. "لا إرادة حرة."إزيس90:S117-S132.

جيمس بوسي، 1983. الصين وتشارلز داروين. بوسطن، م أ: صحيفة جامعة هارفرد.

جيمس راتشيلز، 1990. خلقت من الحيوانات: التأثيرات الأخلاقية للداروينية. نيويورك: صحافة جامعة أكسفورد، ص. 64.

مايكل روز، 1986. "علم الأحياء والقيم: نظرة حديثة،" في منطق وطرق وفلسفة العلم،بواسطة ماركوس وأخرين. منشورات علم إلسيفير ب.ف.

فريد شوارتز، 1972. الوجوه الثلاثة للثورة. فولز تشيرش، ف.أ: صحافة كابيتال هيل.

روبرتسرفيس، 2000. لينين: سيرة ذاتية. كامبردج، م.أ: صحيفة جامعة هارفرد.

---. 2005. ستالين: سيرة ذاتية. كامبردج، م.أ: صحافة بيلكناب لصحافة جامعة هارفرد.

ديفيدشوب، 1951. لينين. جاردن سيتي، نيويورك: شركة دوبليداي وشركاه.

جوزيفستالين، 1906. "الأناركية أو الاشتراكية."أخالي تسخوفربيا، 21،24 ،28

يونيو و9 يوليو 1906، أُعيد طبعه في أعمال ستالين. موسكو: بيت اللغات الأجنبية للنشر، 6–304 :1 ,1954).

---. 1927. "مقابلة مع وفد العمل الأمريكي الأول."برافدا، 15 سبتمبر، 1927، أُعيد طبعه في ج.ف. ستالين، أعمال. موسكو: بيت اللغات الأجنبية للنشر، 1954، مجلد 158 -97 :10.

---. 1954. أعمال، ج.ف. ستالين. موسكو: بيت اللغات الأجنبية للنشر، مجلد 1.

فينتانستييل، 1999. "لينجوا فرانكا."علم1484 :286.

جورج جيه ستين، 1988." العلم الحيوي وجذور النازية."العالم الأمريكي، :76 50– 58.

ريتشارد ستيتيس، 1991. حركات تحرير المرأة في روسيا. برينستون ن.ج: صحافة جامعة برينستون.

كريس تالبوت، 2012. "ماركس وداروين: أعظم مفكرين ثوريين في القرن التاسع عشر."موقع الاشتراكية العالمي. الجزء 1.

إيان تي تايلور، 1991. في عقول الرجال: داروين ونظام العالم الجديد. مينيابوليس، م.ن: منشورات تفي.

دونالد تريادجولد، 1972. روسيا في القرن التاسع عشر. شيكاغو، إل: راند ماكنالي.

ليون تروتسكي، 1931. حياتي. نيويورك: أبناء تشارلز سكريبنر.

سيدنيويب، بياتريس ويب. 1935. الشيوعية السوفيتية: حضارة جديدة؟ نيويورك: لونجمانز، جرين وشركاه.

ريتشاردويكارت، 1999. الداروينية الاشتراكية. لانهام، م.د: منشورات علمية دولية.

فرانسيسويين، 1999. كارل ماركس: حياة. نيويورك، نيويورك: و. و. نورتون& شركاه.

ويلدر – سميث، بيات. 1982. يوم وفاة ألمانيا النازية. سان دييجو، س.أ: كتب مرجعية.

باريوولي، 2001. "الاتصال الداروينى/ التروتسكيني".خلق، 55–54 :23(2).

ريتشاردورمبراند، 1986. ماركس وساتان. بارتليسفيلل، أ.ك: شركة كتاب التضحية الحي.

إميليانياروسلافسكي، 1940. علامات مميزة في حياة ستالين. موسكو: بيت اللغات الأجنبية للنشر.

ربورت ام يونغ1971. "استعارة داروين: هل الطبيعة تختار؟"الوحش 503–442 :55(3).

يانج، روبرت م. 1982. "مناظرة داروين."الماركسية اليوم22–20 :26.

كونواي زيركل، 1959. التطور وعلم الأحياء الماركسي والمشهد الاجتماعي. فيلادلفيا، ب.أ: صحافة جامعة فيلادلفيا، ص. 87 -85.

الفصل الخامس عشر

كيف ألهمت الداروينية المحرقة الصينية الشيوعية

مقدمة

كان لتشارلز داروين وتلاميذه المقربين، وخاصة توماس هنري هكسلي وإرنست هيجيل، تأثيرًا عميقًا على سياسات الشيوعيين الصينيين والمحرقة التي سببوها لشعبهم. استنتج البروفسور أزار أنّ الداروينية كانت أساس الشمولية الحديثة في الصين وغيرها (1990). وفقا للمؤرخ الصيني هو شيه: "عندما نُشر كتاب توماس هكسلي "الثورة والأخلاق" في عام 1898، أُشيد به على الفور من قبل المفكرين الصينيين. قام الرجال الأغنياء بتدعيم طبعات صينية رخيصة بحيث يمكن توزيعها على نطاق واسع على الجماهير "لأنه كان يُعتقد أن الفرضية الداروينية، خاصة في تطبيقها الاجتماعي والسياسي، كانت حافزًا مرحبًا به لأمة تعاني من الجمود والركود على مدار سنوات عديدة" (ميلنر 2009، 79؛ مقتبس من الفلسفات الحية، 1931، المنشور بالصينية).

في حين لم تكن ترجمات يان فو التي في آواخر تسعينيات القرن التاسع عشر لأعمال داروين وهربرت سبنسر أول دخول للفكر الداروينى إلى الصين، إلّا أنّها سقطت على تربة خصبة في مطلع القرن وسرعان ما اكتسحت المجال الفكري الصيني "(كارل 1998، 1103). تُرجمت العديد من أعمال الداروينيين الرئيسة الأخرى، مثل "التطور والأخلاق" لهكسلي إلى اللغة الصينية في هذا الوقت (بورمان 1963، 5). شددت رانكين على أن الصين حاولت بحماس تبني "العلم" في مجتمعها و "العلم في عام 1903 كان يعني على وجه الخصوص الداروينية وخاصة الداروينية الاجتماعية،

والتي وعدت بتقديم شرح علمي عن أساليب العمل السياسي والمجتمع" (1971، 20). في غضون سنوات قليلة، أصبحت الداروينية مقبولة على نطاق واسع في الصين حتى أنّ "الجمل والشعارات التطورية" أصبحت أمثال صينية شائعة. أصبحت عقيدة "الشخصية الداروينية" متطرفة لدرجة أن الآلاف من الآباء قد أطلقوا على أطفالهم اسماء أشهر الدارونة، أو باسماء أفكار التطور: "لتذكير أنفسهم بمخاطر الإقصاء عن الكفاح من أجل الوجود، كأمّة أو أفراد". جنرال مشهور يدعى تشن شيونغ مينغ غيّر اسمه إلى "تشينج تسون" أو "الكفاح من أجل الوجود". اعتمد المؤلف شيه ذاته اسم "الملائمة" (شيه)، من عبارة "البقاء للأصلح". وأشار إلى أنه بسبب الرواج العظيم للتطور في الصين، اثنان من زملائه في الدراسة حملوا أسماء "الانتقاء الطبيعي يانغ" و "النضال من أجل الوجود سان"." (ميلنر 2009، 79، مقتبس من الفلسفات الحية، 1931، المنشور بالصينية).

نظرية داروين الثورية كانت "أول شعار يرفع في الصين خلال حركة الإصلاح في 1895–98، ردا على هزيمة الصين في الحرب الصينية اليابانية" (بوسى 2009، 162). كانت المجموعتان الرئيسيتان اللتان تعملان على تغيير الصين هما الإصلاحيين – الموالين لأسرة مانشو تشينغ – والثوريين – الذين أرادوا الانفصال عن الماضي –، وكلتاهما استخدمتا الداروينية لتوجيه فلسفتهما السياسية المختلفة. بما أن "التغيير" كان لعنة بالنسبة للمسئولين الصينيين المحافظين، فإن الإصلاحيين تحولوا إلى الداروينية كسلطة لتشجيع التغيير، ولم يقدموا داروين "كعالم طبيعة اكتشف حقيقة مدهشة عن الحياة ولكن كعالم سياسة اكتشف ضرورة حتمية كونية من أجل التغيير" التي استخدموها

لتبرير الثورة العنيفة (بوسي 2009، 162). وكتبت جمعية التطور الصينية، نقلاً عن توماس هكسلي، في عام 1919 أنه إذا كان التعليم "لا يمكن أن يغير بشكل جذري الحالة المتدهورة التي تعيش فيها الغالبية العظمى من البشرية، دعونا إذن نناشد بسرعة هذا المذَنّب الرحيم ليقضي على هذه الكرة الأرضية، وعلينا أيضًا معها" (ديرلك، 1989، 80).

ماو تسي تونغ يصبح داروينيّ

كما كان للداروينية تأثير هائل على العديد من قادة الحزب الشيوعي الصيني الثوري الأعلى، بما في ذلك ماو تسي تونغ. الرئيس ماو كان "بلا منازع أحد أهم الشخصيات في القرن العشرين" في الصين وبقية العالم (بنتون وتشون 2010، 15). كان ماو تسي تونغ (1893-1976). هو أحد مؤسسي الحزب الشيوعي الصيني الحديث، وأول دكتاتور شيوعي صيني "شاب" قرأ للعديد من المؤلفين الغربيين، وخاصةً داروين وهكسلي وهربرت سبنسر وغيرهم من داروينيين القرن التاسع عشر. (شورت 1999؛ ديفيلرز1967، 26؛ بوسي 1983). تأسس أول حزب صيني شيوعي في يوليو عام 1921 من قبل تشن دوكسيو ولى دازاو. بعد أن تكبد الحزب الشيوعي خسائر فادحة على أيدي حزب الكومينتانغ في 1926-1927، تم بناء حزب جديد من قبل ماو تسي تونغ وتشوان لاي الذي أصبح أول رئيس

صورة لماو تسي تونغ عند بوابة تيانانمن.

للحكومة (مايسنر 2007).

تربي ماو علي يد أم متدينة وأب متشكك دينياً، كما قرأ لتشارلز داروين، وهربرت سبنسر، وجون ستوارت ميل، وجان جاك روسو، أصبح "أكثر تشككاً" في الدين (سنو 1961، 128–129). رأي ماو أن الداروينية هي "زهرة عطرة"، وليست "عشبًا سامًا". على مدار التاريخ، في كثير من الأحيان فشلت الأشياء الجديدة والصحيحة في بداياتها في الحصول على اعتراف غالبية الأشخاص وكان عليها أن تتطور من خلال التقلبات والانعطافات. غالبًا يُنظر إلى الأشياء الصحيحة والجيدة لأول مرة ليس كزهور عطرة ولكن كأعشاب ضارة. نظرية داروين للتطور (كانت) قد رُفضت في وقت ما باعتبار أنها خاطئة وتعرضت للمعارضة المريرة (كما ورد في سينغ 2000، 18).

في الواقع، نظر ماو إلى "داروين، كما قدمه الداروينيون الألمان، كأساس للاشتراكية العلمية الصينية" (ستاين 1988، 52). وقد دعا ماو علانية إلى تحقيق الشيوعية العالمية باستخدام العنف والحرب على حد سواء؛ والسياسات التي طورها ماو لتحقيق هذا الهدف أدت إلى قتل ما يصل إلى 80 مليون صيني (روس 1986، 460). ويقدر آخرون أن العدد أقل بكثير، لكن من الواضح أن "الثورة التي قادها أودت بحياة الملايين، حتى "أكثر من 30 مليون حالة وفاة" (بنتون وتشون 2010، 15).

نتائج حكم ماو الداروييني

كتب طبيب ماو الشخصي – الذي عرف ماو أفضل من كافة أصدقائه المقربين تقريباً –: "أنه كان يحترم ماو جدًا، لكن احترامه تبدد عندما عرف المزيد عن ماو بعد توطد علاقته معه بصفته مريضه. تشمل الأسباب التي دفعته إلى احتقار ماو: "ما هي

المبادئ الأخلاقية السامية التي اتبعها؟ لقد تخلى عن بينج ديهواي - أحد القادة الثوريين العظماء في البلاد، وهو رجل مخلص للقضية الشيوعية وكرس حياته لمصلحة الصين - كما لو كان قمامة، وكان يجمع النساء الشابات حوله مثل الأباطرة القدماء...لقد اتخذ الحزب الشيوعي بمنزلة "الشعب" وصعد بهم إلى السماء، بينما كان الشعب الحقيقي يتعرض للاضطهاد والاستغلال، ويجبرون على تحمل كل مشقة، وقبول كل إهانة، لمجرد البقاء. لم يكن "الشعب" سوى عدد كبير من العبيد مجهولي الهوية الذين لا حول لهم ولا قوة. كان هذا هو "المجتمع الجديد"، "العالم الجديد" للشيوعيين. كان جيانغ تشينغ محقاً لقد شعرت بالاشمئزاز. أصبحت "الصين الجديدة" فاسدة" (زيسوى 1994، 354-355).

ومن الأمثلة على ذلك: النظافة الشخصية السيئة لماو، ونمط حياته الاستبدادي في الفيلات الفاخرة، وعلاقاته الشاذة مع الممرضات أو المحظيات المختارات. كانت معاملته لزوجاته قاسية أو وحشية في كثير من الأحيان، ولو يكن أطفاله محظوظين بالتأكيد بكونه والدهم. لقد تُرك بعضهم مع الفلاحين، واختفوا خلال الحروب الثورية، ومات آخرون، وعانى اثنان من الأمراض العقلية (بينتون وتشون 2010، 16-17).

تطبيق الداروينية على الحياة اليومية في الصين

لقد أوضح كينيث هسو مدى تطبيق الداروينية على الحياة اليومية في الصين عندما كان طالباً في الصين في أربعينيات القرن العشرين. لقد ادّعى أنه بعد تمارينهم الصباحية، كان مدير المدرسة يقوم باعطاء محاضرة لصفه، مبشرًا بالداروينية لما تبقى من الساعة: "كان يجب علينا أن نحارب في الصراع من أجل الوجود، لقد أخبرنا بذلك.

الضعيف سيهلك، فقط القوي سيبقى على قيد الحياة" (هسو 1986، 1). وأضاف هسو أنهم تعلموا أن المرء يكتسب القوة ليس بالعمل بجد كما علّمته والدته، ولكن من خلال النضال المستمر الذي من المرجح أن يسود فيه "الأصلح" وفقًا للداروينية. خلص هسو قائلًا: "لقد كنا ضحايا أيديولوجية اجتماعية قاسية تفترض أن التنافس بين الأفراد، أو الطبقات، أو الأمم، أو الأجناس هو الحالة الطبيعية للحياة، وأنه من الطبيعي كذلك أن يتغلّب المتفوق على الأدنى. في القرن الماضي وأكثر من ذلك، كان يعتقد أن هذه الإيديولوجية هي قانون طبيعي للعلوم، وآلية التطور التي صاغها بقوة تشارلز داروين في عام 1859 في كتابه أصل الأنواع. مرت ثلاثة عقود منذ أن دخلت إلى فناء المدرسة لسماع المدير يعارض حكمة عائلتي بادعائه التفوق الداروينيّ" (هسو 1986، 1-2).

في ضوء ما حدث في الحرب وما بعدها (وما قد يحدث في المستقبل)، اضطر هسو إلى التشكيك في نوع اللياقة الذي "أظهرته نتيجة هذه الصراعات. وباعتباري عالماً، يجب عليّ أن أتحرى بشكل خاص الصلاحية العلمية لمفهوم يمكن أن يُحدِث مثل هذا الضرر" كالداروينية (1986، 2).

استنتج هسو أنّ ماو كان مقتنعاً بأنه "دون الضغط المستمر للانتقاء الطبيعي"، فإن البشر سيتدهورون. لقد ألهمت هذه الفكرة ماو - على حد تعبير هسو - في الدعوة إلى "الثورة المتواصلة التي جلبت وطني إلى حافة الخراب" (1986، 13). كان دور طلاب الكليات في محرقة الشيوعية الصينية هامًا كذلك. عبّرت المقالات الافتتاحية وغيرها من المقالات صراحة عن وجهات نظره الإيجابية حول داروين، وتحتوي على الأفكار العامة ذاتها الموجودة في كافة منشورات الطلاب الراديكالية في عام 1903.

هناك موضوعات مألوفة للنضال الداروينى من أجل الوجود والتهديد الإمبريالي للوجود القومي والجهل وبربرية الشعب الصيني (رانكين، 1971، 71).

العرق أصبح بارزًا في الصين

العرق – وفقًا للداروينية – كان كذلك عاملًا حاسمًا في جعل الصين "على حافة الخراب". مزج الثوريون الصينيون كراهية الأجانب التقليدية والمركزية الصينية بمفاهيمهم الجديدة من القومية والنضال الداروينى. الموضوعات العرقية التي سادت الأدب الثوري عام 1911... أظهرت ميلًا حقيقيًا لرؤية العالم بعبارات عنصرية. وهكذا كانت تنذر بالقومية المتطرفة المشوبة بالعنصرية المتشددة التي أظهرها الشيوعيون بعد عام 1949. وقد بدا موضوع العِرق مهمًا للغاية بالنسبة إلى الراديكاليين في عام 1911 بسبب علاقته بتطور الدولة.... جادلوا بأن الشعب الصيني الذي كان من سلالة تشينغ أزيلت بشكل خاص من الحكومة لأن البيت الحاكم كان من عرق مختلف (رانكين 1971، 26).

أحد الأمثلة على ذلك كان الرأي الذي يدعى "بيجينزم" – الاعتقاد بأن البشر لديهم أصلان منفصلان، العرق الأصفر والعرق الأبيض –. تم تطوير البيجينزم أكثر بواسطة جيانغ تشى يو بالتعاون مع ليانغ كيشاو. كانت أبحاث جيانغ حول أصول العرق الصيني تحت هيمنة وتأثير تيريين دي لاكوبيري. أنشأ جيانغ اتصالًا بين سوميرو – أكاديان الذين تنحدر منهم الإمبراطور الجنس الأصفر، ومجموعة فنو – تارتار المرتبطة لغويا مع المنغوليين، أو العرق الأصفر – (ديكوتيلا 1992، 74).

واستنتج الثوار أنّه من بين "العوامل التي تربط بين سكان بلد ما – اللغة والثقافة والتاريخ والجغرافيا – كان العرق هو الأهم" (رانكين، 1971، 26). وأضاف أن:

"الدول تشكلت من خلال النضال العنصري، وكنتيجة طبيعية، إذا كان العرق سيبقى على قيد الحياة، فعليه أن ينشئ أمة. إذا كان هناك عرقين في بلد ما، فإن الوحدة بين الشعب والدولة ستُدمر، أحد العرقين يمكن أن يكونوا أو يصبحوا عبيدًا، وبالتالي لا علاقة لهم بالدولة. ويمكن أن يكون أحد العرقين قد تم اعادة تشكيله أو تدميره، أو قد ينمي وعياً عنصرياً وينفصل لتكوين أمة جديدة كما حدث عندما انقسمت الإمبراطورية النمساوية المجرية. ومهما حدث، فإن الدولة المنقسمة عنصريًا ستفتقر إلى القوة الداخلية، وفي الوقت الذي تتصاعد فيه النزعة القومية العدوانية، فإنها تنذر بالدمار (رانكين، 1971، 26).

علاوة على ذلك يعتقد الثوار أن هذا الاستنتاج وضح بشكل كبير من خلال تأثير حكم مانشو في الصين. تكاد تكون كافة منشوراتهم حول الدونية المزعومة لعرق مانشو، ووحشيتهم المزعومة بغزوهم للصين واستغلال الشعب الصيني. غالبًا ما شعر الثوار بأنهم مجبرون على وضع تصنيفات عنصرية مفصلة لشعوب العالم (رانكين، 1971، 27).

وكما كان صحيحًا أيضًا في ألمانيا النازية، فإن تفاصيل مخططاتها العنصرية والسياسية، لم يكن مهمًا جدًا ولا ضروريًا أن تكون دقيقة للغاية. كانت وظيفتهم الرئيسة هي إضفاء هالة من التصديق العلمي على الرسائل العنصرية، وإظهار أن الصينيين والمانش[1].

هم حقًا شعوب مختلفة، على الرغم من الحقيقة المحرجة أن الاختلافات بينهم كانت أقل بكثير من تلك الموجودة بين كلًا منهما والعرق الأبيض (رانكين 1971، 26-27).

---

(1) شعب المانشو: هم مجموعة عرقية في الصين. السكان الأصليين لمنشوريا، وآخر سلالة امبراطورية في الصين (1644-1912). هم أكبر فرع من الشعوب التونغوسية، ورابع أكبر مجموعة عرقية في الصين، وأكبر مجموعة عرقية بدون منطقة حكم ذاتي، ويتوزعون في أنحاء الصين.(الناشر)

خلص كارل إلى أنّ: "السبب الرئيسي وراء الارتفاع المتسارع في استخدام لغة الداروينية الاجتماعية لوصف العالم وموقف الصين غير المستقر فيه هو مفهوم العرق" (كارل 1998، 1103).

تطورات العنصرية في الصين

تطورت العنصرية في الصين ثلاث خطوات. أولًا: كانت فكرة الأصول المتعددة قديمًا، ثم المونوجينية (الأصل الواحد) بسبب تأثير المبشرين المسيحيين، وأخيرًا: العودة إلى مفهوم الأصول المتعددة بسبب تأثير الداروينية: "كانت الصين تؤمن بمفهوم الأصول المتعددة، في حين أن الغرب متشبعًا بالفرضية اليهودية - المسيحية.

حول المونوجينية. يصور الكتاب المقدس أبناء نوح كأجداد لكافة شعوب الأجزاء الثلاثة من العالم: البشرية تنحدر من أصل (جينس) واحد (مونو). في القرن التاسع عشر، كان على الفكر الأوروبي القضاء على آدم من أجل رفض وحدة البشرية. أُدخِلت أطروحة المونوجينية إلى الصين بواسطة المبشرين في القرن السابع عشر. لي زوباي - المتحول إلى المسيحية - (توفي 1665) كتب تاريخًا للكنيسة المسيحية بالصينية عام 1663، حيث قدم شعبه كفرع من اليهودية التي هاجرت إلى الصين (ديكوتير1992، 70-71).

يبدو أن المواقف العرقية الصينية توازي تحيزات الأمريكيين - الأوروبيين البيض في صيغتها "العلمية" (كارل 1998، 1103). كان هذا صحيحًا على الرغم من أن المفكرين الصينيين تلقوا نظرية التطور في سياق اجتماعي - سياسي مختلفًا تمامًا عن الغرب. كانوا يعملون في عالم رمزي أدى بهم إلى تعزيز جوانب مختلفة من النموذج

التطوري (ديكوتير 1992، 101).

لاحظت رانكين أنّه: "على الرغم من أن فكرة الصراع من أجل البقاء يمكن أن تستخدم في أي سياق تقريبي، إلّا أنّ ثوار 1911 كانوا يميلون إلى تطبيقه بشكل خاص على أساس عنصري" (1971، 30). وذلك لأن التفسير السائد لنظرية الانتقاء الطبيعي كان أحد أسباب التنافس العنصري (زونجزو زينجزينج) والبقاء العنصري (بوازونج). كان المصدر الخارجي الرئيس للإلهام هو الفلسفة التركيبية لسبنسر والنموذج الخطي للاماراك (ديكوتير 1992، 101).

استخدم الصينيون الداروينية للتعامل مع وضعهم السياسي من خلال تبني "مبادئ الداروينية الاجتماعية لتفسير عمل الشؤون الدولية" والتي أعطت أهمية خاصة لمشكلة إنعاش الصين. قانون البقاء للأصلح أدان الأشخاص الذين يحكمهم الأجانب إلى التراجع. سيصبحون عبيدًا، غير قادرين على تطوير قدراتهم الطبيعية، ويصبحوا تحت الأرض تحت الطغيان الذي يعتقد الثوار أنه عنصر محتوم في الحكم الأجنبي. في الصين بدأت هذه العملية بالفعل. على مدى مائتين وستين سنة كان الصينيون عبيداً للمانشو، والآن بعد أن غرق المانشو تحت الهيمنة الغربية، أصبح الصينيون عبيدًا للعبيد (رانكين 1971، 29).

صورة لصن يات – سين

على سبيل المثال: افترض تسو جونغ ما يعادل "شكل عكسي للتطور إذا أخفق الصينيون في إصلاح أنفسهم؛ سيغرقون أعمق في العبودية، ويصبحون قردة، وأخيراً ينقرضون" (رانكين 1971، 29). هذه

المخاوف من الانقراض العرقي، والتي بدت في كتابات العديد من الثوريين الصينيين بما في ذلك صن يات - سين مبالغًا فيها عند النظر إليها من مسافة موضوعية. ومع ذلك، كانت عنصرا أساسيًا في رد الفعل ضد إمبريالية عرق آخر. وكانت التعبيرات امتداد مبالغ فيه لانشغال المتطرفين بالكفاح من أجل الوجود، وتصميمهم على القتال من أجل البقاء. حدة المخاوف العرقية للمثقفين المتطرفين الذين يرون أنفسهم يكافحون ضد شعب مختلف قد أوحى بها بعض أوجه التشابه بين تصريحات الثوريين الصينيين عام 1911 والمسلحين السود في الولايات المتحدة في الستينيات (رانكين، 1971، 29).

الأخلاق الداروينية في الصين

في أذهان هتلر وستالين وماو، فإن معاملة الأشخاص كحيوانات لم تكن خطأ لأنهم جميعاً ظنوا أن داروين "أثبت" أن البشر ليسوا مخلوقات الله، ولكن حيوانات تنحدر من "كائن بسيط" خلوي. اعتقد هؤلاء الرجال الثلاثة أنه من المناسب أخلاقياً أن يزيلوا الأقل لياقة أو "يسوقونهم مثل الماشية في شاحنات إلى معسكرات الحشد العسكري أو معسكرات العمل الإلزامي والسخرة" إذا ساعد ذلك على تحقيق الأهداف التي تطالب بها فلسفة الداروينية (بيرلوف 1999، 225).

ويُشار إلى المدى الذي طُبعت به الداروينية في أذهان الشعب الصيني بحقيقة أن ماو كان لا يزال يستخدم المصطلح الدارويني "الانتصار للأصلح" حتى آواخر عام 1957 (بوسي1983، 452). حتى في فترة ما بعد ماو، كانت لا تزال بعض "الأساطير الداروينية" الأكثر ضررًا تؤثر في سياسة الحكومة الصينية (بوسي 1983، 452).

كما استخدم الأوروبيون الداروينية للمساعدة في تبرير إمبرياليتهم ضد الصين،

باعتبارهم العرق الأكثر ملاءمة، أعلنوا أنه من حقهم أن يحكموا الأعراق "غير الصالحة". والأكثر من ذلك أنّه على الرغم من أن الفكرة الداروينية: "عن الصراع من أجل البقاء يمكن أن تستخدم في أي سياق تقريبًا، لكن الثوريين عام 1911 كانوا يميلون إلى تطبيقه بشكل خاص على الناحية العرقية. لقد أصبحت الأزمة وشيكة الآن. كان العرق الأبيض قد أخضع بالفعل الأجناس السوداء والحمراء والبنية، تاركًا الصراع الحالي بين الأجناس البيضاء والصفراء. في هذه المعركة كان العرق الأبيض متفوقًا في الصناعة والقوة العسكرية والتنظيم الحكومي والروح المستقلة لشعبه. ومع ذلك، فإن مثال اليابان أظهر أنه من الممكن للعرق الأصفر أن يرتفع (رانكين، 1971، 30).

حتى أن بعض أنصار التطور قالوا إن "تراجع الصين سيؤدي إلى الانقراض إذا لم يُضبط"، لكن الثوار جادلوا بأن قوانين التطور يمكن تغييرها من خلال التدخل البشري، ولا يزال هناك وقت كي يتكيف الصينيون مع ظروف العالم الحديث إذا طوّروا أنفسهم بسرعة. ولإيجاد طريقة للخروج من المستقبل الذي لا يطاق والذي واجهته الصين من التطور، تخلى الثوريون عن العلم لصالح ممارسة الإرادة الحرة الفردية وسعوا إلى بديل عن القوة المادية في التجدد الأخلاقي (رانكين 1971، 30).

وتضيف أن العلاج للتدمير نتيجة "قوانين التطور" هو الثورة والعنف، وعلاوة على ذلك، فإن موقف الصين اليائس يبرر بل ويطالب باستخدام العنف (1971، 30–31). في الوقت نفسه، قبل الصينيون حجة داروين الإمبريالية، قال ليانغ تشى تشاو، أحد الإصلاحيين البارزين، في عام 1898: "إذا استطاعت دولة ما أن تعزز ذاتها وتصبح واحدة من الأصلح، وحتى إن قضت على غير الصالح والضعيف، لا يمكن تسمية هذا

غير أخلاقي، لماذا؟ لأنه قانون التطور" (بوسي2009 ، 162).

حاول لو شون (1881-1936) - وهو أحد أهم الكتاب الصينيين - أن يكون مفهومًا من الناحية العملية للثورة الصينية المستوحاة من الداروينية (بوسي 1998، فان 1998). اعتمد لو شون بشكل كبير ليس على داروين فحسب، بل وكذلك على هيجيل الذي "قبله بغير تشكك"، خاصةً ادّعاء هيجيل "معرفة كل شيء" من خلال فكرته أنّ "التطور التدريجي للجنس البشري" قد ثبت "بما لا يدع مجالًا للشك"، وأنّه "لا يوجد شيء لا يمكن تفسيره بالقانون الطبيعي" (بوسي1998 ، 75). ونتيجة لذلك، ساعد على "نشر الإيمان بخرافات العلم" (بوسي1998، 75). ولحسن الحظ، فإن لو شون "لم يستسلم للرأي الدارويني الاجتماعي بأن عرقه كانت حياته متدنية من الناحية التطورية" (بوسي1998، 77). لكن هذا لم يمنع الصينيين من الحكم على الأعراق الأخرى بأنّها أدنى من الناحية التطورية. كانت النتيجة كما يلي: "على الرغم من إمكانية استخدام فكرة النضال من أجل البقاء في أي سياق تقريبًا، لكن ثوار 1911 كانوا يميلون إلى تطبيقه بشكل خاص من الناحية العرقية. لقد أصبحت الأزمة وشيكة الآن. كان العرق الأبيض قد أخضع بالفعل الأجناس السوداء والحمراء والبنية، تاركا الصراع الحالي بين العرق الأبيض والأصفر يرتفع. الصين تواجه كارثة لكن الثوار كانوا يعلنون تحذيرًا عاجلاً: قوانين التطور الطبيعية ليست منيعة ضدّ التدخل البشري" (رانكين 1971، 30).

وتضيف: "العلاج: الثورة والعنف" (رانكين، 1971، 30).

هيمنة داروين على السياسة الصينية

دعم بعض الإصلاحيين السياسيين المبكرين الديمقراطية، ولكن إدراكهم أن الأشخاص

في بلدهم كانوا غير مستعدين تماما للشكل الديمقراطي للحكم، فقد أكدوا على التطور التدريجي لداروين الذي من شأنه أن يمنح كلا من التوجيه والاستقرار لبلادهم. وهكذا، من خلال التماس "القانون الطبيعي" الدارويني، افترضوا أنهم يستطيعون الوصول إلى هدفهم. ونتيجة لذلك، أعاق المعتقد الدارويني العمل مباشرة نحو الديمقراطية نظرًا للاستنتاج بأن نموذج التقدم التدريجي هو قانون طبيعي ثابت يتطلب تحقيق كل مرحلة من أجل تحقيق الهدف النهائي، ألا وهو الديمقراطية.

بالمقابل، كما ذكرنا سابقًا، احتضن الثوار داروين كذلك، مستلهمين فكرة أن "الأعلى ينجو والمتدني يُهزم". كان الرجل الذي قدم التطور الدارويني إلى الإصلاحيين عام 1895 هو يان فو.

ناقش الإصلاحيون والثوريون بقوة "ملوحون بشعار داروين في كلا الجانبين" (بوسي 2009، 163). وشجع قادة هذه الحركات الأفكار العنصرية العلمية القادمة من أميركا وألمانيا في ذلك الوقت، واعتبروا أنفسهم "أكثر ملائمة" للحكم. وكتب بوسي: "للأسف أن كلا المعسكرين قبلوا وجهة النظر الغربية المنتشرة بأن داروين أثبت عدم مساواة الأجناس؛ إن أحد الأعراق كان "أصلح" وبالتالي أفضل من الآخرين. كان الإصلاحيون قد فعلوا ذلك في الأصل لفصل أنفسهم عن أولئك الذين وقعوا فريسة للإمبرياليين، مثل الأفارقة والهنود. لكن في منفاهم في اليابان، تحول الإصلاحيون والثوريون على حد سواء بالغضب على المانشو ككبش فداء، واصفين حياتهم بالمتدنية، وأنّ غزوها "الغير شرعي" للصينيين الهان[1] مسؤول عن تعرض الصين للخطر" (بوسي 2009، 163).

---

(1) شعب الهان: هي إحدى المجموعات العرقية التي يتكون منها الشعب الصيني وتمثل حوالي 92% منه. بقي الهان هم =

1- يرجع نمو الماركسية في الصين بعد الحرب العالمية الأولى جزئيًا إلى حقيقة أن الفلسفات الصينية السلمية التقليدية كانت تعد ضعيفة، والنظرة الماركسية للعالم "بدت لهم الأصلح على وجه الأرض لمساعدة الصين على البقاء" (بوسي 2009، 163). لم تكن هذه النتيجة بالكامل بسبب أفكار داروين، لكن داروين كان مشاركًا فيها كلها. للإيمان بالماركسية كان على المرء أن يؤمن بالقوى العنيدة التي تدفع البشرية، أو على الأقل اختيار التقدم الذي لا مفر منه من خلال مراحل محددة (التي يمكن مع ذلك تخطّيها). كان على المرء أن يعتقد أنّ التاريخ كان صراع طبقات وراثي عنيف (يكاد يكون صراعًا "عنصرياً")، وأنّ الفرد يجب أن يخضع بشدة للمجموعة، وأنّ على المجموعة المستنيرة أن تقود الشعب من أجل مصلحتهم، وأنّ الأشخاص يجب أن لا يكونوا إنسانيين تجاه أعدائهم، وأنّ التاريخ أكد أنّ النصر لأولئك الذين كانوا على حقّ والذين كافحوا (بوسي2009 ، 163).

ثم تسائل بوسي: "من الذي علم الصينيين هذه الأشياء؟ ماركس؟ ماو؟ داروين" (بوسي 2009، 163). وكانت النتيجة النهائية أن الثوار "قبلوا الإرهاب كأفضل طريقة للإطاحة بالحكومة المستبدة" (رانكين، 1971، 31). كانت النتيجة حمام دم لم يعرف التاريخ أكبر منه من قبل أو من بعد. بعض الفظائع التي ارتكبها الشيوعيون الصينيون موثقة من قبل يحيى (2004). لقد استندت المحرقة الصينية إلى وجهات نظر عنصرية واستنتجت أن "الاختلافات العرقية قد قسمت الشعوب بشكل غير قابل للتسوية،

=

القومية الغالبة رغم انتقال البلاد من الإمبراطورية إلى العهد الاشتراكي فكل من الاباطرة وقادة الحزب الشيوعي وقواعده الشعبية من الهان. استمر حكم الهان لأكثر من 400 سنة. (الناشر)

بحيث كان من المستحيل أن يشارك عرقان بالتساوي بشكل ودي في حكومة" (رانكين، 1971، 56).

عدد ضحايا الصينين نتيجة الداروينية الماركسية

باستخدام وثائق أساسية خلص تشانج وهوليداي إلى أن ماو كان "مسؤولاً عن أكثر من 70 مليون حالة وفاة في زمن السلم، أكثر من أي زعيم آخر في القرن العشرين" (2005، 3). في حين أن البعض يشككون في هذا العدد، إلّا أنّ الأرقام الأخرى المقدمة لا تزال تقدر بالملايين (بنتون وتشون 2010؛ أزار 1990). يدّعي شوارتز (1972، 1985) أن محرقة ماو تسي – تونغ "الثورة الثقافية الكبرى" وحدها مسؤولة عن حوالي 29 مليون حالة وفاة، فضلا عن تعطيل حياة أكثر من 600 مليون شخص.

قام سونام توبجيال (1984، 7) بحساب أن الصينيين قتلوا 1,278,387 شخصًا خلال حكم التبت الذي دام 33 عامًا. وبالتفصيل: مات في السجون ومخيمات العمل 174,138 تبتيًا باعتبارهم جنساً أدنى تحاول الحكومة الصينية السيطرة عليه، وأُعدم 156,758 شخصًا، ومات 432,607 في الحرب، ومات 413,151 من الجوع و92,731 من التعذيب، وانتحر 9,300 شخص.

ومن بين 7000 دير من التي كانت متواجدة في الهيمالايا قبل استيلاء الصين عليها عام 1950، فقط 6 أديرة لاتزال نشطة اليوم. خلال ثلاث سنوات فقط، قتل الجيش الأحمر الصيني أو خسر من خلال الفرار من الجندية ما يقرب من 150,000 من جنوده لعصيان الأوامر، تقريبًا ما يساوي من لقوا حتفهم في العمل أو أُسروا أو خرجوا من الجيش لأسباب صحية (تشانغ و هاليداي 2005، 296).

القاتل الجماعي بول بوت

لقد عدّل ماو تسي تونغ الداروينية من الصراع من أجل الوجود إلى "صراع" الثورة الثقافية، حيث حلت وجهة نظره الشيوعية محل أسلافه، مثل ستالين. كان لبول بوت – أحد أتباع ماو تسي تونغ – وجهة نظر مختلفة حول الصراع الداروينى. عرف بول بوت من خلال أستاذه جان بول سارتر فكرة التطور إلى صور أعلى" من الحياة والتي ترجمها إلى "الصراع الحضاري – القروي والذي مات فيه ربع السكان" (جونسون 2012، 138).

ونتيجة لذلك، سرعان ما أصبح بول بوت في كمبوديا أحد أسوأ قتلة الجماعات في العالم. وقاد الخمير الحمر[1] إلى إبادة جماعية ضد شعبه في نظام متعطش للدماء مستوحى من شيوعية الصين المسماة "ماو تسي تونغ" . وكان العرق عاملاً حاسماً في برنامج إبادة بوت، لكن ليست العنصرية الأمريكية أو الألمانية، ولكن عنصرية تستند إلى سمات جسدية لا ترتبط عادة بالعرق بمفهومه الغربي (كيرنان 2008، 26). وتشير التقديرات اليوم إلى أن نظام بول بوت قتل أو جوّع حتى الموت أكثر من مليون ونصف، ما يصل إلى ثلاثة ملايين من سكان كمبوديا البالغ عددهم ثمانية ملايين نسمة في غضون ثلاث سنوات فقط من 1975 إلى 1979.

كانت جمهورية الصين الشعبية المصدر الرئيسي للدعم المالي والعسكري لنظام بول بوت، وهي مسؤولة إلى حد ما عما حدث في ذلك البلد. ولقد كتب والتر موس:

---

(1) الخمير الحمر: أو الخميرية هم الحزب السياسي الحاكم في كمبوديا في الفترة ما بين 1975 و1979. كان زعيمهم هو بول بوت الذي حاول تطبيق نظام شيوعي زراعي راديكالي على شعبه. واسم خمير يأتي من كلمة كمبودية بمعنى فلاح حيث أنهم كانوا يقدّسون الزراعة.(الناشر)

"لدى وفاة ماو في عام 1976، كان أحد معجبيه في كمبوديا - هو بول بوت - يحاول تطبيق العديد من أفكار ماو في بلاده. جاء هذا الماركسي وزعيم الخمير الحمر إلى السلطة عام 1975. فعل ذلك بشكل جزئي - لأنّ القصف الأمريكي الكثيف لكامبوديا - كان أكثر من ثلاثة أضعاف حجم القصف الذي لحق باليابان في الحرب العالمية الثانية - قد زعزع استقرار البلاد وزاد بدون قصد دعم هذه المجموعة الشيوعية المتطرفة المعادية للغرب" (موس 2008، 19).

كما هو الحال في غالبية الدول الشيوعية: "قام الخمير الحمر بتحريم ممارسة الدين. لقد شنوا حرب طبقية شرسة، وهاجموا الحياة الأسرية والطبقات التقليدية والثقافة. باستثناء الطبقات العليا، كان الضحايا الرئيسيين أقليات عرقية مثل الصينيين والفيتناميين والمرضى (قُتل الكثيرين في المستشفيات أو طُردوا إلى الشوارع) والكاثوليك والمسلمين. كثيراً ما سُبق الموت بعمليات التعذيب الرهيبة، ولم يُظهر الخمير الحمر اللامبالاة بحياة الإنسان على المستوى الفردي فحسب، بل كانوا كذلك منخرطين في السلوك السادي" (2008، 19-20).

تأثر بول بوت بالداروينية ولكن بشكل غير مباشر بل نتيجة لتأثير الصين - موضوع هذا الفصل - ومع ذلك، كان "بول بوت مَن طبّق أفكار داروين بذبح عدد كبير من الكمبوديين" (أليكسس2007، 159). "ما كان يجمع بين بول بوت وماو وستالين والقليل من القادة الشيوعيين الآخرين، كان الاعتقاد بأن إعادة هيكلة المجتمع والحياة الإنسانية بررت قتل البشر. كانت أفكار مفكري القرن التاسع عشر مثل ماركس (1818-1883)، وداروين (1809-1882)، وفريدريك نيتشه (1844-1900)،

وكذلك الأفكار العنصرية والقومية والإمبريالية، تُستخدم في الغالب، بشكل صحيح أو بشكل خاطئ لتبرير عمليات القتل هذه" (موس 2008، 20، 34).

وكانت النتيجة أنّ "الخمير الحمر جلبوا تحولاً أكثر راديكالية للبلاد في فترة زمنية أقصر مما نجح فيه زملاؤهم الشيوعيون في الاتحاد السوفييتي أو الصين (موس 2008 ، 19). كما تأثر هو تشي مينه - زعيم الحزب الشيوعي في فيتنام - بأفكار داروين (بروشوكس2007 ، 38). استنتج بول جونسون أنّه في القرن العشرين، من المرجح أن أكثر من 100 مليون شخص قد قُتلوا أو جُوعوا حتى الموت نتيجة للأنظمة الشمولية المصابة بأنواع مختلفة من الداروينية الاجتماعية. لكن داروين ذاته أصرّ دائماً على النسبة العالية من التدمير الذي ينطوي عليه التكاثر. الطبيعة من وجهة نظره دائمًا مسرفة في الموت كما في الحياة. في الوقت الذي نُشر فيه أصل الأنواع، كان هناك حوالي 1,325 مليون شخص في العالم. بحلول الوقت الذي توفي فيه ماو تسي تونغ - آخر أكبر "المبيدين"- كان هو ذاته مسئولًا عن وفاة 70 مليون شخص - ارتفع مجموع البشر إلى 3,900 مليون في ذلك الوقت - (جونسون، 2012، 138).

الاستنتاجات

كانت محرقة الصينيين والكمبوديين ممكنة لأن الداروينية كانت أكثر من نظرية علمية: فهي في الأساس نظرة شمولية للعالم، وموقف فلسفي حول طبيعة كل الواقع. إن المادية التي عززت النظرة الداروينية للعالم، ولّدت العنصرية العلمية وعلم تحسين النسل في الغرب، وأشعلت الحماسة الثورية في الشرق. يجب على الجيل الجديد فهم وإدراك أهمية هذه الحقيقة وتجنب القبول غير النقدي للجذور الفلسفية لأي علم (بوسي 2009، 163). عدد

الدارونيين اليوم في الصين أعلى منه في غالبية الدول -74 بالمائة مقارنة مع 56 بالمائة في روسيا و52 بالمائة في إسبانيا ومصر[1] - وفقًا لدراسة واحدة. ومع ذلك قليلون يفهمون مساهمتها في تاريخهم المضطرب الأخير (ستيفنسون، 2009).

(1) لا أدري كيف اعتمد المصنف هذه النسبة الخاصة بمصر ، إذ لا يوجد انتشار لنظرية التطور في مصر حاليًا وما ينشره كهنة الإلحاد اليوم لتعريف الناس بها في مصر يُعد جديدًا على أسماع المصريين ، فضلًا عن النسبة وقت تصنيف الكتاب أو عام 2009 اثناء قيام ستيفنسون ! بهذه الدراسة المزعومة.(الناشر)

المراجع

جوناس أليكسس، 2007. بأسم التعليم. ميتلاند. فلوريدا: مطبعة إكسلون.

لاري أذار، 1990. القرن العشرين في الأزمة: أسس الشمولية. دوبوك، لوا: كيندال – هانت.

جريجور بينتون، ولين شان (المحررين). 2010. كان ماو حقا وحشًا: الرد الأكاديمي على تشانغ وهاليداياز ماو: القصة المجهولة. نيويورك: روتليدج.

هاورد ال بورمان، 1963. "ماو تسي تونغ: الصورة اللامعة." الصين فصلياً 16: 1–55.

بيبر بروشكس، 2007. هو تشي مينه: سيرة ذاتية. نيويورك: مطبعة جامعة كامبرج.

جونغ تشانغ، وجون هاليداي. 2005. ماو: القصة المجهولة. نيويورك: كنوبف.

فيليب ديفيلرز، 1967. ماو. نيويورك: شوكن.

فرانك ديكوتير، 1992. خطاب العرق في الصين الحديثة. ستانفورد، كاليفورنيا: مطبعة جامعة ستانفورد.

أريف ديرلك، 1989. أصول الشيوعية الصينية. نيويورك: مطبعة جامعة أكسفورد.

فا – تي فان، 1998. "كتاب مراجعة لو شيون وتطور." مجلة تاريخ علم الأحياء 32 (1): 218–220.

كينيث هسو، 1986. الموت العظيم: الكارثة الكونية، الديناصورات ونظرية التطور. نيويورك: هاركورت، بريس جوفانوفيتش.

بول جونسون، 2012. داروين: صورة من العبقرية. نيويورك: فايكنغ.

ريبيكا إيكارل، 1998. "خلق آسيا: الصين في العالم في بداية القرن العشرين". المراجعة التاريخية الأمريكية 103 (4): 1096– 1118.

موريس كايرنان، 2008. نظام بول بوت: العرق والسلطة والإبادة الجماعية في كمبوديا تحت الخمير الحمر، 1975- 79. نيو هافن، كونيتيكت: مطبعة جامعة ييل.

موريسميسنر،2007. ماو زيدونج: صورة سياسية وفكرية. مالدن، ماساتشوستس: بوليتي برس.

ريتشاردميلنر، 2009. عالم داروين: التطور من الألف إلى الياء بيركلي، كاليفورنيا: جامعة كاليفورنيا.

والتر موس، 2008. عصر التقدم؟ تصادم القوى العالمية للقرن العشرين. نيويورك: مطبعة أنثيم.

جيمس بيرلوف، 1999. اعصار في جنكيارد. أرلينغتون، ماساتشوستس: كتب الملجأ.

جيمس رييف بوسي، 1983. الصين وتشارلز داروين. بوسطن، ماساتشوستس: مطبعة جامعة هارفارد.

--------. 1998. لو شين والتطور. ألباني، نيويورك: مطبعة جامعة ولاية نيويورك.

--------. 2009. "داروين عالمي: الطريق الثوري" الطبيعة 462: 162-163.

ماري بي رانكين، 1971. الثوريون الصينيون الأوائل: المثقفون المتطرفون في شنغهاي وشيكيانغ، 1902-1911. كامبردج، ماساتشوستس: مطبعة جامعة هارفرد.

مايكل روس، 1986. "علم الأحياء والقيم: نظرة جديدة،" في المنطق، المنهجية، وفلسفة العلوم، بواسطة ماركوس وآخرون. منشورات إلسفير للعلوم.

فريد شوراتز، 1972. الوجوه الثلاثة للثورة. هبوط الكنيسة، فيرجينيا: مطبعة كابيتال هيل.

-------.1985. "طلب مبلغ فلكي في التعويضات." الحملة الصليبية المسيحية المناهضة للشيوعية، فبراير 1.

فيليب شورت، 1999. ماو: الحياة. نيويورك: هنري هولت.

لام ليسينج، 2000. ماو تسي تونغ تشاي والاقتصاد السياسي الصيني مع إشارة خاصة إلى ثورة التحديث ما بعد ماو. لويستون، نيويورك: مطبعة إدوين ميليين.

إدجرسنو، 1961. النجم الاحمر على الصين. نيويورك: مطبعة جروف.

جورج جيهستين، 1988. "العلوم البيولوجية وجذور النازية". عالم أمريكي 76: 50-58.

توني ستيفنسون، 2009. "مسح داروين يظهر التوافق الدولي على قبول التطور." المجلس البريطاني، www.britishcouncil.org/darwin.

سونامتوبجيال، 1984. "أكثر من 1,2 مليون توفي تحت حكم الصين." مراجعة تبتان 19 (3) :7.

هارون يحيي، 2004. سياسة الصين الشيوعية للقمع في تركستان الشرقية. اسطنبول: جلوبال للنشر.

د. لي زيزو، 1994. الحياة الخاصة للرئيس ماو. نيويورك، نيويورك: راندوم هاوس.

الفصل السادس عشر

نظرية الجريمة الداروينية : فصل مأساوي في التاريخ

المقدمة

اعتقد الداروينيون أنّ الإنسان قد يرتد في بعض الأحيان جسديًا وذهنيًا إلى مرحلة ما قبل الإنسانية من التطور التدريجي. كانت هذه الحالة تسمي هذا بالتأسل الرجعي. ونتيجة لهذا الاعتقاد، كان تركيز علماء الجريمة الداروينية على تحديد النوع الإجرامي الذي يجب سجنه بشكل دائم لحماية المجتمع، حتى لو كانت الجريمة المحددة التي ارتكبها تعتبر جريمة صغرى، وفي المقابل إذا ارتكب "نوع غير إجرامي" جريمة خطيرة، فذلك كان يعد شذوذًا عن القاعدة، وبالتالي جادلوا بأنّ سجنه لن يقدم أي فائدة.

يعتقد علماء الجريمة الداروينينة أن العقوبة يجب أن تُناسب المجرم وليس الجريمة. تبنى علماء الجريمة هذه النظرية لشرح الجريمة على نطاق واسع، ونتيجة لذلك تأثر بها الرأي العام والسياسة الحكومية. لا تزال الصورة النمطية "للنوع الإجرامي" معنا بشكل كبير على الرغم من أن نظرية الارتداد التطوري كعامل مسبب في الإجرام تم دحضها قبل عقود.

التأثيرات الرئيسة للداروينية عن العنصرية والمحرقة والحرب العالمية الثانية كلها موثقة جيداً في هذا المجلد وفي أماكن أخرى (فيكارت، 2003). إنّ العنصرية التي تأثرت بالداروينية عززتها كانت بشكل خاص "موضوعاً متكرراً في الأنثروبولوجيا الأمريكية والبريطانية" (لوين 1987، 55). الأقل شهرة هو التأثير العكسي للداروينية تقريبًا على كل مجالات المساعي الإنسانية "ولم يكن هناك مكان لانتصار المادية العلمية أكثر مما

هو في مجال الجريمة والعقاب" بما في ذلك البانولوجيا [1] (ويست 2007، 42). تطورت نظرية الإصلاحيات[2] الداروينية جزئياً لأنه بمجرد تأسيس نظرية في مجال ما، فإنّه يتم تبنيها بشكل في المجالات أخرى دون إخضاعها للنقد. يحاول العلماء في معظم المجالات استيعاب النظريات التي يعتقدون أنها مقبولة بشكل جيد في مجالات أخرى، وفي بعض الأحيان دون فحص دقيق لها. يحدث هذا القبول غالبًا دون إدراك كامل للجدل حول النظرية في مجالها الأصلي نفسه.

أمثلة المجالات التي اعتمدت الداروينية دون إخضاعها للنقد مع عواقب مأساوية لا تشمل فقط علم الجريمة ولكن كذلك مجالات علم الاجتماع وعلم النفس بأكملها. هذه الحقيقة "توضح التأثير الهائل لنظرية التطور في مجالات بعيدة عن جوهرها البيولوجي. حتى أكثر العلماء تجريدًا ليسوا متحررين منها. تحتوي الأفكار الرئيسة على امتدادات عميقة وبعيدة المدى بشكل ملحوظ" (غولد 1977، 223). فمثلا: استغراق القرن التاسع عشر في عملية التطور عزز الفكرة المرتبطة بالتأسل الرجعي بأنّ المشكلات المجتمعية السلوكية تعود في الأصل إلى الكائنات الأدنى. يبدو أنّ أصل الأنواع (1859) لتشارلز داروين يصور صراعًا كبيرًا في كل المجالات بين الكائنات البدائية والمعقدة. في كتاب أصل الإنسان (1871)، أوضح داروين أن التطور يخلق التسلسل الهرمي للذكاء، والأخلاق، وخصائص إنسانية أخرى (رافتر1997، 37).

---

(1) البانولوجيا: هو أحد أفرع علم الجريمة ويشمل دراسة الجريمة والعقاب وكيفية إدارة السجون. (الناشر)

(2) نظرية الإصلاحيات: مجموعة من الأمور في مجال العدالة الجنائية والتي تقوم بها الوكالات الحكومية للإشراف على العقاب، والعلاج، والإفراج المشروط، والاختبار، والسجن الإصلاحي وكل ما يخص المدانين. (الناشر)

لقد قبل علماء الاجتماع الداروينية بشكل عام دون إخضاعها للنقد، خاصة بعد نشر كونت نظامه السياسي (بارنز 1948، 106-107). كان قبول الداروينية في علم الاجتماع مبنياً على فكرة أنّ تطور التنظيم الإجتماعي للإنسان جاء نتيجة لتطوره البيولوجي؛ وبالتالي فإن التطور الاجتماعي نتيجة لكنها متوازية بشكل أساسي مع التطور البيولوجي. لذا يجب فهم الخصائص والسلوكيات البشرية الفردية على أنها انعكاسات لهذا الميراث العضوي والبيولوجي العام؛ لا يتم تحديدها بالمنطق والحرية الفردية، ولكن تُحدد بيولوجيًا (فولد 1958، 10).

تأثرت العلوم السلوكية بالتطور البيولوجي لدرجة أن دراسة الثقافات والمجتمعات البشرية قد صاغتها نظريات التطور البيولوجي الحالية. كانت هذه حقيقة لعقود وأثرت على كل من النظرية والسياسة (موريس 1974). ذكر ويزرواكس أنّه في وقت مبكر - في أواخر القرن التاسع عشر "مبدأ التطور [البيولوجي] وتأثيره انتقل إلى مجال المشكلات الاجتماعية وكان له تأثير عميق على كل الأفكار" (1909، 42، غولد 1977، 223). لم تتسبب الداروينية في أن تصبح هذه الأفكار سائدة فحسب، بل كذلك لتكثيف التكهنات حول التطور وعلاقات البشر بالكائنات الأقل تعقيدًا. شكلت الداروينية أيضًا العمل الذي قام به عالم الإجتماع الإنجليزي هربرت سبنسر في العلوم الطبيعية الذي صاغ عبارة "البقاء للأصلح". وتكثفت هذه التكهنات بنشر أصل الأنواع عام 1859 الذي يجادل فيه داروين بأن "الأنواع التي لا تعد ولا تحصى والفصائل وعائلات الكائنات الحية التي تسكن هذا العالم، تنحدر جميعها من آباء مشتركة." بدت أفكار داروين منسجمة مع فكرة اعتبار المجرم شكل حيواني من الماضي البدائي. بالإضافة إلى

ذلك، فإنّ القنوات التي مرر داروين من خلالها أفكار مثل "البدائية، والأعضاء الضامرة أو المجهضة" يمكن أن يلاحظ أنّها تأكيدات لتقارير لومبروسو عن أسنان المجرم التي تشبه الثعبان وغيرها من الحالات الشاذة الحيوانية (رافتر 1997، 126).

في النهاية، أُدرك أن بعض تطبيقات الداروينية (مثل الداروينية الاجتماعية) تسببت في قدر كبير من الضرر.

تاريخ التأسل الرجعي

نوقشت فكرة التأسل الرجعي للبشر لأول مرة من قِبل داروين في عام 1871. ومن الأمثلة على ذلك طرحه فكرة أنّ الأشخاص ذوي "أسوأ النزعات، والتي قد تظهر في بعض الأحيان دون أي سبب محدد لظهورها في عائلتهم، قد تكون انتكاسات لمرحلة البدائية الهمجية، التي لم تُمح على مدار أجيال كثيرة" (داروين 1881، 137). وبما أن الأشخاص المتأسلين تراجعوا وراثيا ليس فقط من الناحية السلوكية ولكن جسديًا كذلك، فقد جادلوا بأنّه يمكن التعرف على المجرمين في كثير من الأحيان عن طريق السمات الجسدية وحدها؛ أسنان غير طبيعية، وعدم تناسق الوجه، وآذان كبيرة، وبعض العيوب في العين، وملامح وجه "تشبه القرد"، وخصائص جنسية "معكوسة" (الشذوذ الجنسي)، كان ينظر إليها جميعًا بوصفها دليلًا ماديًا على الإنسان العدواني، وبالتالي نوع إجرامي (تايلور وآخرون 1973، 41).

كان مفهوم التأسل الرجعي عنصرًا أساسيًا في الأدلة التي استخدمها داروين لدعم نظريته، ويعتقد أنصار التطور أن "العودة إلى حالة سابقة الوجود" – والتي كانت مقبولة على نطاق واسع في أواخر القرن التاسع عشر – لا يمكن تفسيرها إلا من خلال نظرية

أن البشر ينحدرون من أحد المخلوقات الشبيهة بالقردة، لا يمكن تحديد سبب آخر لماذا بعض العضلات تظهر فجأة مرة أخرى بعد فاصل زمني من عدة آلاف من الأجيال، بالطريقة ذاتها التي تظهر فيها الخطوط الغامقة على الساقين والكتفين في الخيول والحمير والبغال بعد فترة من المئات أو ربما أكثر من آلاف الأجيال (داروين 1871، المجلد 1، 129).

وأضاف أن هذه الحالات من الارتداد: ترتبط ارتباطا وثيقا بتلك الأعضاء البدائية الواردة في الفصل الأول [من كتابه]. بعض الأجزاء البدائية في الإنسان والتي بعضها موجود دائمًا مثل: العصعص في كلا الجنسين، والأثداء عند الذكور. في حين أن هناك أشياء أخرى مثل: الثقب العظمي في العُرْف الإنْسِي فوق اللُّقْمَة العَضُدِيّة[1]

، تظهر أحيانًا فقط وبالتالي يمكن وضعها تحت عنوان الارتداد. وتكشف هذه التراكيب الارتدادية العديدة، بالإضافة إلى البدائية البحتة، بطريقة تخلو من الشك انحدار الإنسان من كائن أدنى (داروين 1871، المجلد 1، 129-130).

استنتج داروين أنّ التأسل الرجعي دليل "لا لبس فيه" على التطور البشري. وقد عزا ليل التفوق في المجالات متنوعة من الدين والأخلاق والفلسفة والعلوم إلى التأسل الرجعي: يمكن أن يُنسب الظهور العَرَضي لهذه القوى العقلية الاستثنائية إلى التأسل الرجعي، ولكن يجب أن تكون هناك بداية لسلسلة هذه الأحداث النادرة الغريبة.

---

(1) هو ارتفاع طفيف في الثلث السفلي من الحافة الوسطي لعظم العضد، ويشتد بروزه في الأسفل ليشكل حرف أمامي ترتكز فيه العضلة العضدية و العضلة الكابة المدورة ، وحرف خلفي للرأس الإنسي للعضلة الثلاثية الرؤوس العضدية ، وحرف متوسّط لإرتكاز الحاجز الإنسي بين عضلات العضد. (الناشر)

فبحسب قانون التطور التدريجي، فنحن نعتقد أن البشرية قد تطورت ببطء من نقطة بداية متواضعة وجلفة، مثل هذه القفزات المتعاقبة لم تؤدِ فقط إلى أشكال ودرجات أعلى من الذكاء، ولكن في فترة أبعد من ذلك، قد تكون بقفزة واحدة قد حددت المسافة ما بين الذكاء الغير قابل للتطور للحيوانات المتدنية، والصورة الأولي والأدنى من العقلية القابلة للتطور والتي تجلت في الإنسان (1863، 504-505).

لم يُفَسّر أبدًا السبب المحدد وراء هذا الارتداد أو النكوص الجسدي والعقلي. ومع ذلك، فقد اعتبر التأسل الرجعي دليلاً أساسياً على التطور لعقود (بال 1918). كما شارك التأسل الرجعي الداروينية في الاحترام والقبول لعقود من الزمن، وأصبحت الشكوك أكثر تواترًا فقط بعد أربعينيات القرن العشرين. في أوائل عام 1940، ذُكر في كتيب أنه في الوقت الذي زُعم فيه أنّ التأسل الرجعي هو واحد من أكثر الأدلة المقنعة بالتطور و"ظاهرة مثيرة لاهتمام طلاب الوراثة"، فهي لا تقدم دليلًا على التطور. إذا كنا قد ننحدر بالفعل من مخلوقات تشبه القرد، فقد نتوقع العثور على بعض خصائص هذه الأسلاف التي تظهر الآن بين البشر. يُذكّرنا هذا "الدليل" أنه خلال السنوات القليلة الماضية، اقترح أحد العملاء بصورة رسمية أن جنون موسيقى الجاز الحالي كان تطوريًا [تأسل رجعي، متسببًا في محاكاة] تطور الحركات الإيقاعية لقنديل البحر (بيتيت1942 ، 82).

تطبيق التأسل الرجعي على علم الجريمة

تبيّن أنّ تبني النظرية التطورية المسماة "التأسل الرجعي" في مجال الإصلاحيات هو مثال مأساوي لما يمكن أن ينتج عن القبول من دون نقض لأفكار من مجال إلى آخر. كان لتطور نظرية التأسل الرجعي في الإنسان – والتي فقدت مصداقيتها تمامًا الآن –

عواقب مأساوية لآلاف الأشخاص (رينيفيل 1995؛ غولد1996). كما قِيل، فإنّ التأسل الرجعي هو الاعتقاد بأن بعض السمات الجسدية يمكن أن تظهر في البشر نتيجة "رجوعًا" بيولوجيًا إلى مرحلة مبكرة من تاريخ تطورنا (رينيفيل 1995). وبحسب نظرية هيكل: "تطور الأجنة يُلَخِص الأسلاف"، فإن التأسل الرجعي ينص على أنّ تطور البشر المبكر يقتضي مروره من خلال تاريخنا التطوري. عندما يُعتَرض طريق هذا التطور التدريجي، فإن النتيجة هي ولادة نوع بشري أكثر "بدائية" (لومبروسو - فيريرو 1911). المصدر الرئيسي لهذه الفكرة هو داروين، الذي كتب: بالنسبة للبشرية، قد تكون أسوأ النزعات، والتي قد تظهر في بعض الأحيان دون أي سبب محدد لظهورها في عائلتهم، قد تكون انتكاسات لمرحلة البدائية الهمجية، التي لم تُمح على مدار أجيال كثيرة. يبدو أن هذا الرأي كان معروفًا بالفعل من خلال التعبير الشائع بأن هؤلاء الأشخاص هم الأغنام السوداء في العائلة (1871، المجلد 1، 173).

ذلك السلوك الذي من النوع البدائي كان نتيجة للانتقاء الطبيعي لأنه في وقت ما ساعد هذا السلوك على البقاء. أدرج لومبروسو وغيره من الداروينين ضمن السلوكيات المختارة، السلوك الذي نسميه الاغتصاب، بالإضافة إلى قتل الآباء، وقتل الأطفال، وأكل لحوم البشر، والاختطاف، وغير ذلك من "الأعمال المعادية للمجتمع التي وجدت في كافة أنحاء المملكة الحيوانية، وكذلك بني البشر الهمجيين" (ويست2007، 51). كتب نويس: في "عملية التطور، الجريمة كانت واحدة من المتطلبات الضرورية للصراع من أجل الوجود" (1888، 34). كما جادل العديد من الداروينيين، فإنّ الجريمة الآن خطأ لأنها لم تعد تؤدي دورًا ضروريًا في المجتمع البشري.

طُورت نظرية التأسل الرجعي كسبب للجريمة من قِبل المنظر الذي يعتبره الكثيرون أحد الآباء المؤسسين لعلم الجريمة، سيزار لومبروسو (1835-1909)، أستاذ الطب النفسي في جامعة بافيا (هاروويتز 1994؛ بابا 1983؛ سيمون 1990؛ فولفغانغ 1961). أصبح لومبروسو واحداً من "أبرز" العلماء في التاريخ إلى أن أُدرك الضرر الذي تسببت به أفكاره، ثم أصبح واحدا من أكثر علماء الجريمة تعرضاً للهجوم في عصره (كول 1995). ناقش لومبروسو بعمق في كتابه "الإنسان الإجرامي" الذي صدر عام 1876 والذي ذكر فيه أنّ "المجرمين هم شكل من أشكال الارتداد لنوع بشري أكثر بدائية" (لينـدسميث وآخرون، 1937). على حد تعبير رافتر، استنتج لومبروسو وأتباعه أنّ: المجرمين الذين لا أمل في تقويمهم "وُلدوا مجرمون" وهم ارتداد إلى مرحلة الإنسان شبيه القرد؛ مرحلة تطورية أكثر بدائية. من وُلدوا مجرمين يختلفون جذريًا عن الأشخاص الشرعيين، ويمكن للعلماء التعرف عليهم عن طريق شذوذهم الجسدي والعقلي، تمامًا كما يستطيع علماء الأنثروبولوجيا الفيزيائية تحديد أعضاء الأعراق المختلفة حسب خصائصهم الجسدية (1997، 110).

لقد قبل العديد من علماء السلوك من قبل الاعتقاد بأن "ارتداد" و"نكوص" الفرد (المسماه بالتأسل الرجعي عند داروين وعلماء الأنثروبولوجيا الإجرامية والأشخاص الذين يعملون في الإصلاحيات) تسبب في ولادة شخص بأخلاق ما قبل الإنسان في أسرة "طبيعية" (كوريلا 1910، 19). أكدّ هؤلاء الباحثون على أهمية العوامل البيئية والاجتماعية في الجريمة، لقد أمضوا الكثير من الوقت في قياس أجزاء مختلفة من الجسم خاصةً الجبهة والجمجمة، وخلصوا إلى أنّه كلما اقترب الشخص في تكوينه الجسدي من

القرد، كلما زاد "النكوص" التطوري والسلوكي.

اشتملت الصفات المحددة التي بحثوا عنها على "جمجمة أصغر مع سمات معينة موجودة بين الحيوانات، وجسم أطول، وأذنين على شكل مقبض، وعدم الشعور بالألم، وبصر حاد، واستخدام اليد اليسرى" (ويتزيل 2000، 29). واعتقدوا أن هذه الطريقة كانت علمية مثل الطريقة التقليدية التجريبية مقابل مجموعة التحكم وأساليب البحث الشائعة الأخرى المستخدمة في العلوم السلوكية (لومبورسو – فيريرو 1911). المصدر النهائي لهذه الفكرة هو داروين: بالرغم أنّ فكرة لومبورسو عن قياس أجسام المجرمين وجماجمهم مشتقة من الممارسات الأنثروبومترية للأنثروبولوجيا الفيزيائية المعاصرة، إلا أنّ تفسيره لهذه الخصائص على أنها تأسل رجعي يعكس تأثير تشارلز داروين (ويتزيل 2000، 29).

خلص غولد إلى أن نظرية لومبورسو ليست إلا مجرد إعلان مبهم بأن الجريمة وراثية – مثل هذه الادعاءات كانت شائعة بما يكفي في عصره – ولكن النظرية التطورية الخاصة تستند إلى بيانات الأنثروبومترية. المجرمون هم ارتداد تطوري بيننا. إنّ أصول الأجداد من الماضي تظل كامنة في الوراثة، وفي بعض الأفراد غير المحظوظين، يعود الماضي للحياة مرة أخرى، هؤلاء الأشخاص مدفوعين بالفطرة ليتصرفوا كقردة عاديين أو همج، ولكن مثل هذا السلوك يعتبر جنائيًا في مجتمعنا المتحضر (غولد 1996، 153).

وأضاف غولد أن المؤيدين يعتقدون أن هذا النظام سهّل أمر التعرف على من ولدوا مجرمين لأنهم يحملون علامات جسدية تدل على أصلهم كقردة. تأسلهم الرجعي جسدي وعقلي، لكن العلامات الجسدية أو الندبات – كما يسميها لومبروسو – أدلة قاطعة. يمكن أن يحدث السلوك الإجرامي كذلك في الرجال العاديين، لكننا نعرف "من

ولدوا مجرمين" من خلال بنيتهم الجسدية. البنية الجسدية في الواقع هي المصير، ولا يمكن لمن ولدوا مجرمين أن يفلتوا من الوصمة الموروثة: "نحن محكومون بقوانين صامتة لا تتوقف أبداً عن العمل وتحكم المجتمع بسلطة أكبر من القوانين المسجلة في كتبنا الأساسية. [باختصار، الجريمة] تبدو كظاهرة طبيعية" (غولد 1996، 153).

يعتقد العديد من علماء الجريمة أن هذا "النكوص" الرجعي قد جعل الضحايا يبدون أكثر كـ"حيوانات"، ويتصرفون بطريقة "بدائية ووحشية" أكثر من نظرائهم المتحضرين (فولد 1958، 28). وكان يُعتقد أن هؤلاء "البشر - الحيوانيين" الذين يطلق عليهم اسم "أشباه - المجرمين" هم أكثر عرضة للانخراط في الأنشطة الإجرامية. أقر لومبروسو بوجود عوامل أخرى، وأنّه ليس كل مجرم "مولود مجرماً"، لكن العوامل العضوية تمثل من 35 إلى 40٪ من النشاط الإجرامي، وأكدّ على أنّ العوامل المحددة بالولادة هي الأسباب الرئيسة، وأنّ العوامل البيئية من أقل الأسباب أهمية (ويست 2007، 51). ولقياس مستوى "الصفات الحيوانية" في شخص ما، قام العلماء بتقييم "الخصائص البدنية المختلفة لنزلاء السجون" لتحديد بعض السمات التي توجد عادة في الكتلة الإجرامية. من بين هذه الخصائص كانت العيون الواسعة، وانحسار الشعر، والشعر الأحمر، والفكوك القوية، واللحى الضعيفة، وما شابه. توصل لومبروسو إلى استنتاج مفاده أن المجرمين هم شكل من أشكال الارتداد التطوري لنوع بشري أكثر بدائية (روبرتسون1981، 183).

لم تكن هذه النظرية وجهة نظر مغمورة تبناها بعض المتطرفين، لكن ربما كانت أكثر العقائد التي ظهرت تأثيراً في الإصلاحيات من تقاليد الأنثروبومترية بأكملها (غولد 1996، 165-172). بالإضافة إلى ذلك، شغل لومبروسو مكانة عالية في "الحقبة

الرائعة من الدراسة الإيجابية للعالم" (كوريلا 1910). في عام 1896، استنتج عالم الجريمة الفرنسي البارز دالمجن أنّ أفكار لومبروسو "أحدثت ثورة" في الإصلاحيات، و"لمدة 20 عامًا، كانت أفكاره تغذي المناقشات؛ كان المعلم الايطالي حاضرًا بشكل يومي في كافة المناقشات، التي أظهرت أفكاره على أنها أحداث هامة" (غولد 1996، 165). يضيف غولد أن ملاحظة دالمجن حول الانتشار الواسع لقبول التأسل الرجعي كان دقيقاً، ولسوء الحظ، كان لها تأثيرًا كبيرًا على الإصلاحات: لم تكن الأنثروبولوجيا الإجرامية مجرد نقاش بين الأكاديميين، بل كانت حية. كان موضوع النقاش في الأوساط القانونية والجنائية لسنوات. لقد أثار العديد من "الإصلاحات"، وكان حتى مؤتمر ومعرض الحرب العالمية الأولى موضوعًا لعقد مؤتمر دولي يعقد كل أربع سنوات للقضاة والفقهاء والمسؤولين الحكوميين بالإضافة إلى العلماء (1996، 165–166).

النظرة العالمية للومبروسو

في شبابه تبنى لومبروسو فلسفة "الفكر الحر" والداروينية، رافضًا الكنيسة وتعاليمها. استرشد لومبروسو في المقام الأول بالمادية و"بفكرة الداروينية عن تنوع الأجناس" (كوريلا 1910، 12). أصبحت نظرية لومبروسو "معيارًا مهمًا للحكم في العديد من المحاكمات الجنائية. مرة أخرى لا يمكننا معرفة عدد الرجال الذين أُدينوا بشكل غير عادل لأنهم كانوا موشومين على نطاق واسع، أوفشلوا في أن تتورد خدودهم، أو كان لديهم فكوك أو أذرع أكبر من المعتاد" (فيري 1897، 166 - 167، نقلا عن غولد 1996، 168–169). وكتب السيد فيري، كبير مساعدي لومبروسو، أن دراسة العوامل الأنثروبولوجية للجريمة توفر لأولياء الأمور والجهات المشرفة على القانون وسائل جديدة

وأكثر تحديدًا في الكشف عن المذنبين [السمات الطبيعية] تكفي في كثير من الأحيان لإعطاء وكلاء الشرطة التوجيه العلمي في استفساراتهم وعندما نتذكر العدد الهائل من الجرائم والمخالفات التي لا يعاقب عليها، بسبب نقص أو عدم كفاية الأدلة، وتواتر المحاكمات التي تستند فقط إلى تلميحات غير مباشرة، من السهل رؤية الفائدة العملية للعلاقة الأساسية بين علم الجريمة الاجتماعية والإجراءات الجنائية (فيري 1897، 166-167، مقتبس من غولد 1996، 168-169).

ويظهر تفكير لومبروسو واضحًا في مناقشته للجرائم التي دُعي لحلها، مثل قضية رَبيبَين مُتهمَين بقتل امرأة. بعد الفحص، أعلن لومبروسو (1911، 436) أنّ أحد الربيبين كان "نموذجًا مثاليًا للمولولدين مجرمين، بفكين كبيرين، ندبات على الجبهة، وعظام الوجنتين بارزة" هذا الربيب "تمت إدانته" على الرغم من عدم وجود أدلة. في قضية أخرى، تستند فقط إلى أدلة غير مباشرة، جادل لومبروسو بإدانة رجل متهم بسرقة وقتل مزارع غني. وشملت الأدلة شهادة بأن المتهم شوهد نائما بالقرب من الجريمة واختبأ في صباح اليوم التالي عندما اقتربت منه الشرطة. لم يعط أي دليل آخر على ذنبه.

نتيجة فحص لومبروسو أنّ هذا الرجل لديه "ملامح وجه تشبه النوع الإجرامي في كل شيء، وبالتالي، فإنه عند إضافة الأدلة التي يوفرها علم الأحياء إلى أن الأدلة، تصبح كافية لإدانته في بلد لا ترحم المجرمين" (1911، 437). على الرغم من أنّه تمت تبرئته، إلا أنّ لومبروسو شعر أنّه كان يجب إدانته على أساس الأدلة البيولوجية فقط.

المأساة الرئيسة لمعتقد الراجعية لداروين وتأثيره على السياسة الاجتماعية

كما قيل، فإنّ الداروينية؛ تلك النظرية التي استخدمت بشكل بارز في الإصلاحات من قبل سيزار لومبروسو، الذي تدرب في كل من الطب النفسي والبيولوجيا. لقد حصل على معتقداته حول التأسل الرجعي خلال تدريبه الأكاديمي على التطور ودراسته لأعمال تشارلز داروين، الذي ربط البشر المعاصرين بالماضي غير البشري من خلال نظريته حول التطور. شارك لومبروسو لبعض الوقت في دراسة الاختلافات الجسدية بين المجرمين والبشر العاديين، لكن فكرته عن التأسل الرجعي كسبب للجريمة ظهرت فجأة أثناء تشريحه لجثة لص مشهور بالإجرام، حيث وجد لومبروسو أن مواصفات جمجمته تشبه تلك التي لرئيسات أدنى (ماكاغي 1976، 14).

وقد وُصِف لومبروسو كواحد من أشهر علماء الجريمة ومؤسس مدرسة الإصلاحات الوضعية، التي طبقت المنهج العلمي لدراسة سبب السلوك (كلاين 1996، لينتيني 1981، سكارتزيني 1981، كول 1995). يذكر البروفسور ماكاغي أنّ أهميته في تحفيز الأبحاث حول المجرم لا يمكن إنكارها. أهم كُتُب لومبروسو هو (الإنسان الإجرامي)، الذي نُشِر لأول مرة في إيطاليا عام 1876، والذي قدّم فيه مذهبه حول التأسل الرجعي. كان يُنظر إلى المجرمين على أنهم أنواع مختلفة من البشر يمكن تمييزهم عن غير المجرمين من خلال سمات جسدية معينة. هذه السمات تساعد على تحديد الأشخاص الذين حادوا عن المخطط التطوري.

مشهد في قاعة المحكمة قبل تبرئة ليزي بوردن المتهمة هي ومحاميها من قبل الحاكم السابق روينسون 1893

يُعد هؤلاء الأشخاص أقرب إلى القردة أو إلى البشر البدائيين الأوائل أكثر من الأفراد المعاصرين؛ إنهم يمثلون ارتداد (تأسل رجعي) إلى مرحلة مبكرة من التطور البشري (1976، 14).

في كتابه الإنسان الإجرامي، أدرج لومبروسو سلسلة طويلة من الحكايات لإثبات أنّ السلوك المعتاد لكافة الحيوانات كان جنائيًا وغير أخلاقي. من بين العديد من الأمثلة التي قدمها هي الحيوانات التي تتغلب على غريمها في موسم التزاوج من خلال "القتل"، والحيوانات التي قتلت بسبب (مثل الفِيَلَة "المجنونة")، وغيرها من الحيوانات التي ترتكتب القتل الجماعي من خلال التدافع. واستخدم أيضًا "كدليل" مثال النمل الذي قتل الأفراد المتمردة وأكلهم "كعقوبة". جادل لومبروسو بأنّ ما تفعله النباتات آكلة الحشرات للحصول على الغذاء هو "ما يعادل الجريمة".

وبعد أن أثبت ما يشبع رغبته بأنّ الحيوانات "مجرمة" بمعاييرنا، شرع بعد ذلك في حجة تدعم الرأي القائل بإن البشر الذين ارتكبوا "جرائم" مماثلة، لا بدّ أنهم ارتدّوا مرة أخرى إلى سلالتهم الحيوانية (رافتر 1997). حتى أن اللغة المستخدمة من قبل المجرمين الرجعيين - كما قال لومبروسو - كانت مشابهة لتلك التي استخدمتها "القبائل

الهمجية"، وزعم أن العديد من المحاكاة الصوتية وتجسيد الأشياء غير الحية أظهر هذا التراجع. قال لومبروسو (1911، 225): "إنهم يتكلمون مثل الهمج لأنهم همج حقيقيون وسط حضارتنا الأوروبية الرائعة". لقد اعتقد بأنّ هذا الاستنتاج ليس مجرد فكرة ولكنّه إلهام. "بمجرد رؤيتي لجمجمة ذلك [المجرم]، بدا لي فجأة مشكلة طبيعة المجرم؛ وهي أنّه كائن رجعي استُعيدت في شخصيته الغرائز الوحشية للإنسان البدائي والحيوانات المتدنية. وهكذا تم الايضاح تشريحًا: الفكان الضخمان، وعظام الخدين المرتفعة، وأقواس الحاجبين البارزة، وخطوط المنفردة في راحة اليد، والحجم الكبير لمحجر العين، وأذنان على شكل مقابض - موجودة في المجرمين الهمجيين والقردة - وعدم الإحساس بالألم، والبصر الحاد، والأوشام، والكسل المفرط، وحب العربدة، والشغف الذي لا يقاوم بالشر في حد ذاته، والرغبة ليس فقط في موت الضحية، ولكن في التمثيل بجثتها، وتمزيق لحمها، وشرب دمها" (لومبروسو 1911، 14-15).

شرح باحثون آخرون مفهوم "الأخلاقي البدائية" من وجهة نظر علم النفس كالتالي: افترض غودارد بالاعتماد على التفسير التطوري للتراجع الأخلاقي الذي استخدمه علماء الأنثروبولوجيا الإجرامية من قبله أنّ الغرائز "البدائية" "هي التي تقود الطفل إلى أن يصبح ذا ميول عدوانية تنضج عند عمر التسع سنوات، الآن إذا قُبض على طفل وقت تطوره في الوقت الذي يصبح كاذبًا أو لصًا أو منحرف جنسيًا أو أي شيء آخر قد يكونه لأن تلك الغرائز قوية فيه. لو كان قد قبض عليه سنة أو سنتين مبكرًا أثناء تطوره، لم يكن ليصبح منحل أخلاقيًا" (رافتر 1997، 138).

الأهم من ذلك أنّه "لم تكن نظرية لومبروسو عملًا علميًا مجردًا. لقد أسس

وأشرف على قيادة مدرسة دولية لـ "الأنثروبولوجيا الجنائية" التي قادت واحدة من أكثر الحركات الاجتماعية تأثيراً في آواخر القرن التاسع عشر" (بابا 1983). وقد نظمت مدرسة لومبروسو "الإيجابية" أو "الجديدة" حملة قوية من أجل إجراء تغييرات في تطبيق القانون وممارسات العقوبات (غولد 1977، 225). صاغ لومبروسو كلمة "علم الجريمة" للإشارة إلى دراسة السلوك الغير شرعي. وبفضل جهوده بدأت الجامعات في تدريس علم الجريمة. كما استخدم لومبروسو وكثير من طلابه المتميزين علم الأحياء ليجادلوا بأنّ العقاب يجب أن يكون مناسبًا للمجرم وليس الجريمة. يذكر غولد المثال التالي: قد يقتل رجل عادي في لحظة من الغيرة الغاضبة. ما هو الغرض من الإعدام أو السجن مدى الحياة؟ فهو لا يحتاج إلى الإصلاح، لأن طبيعته جيدة، المجتمع لا يحتاج إلى حماية منه، لأنه لن ينتَهِك مرة أخرى. وقد يكون شخص مولود مجرمًا في قفص الاتهام لبعض الجرائم الصغيرة. ما هي الفائدة التي ستقدمها العقوبة القصيرة؟ بما أنه لا يمكن إعادة تأهيله، فإن العقوبة القصيرة تبعده فقط بعض الوقت عن جرمه التالي، وربما الأكثر خطورة.... دافع اللومبروسيون الأصليون عن المعاملة القاسية لـ "المجرمين بالولادة" (1996، 170–171).

اعتبر غولد أن "سوء تطبيق القياسات البشرية والنظرية التطورية هو أكثر مأساوية لأن نموذج لومبروسو البيولوجي كان باطلاً تمامًا ولأنه حوّل الكثير من الاهتمام من الأساس الاجتماعي للجريمة إلى أفكار خطأ حول النزعة الفطرية للمجرمين" (1996، 170–171).

قيمت مدرسة الأنثروبولوجيا الجنائية الرجعية العديد من السمات الجسدية البشرية، بما في ذلك الآذان، للعثور على أدلة على التأسل الرجعي. على سبيل المثال يصف بيل (1894، 262) آذانًا شكلت زاوية حادة تقريبًا في القمة، وتتناقض مع "المنحنى الرشيق

الذي يميز الأذن العادية". استنتج بيل أن شكل الأذن الحاد هذا هو شائع للغاية في أولئك المدنسين بالميول الإجرامية أو الذين يميلون إلى شذوذ من نوع ما. ثم أعطى بيل مثالاً على أذن "رديئة، زيادة غير محببة للرأس البشري [التي] تدل على عقل منحرف أو غير متطور. إنها علامة على التطور الموقوف أو المشوه" (ص 262). بعد وصف الأذن الجنائية، خلص المؤلف إلى أنّ "مثل هذه الآذان هي إشارة على فقر الغريزة الأخلاقية الموروث"، وبالتالي علينا "دراسة هذه اللافتات التي وضعتها الطبيعة ومن ثمّ إعداد أنفسنا بذكاء للعمل من أجل تطوير عرقنا" (ص 262). ويعني هذا الرأي أن أحكام السجن يجب أن تستند بشكل أكبر على نوع أذن المتهم أكثر من الجريمة المرتكبة، وللأسف فإن الجرائم غالباً ما تستند إلى المورفولوجيا (علم الأشكال) أكثر من السلوك.

النساء والتأسل الرجعي والجريمة

جادلت كذلك نظرية المرأة والجريمة التي طورها لومبورسو بأن الجريمة النسائية تفسرها نظرية التأسل الرجعي الداروينية: استنتج سيزار لومبروسو (1835–1909) – وهو من أوائل علماء الجريمة الذين قاموا بالتنظير حول سبب ارتكاب النساء للجرائم – أنّ الأفراد يتطورون بشكل تفاضلي ضمن القيود الجنسية والعرقية. واقترح أن الجنس البشري تراوح هرميًا من الذكور البيض، الذين كانوا الأكثر تطورا، وصولًا إلى الإناث غير البيض. اعتقد لومبروسو أن النساء يتقاسمن العديد من الصفات مع الأطفال وأنهن يعانين من نقص أخلاقي. وعزا مشاركتهم الصغيرة نسبياً في الجريمة إلى افتقارهم إلى الذكاء (سيمون 1983، 1665).

زعم لومبروسو أنّه حتى البِغاء يمكن تفسيره بالتأسل الرجعي (لومبروسو،1996).

وبرر ذلك بأنّ سلوك البغايا - ذلك الذي يدفعهن إلى إظهار مفاتنهن - يعزى في المقام الأول إلى التأسل الرجعي. يرجع ذلك أيضًا إلى الذكورة الكامنة وراء النوع الجنائي الأنثوي، ما نبحث عنه في الأنثى هو الأنوثة، وعندما نجد العكس في ذلك نستنتج كقاعدة أنه يجب أن يكون هناك بعض الشذوذ. ولفهم المغزى والأصل الرجعي لهذا الشذوذ، علينا فقط أن نتذكر أن الذكورة كانت من السمات الخاصة بالمرأة المتوحشة. كانت المرأة البدائية نادراً ما تكون قاتلة، لكنها كانت دائماً عاهرة، وبقيت حتى العصور نصف الحضارية. ويوضح التأسل الرجعي مجددًا، لماذا يظهر على العاهرات عدد من الخصائص التراجعية أكبر من التي تظهر على الأنثوي الإجرامية (لومبروسو وفيريرو 1895، 111-112).

زعم لومبروسو وفيريرو أن النساء أقل تطورًا من الذكور، ومن هذه الفكرة جاء الرأي بأن النساء اللواتي يتصرفن مثل الحيوانات أو يظهرن فقط بمظهر "متوحش" هو دليل على أن هؤلاء النساء أقرب إلى أصولهن الحيوانية. وبالتالي، سيكون لديهم صفات شاذة أخرى تثبت تأسلهم الرجعي، مثل الفك الكبير وعظام الخد (لومبروسو وفيريرو 1895، 112، كلين 1996). فسرت نظرية التأسل الرجعي كذلك الندرة النسبية لوجود النوع الإجرامي النسوي اللواتي فطريًا "أقل ميلًا إلى الإجرام من الرجال"، بأنّ ذلك يرجع جزئيًا إلى كونهن "بطبيعتهم أقل شراسة من الرجال" (لومبروسو وفيريرو 1895، 110).

ثم جادل باحثون آخرون بأن النساء أكثر انخراطًا في بعض أنواع الجريمة من الذكور. على سبيل المثال وصف دابليو. أي. توماس النساء بأنّهن "يتمتعن بقدرات فائقة على البقاء على قيد الحياة، لأنهم في أسفل مقياس التطور" (كلين1996، 167).

كانت أفكار لومبروسو حول المرأة والجريمة مؤثرة للغاية في آواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، خاصة في إيطاليا وفرنسا وألمانيا (بلاند ودان 1998، بابا 1983، رينفيل 1994). كان لدى كثير من أتباعه أفكار مشابهة حول النساء والتأسل الرجعي.

بكلمات كلاين، كان الطريق من لومبروسو إلى رؤيتنا الحالية للمجرمين "مستقيماً بشكل مفاجئ" (1996، 162). أثر عمله على العديد من علماء الجريمة البارزين، بما في ذلك أحد أكثر تلاميذ لومبروسو شهرة، إنريكو فيري (1856–1929)، الذي كان كذلك تلميذاً لداروين (ويست2007، 51). ومن التلاميذ المشهورين الآخرين للومبروسو: يوجينيو فلوريان، وروبرتو أرديغو، وفيلفريدو باريتو، ودابليو. أي. توماس (الذي كتب عدة مجلدات هامة عن الإصلاحات في أوائل القرن العشرين) (سكارتزيني 1981، لينتيني 1981).

مدى انتشار نظرية التأسل الرجعي الوراثي للجريمة يظهر في إدّعاء فيكارت أنّ غالبية علماء تحسين النسل ينظرون إلى الإجرام – أو على الأقل الميل إلى الإجرام – كشرط وراثي، كما اقترح العديد من علماء تحسين النسل حبسًا دائمًا للمجرمين المعتادين الإجرام. على سبيل المثال، اعتبر ريبرت أن المجرمين المعتادين يجب أن يعاملوا مثل المرضى العقليين، وأن يضعوهم بشكل دائم في المصحات. وافق لوشان حيث أنّ "الجريمة في الغالبية العظمى من الحالات هي مرض وراثي" وبالتالي "لا ينبغي اعتبار المجرم [كذلك قال] مجرد مجنون خالص، غير مسؤول عن أفعاله المريضة". لكن عدم تحميل المجرمين مسئولية جرائمهم لم تكن تعني ضمناً أنه سيتم الإفراج عنهم. في الواقع، فإنّ مفهوم تحسين النسل الجديد حول السجن جعل "عقابهم" أسوأ من النظام القديم.

دعا لوشان إلى "العزلة الكاملة والمنفردة للمجرم"، بدلاً من النظام الحالي للحبس المؤقت ثم إطلاق سراحه، الأمر الذي سمح للمجرمين بإنجاب أطفال في فترات ما بين السجن. عبّر لوشان عن إيمانه بأن إجراءات تحسين النسل القوية ستقضي في النهاية على الجريمة من المجتمع (2003، 137).

كان الحل للومبروسوي الرئيسي للجريمة، وخاصة المجرمين بالولادة، هو إزالتهم بشكل دائم من المجتمع، مما يعني السجن المؤبد (ويست 2007، 52). الحل الثاني هو منع الأشخاص الرجعيين من التكاثر، كما هو واضح في أفكار ريبرت (كلاين 1996، 161).

نهاية النظرية الجنائية الرجعية

كانت الدراسة المبكرة الأكثر شهرة للتقييم التجريبي للرجعية كعامل في التسبب في الجريمة هو أن تشارلز غورينغ (1919). في دراسته، التي اعتبرت بعد ذلك نموذجا للدقة العلمية والتقنية، قارن غورينغ بدقة حوالي 3000 من المدانين الإنجليز مع مجموعات كبيرة من الإنجليز الذين لم يكن لديهم سجلات جنائية. المدانين الذين درسهم كانوا جميعاً متعاقبون، وقد افترض لهذا السبب أن غالبيتهم كانوا من "النوع الإجرامي الكامل". كما أجرى غورينغ مقارنات مع طلاب الجامعات الجامعيين وضباط الجيش البريطاني والمرضى في المستشفيات.

ووجد أنه "لم يكن هناك مزيد من النتوءات أو الخصائص الأخرى للرأس بين السجناء أكثر من المهندسين الملكيين" (فولد 1958، 53). على الرغم من أن عمل غورينغ أدى إلى ضربة قوية لنظرية الرجعية والجريمة، فقد استغرق الأمر سنوات عديدة لإقناع أتباعه الكثيرين بأن النظرية غير صالحة. لا تزال الرجعية قائمة في قانون العقوبات

الأمريكي في آواخر الأربعينيات (بيك 1986). كما يلاحظ غولد، تراجع لومبروسو ببطء تحت الوابل المتزايد من النقد لنظريته. ومع ذلك لم يتخل أبدا (أو حتى عن تعرضه للخطر) لاستنتاجه بأن الجريمة تعد بيولوجية. بدلا من ذلك، هو:

مجرد توسيع نطاق الأسباب الفطرية. كانت نظريته الأصلية تتمتع بفضاء البساطة والأصالة اللافتة للانتباه - فالمجرمون هم من القردة بيننا، يتسمون بالسمات التشريحية للرجعية. أصبحت الإصدارات اللاحقة أكثر انتشارًا، ولكنها كذلك أكثر شمولاً. وظلت الرجعية سبباً بيولوجياً رئيساً للسلوك الإجرامي، لكن لومبروسو أضاف عدة فئات من الأمراض الخلقية والانحطاط: "نحن نرى في المجرم"، كتب (1887، 651)، "رجلًا متوحشًا، وفي الوقت ذاته، رجلًا مريضًا". في السنوات الأخيرة، منح لومبروسو أهمية خاصة للصرع كدليل على الإجرام. وذكر في النهاية أن كل "مجرم مولود" يعاني تقريباً من الصرع إلى حد ما. لا يمكن حساب العبء الإضافي الذي فرضته نظرية لومبروسو على آلاف الحالات المصابة بالصرع، فقد أصبحوا هدفا رئيسًا لمخططات تحسين النسل في جزء منها لأن لومبروسو قد شرح مرضهم كعلامة على الانحلال الأخلاقي (1996، 164).

لم تكن الأدلة التجريبية ضد النظرية، والتناقضات اليومية لها، وحتى الافتقار إلى الأدلة هي الأسباب الوحيدة وراء السقوط النهائي للنظرية (موران 1978). وكان هناك سبب آخر هو أنه على الرغم من أن العديد من الباحثين وعلماء الجريمة أدركوا أن الفكرة الرجعية تشوبها عيوب قاتلة، فقد نظر العديد منهم إلى فرضيات بيولوجية جديدة لشرح الجريمة. ونتيجة لذلك، كانت النظريات الأخرى التي ضمت المجرمين مختلفة جسديًا عن

غير المجرمين، مثل نظريات شيلدون وآخرون. (1940)، وجاء لاحقاً في رواج.

السؤال الهام هو: "كيف أتت نظرية الارتداد لاتخاذ هذا المكان البارز في التصحيحات، كاملة مع أمثلة أقنعت العديد من المحترفين بصحة النظرية؟"

1. بمجرد إنشاء الاعتقاد، يمكن أن يجد مؤيدوه دعمًا له في كثير من الأحيان إذا ما نظروا لفترة طويلة وصعبة بما فيه الكفاية (جولد1996، 1976). في البحث عن السكان "المجرمين"، يمكن للمرء في كثير من الأحيان تحديد ما يبدو أنه أمثلة جيدة للمجرمين الذين لديهم خصائص الجسد "مثل القردة". ما لم يُستخدم مجموعة مقارنة من غير المجرمين، يمكن اكتساب رؤية محدودة فقط من خلال هذه التقنية. كانت العديد من الأمثلة على الأشخاص الذين أيدوا أن النظرية موجودة بين السكان الإجراميين، وكان من المفترض بدون بيانات أن الأمثلة المماثلة لم تكن موجودة (أو نادراً ما كانت موجودة) في السكان غير المجرمين. لاحظ توبنارد أن لومبروسو لم يقل: "ها هي حقيقة تقترح تحريضًا... [بالأحرى] استنتاجه هو مقدما، يسعى لإثبات، يدافع عن أطروحته كمدافع ينتهي به الأمر بإقناع نفسه... [لومبروسو] مقتنع للغاية "(1887، 676).

2. في بعض الأحيان، يكون احتمال مشاركة بعض الجنسيات أو الأجناس في الجريمة بسبب بيئتهم الاجتماعية أو تمييزهم أو أسباب أخرى. وتشمل هذه الأجناس بعض الخصائص التي كان من المفترض أن تكون نموذجية لشخص تافه. في أمريكا، كان البروتستانتيون الأنغلوساكسونيون البيض أقل شيوعا بين السكان المجرمين المدانين مقارنة بالأفراد الذين كانوا أعضاء في مجموعات الأقليات مثل السود والأرمن وغيرهم بسبب هذه الأسباب. قد يفسر هذا التفسير الكثير من الأمثلة الرجعية المزعومة، تماماً كما

قد يفسر الآن العدد غير المتناسب من السود في السجون الأمريكية (كلاين 1996).

3. بسبب المرض والمشكلات الصحية والفقر، وما إلى ذلك، قد يضع بعض الأفراد سمات مشابهة للأفراد الرجعيين. هذه السمات بدورها قد تزيد من صعوبة شغل وظيفة أو حتى تحقيق القبول الاجتماعي. ونتيجة لهذه العوامل، أصبح من الأصعب على هؤلاء الأشخاص أن ينخرطوا داخل قوانين المجتمع. قد يكونوا أكثر عرضة لإشراك أنفسهم في السلوك الإجرامي (ناشسون1985).

يوثق ليندیسميث وليفين أن نظرية الداروينية عن الجريمة سرعان ما انتشرت إلى النخبة المختصة بالجريمة نتيجة لعدد من العوامل:

تسببت في قبول لومبوسيانون [نظريات الرجعية والتي شرحت من قبل عالم الجريمة الشهير سيزارو لومبرسو] كتطور منطقي للاتجاهات القائمة بالفعل في العلوم الاجتماعية. وكان من أهم هذه العوامل انتشار الداروينية. بعد نشر داروين للأصل في عام 1859، لم تقتصر المفاهيم الداروينية على العلوم البيولوجية فحسب، بل طُبقت كذلك بطريقة الجريمة في العلوم الاجتماعية – في الأنثروبولوجيا والعلوم السياسية وعلم الاجتماع (1937، 667).

يضيف ليندیسميث وليفين أن أفكار لومبروسو، على الرغم من أنها ليست أصلية، ولكنها كانت جذابة لـ:

أولئك الذين انشغلوا بالداروينية وتطبيقها على مجالات فكرية أخرى. في العام ذاته الذي ظهر فيه أصل الأنواع، أُسس مجتمع أنثروبولوجيا في باريس، وشهدت العقود القادمة تنمية كبيرة للاهتمام في هذا المجال.... بشكل عام، قد يقال إن زيادة الهيبة في

العلوم الطبيعية وخاصة البيولوجيا أدت إلى بداية سلسلة من الواردات من واحد أو آخر من هذه المجالات إلى مجال العلوم الاجتماعية. يمثل اللومبرونيسم أول استيراد رئيس لهذه الشخصية في علم الإجرام (1937، 667-668).

كما يشير ليندسميث وليفين إلى أن تاريخ العلم يشمل فترات حيث "غالباً ما تمارس الخرافة والأزياء والظروف الاجتماعية تأثيرًا لا علاقة له بسلامة النظريات أو بآثار الأدلة المتراكمة" (ص 671). وبالإشارة بالتحديد إلى النظريات اللومبروسية (لا سيما في الرجعية)، فإنهم يضيفون أن القبول الواسع النطاق لنظرية الجريمة في الومباروسية يمثل تراجعاً في مجال:

علم الجريمة بدلًا من الخطوة المقدمة. ربما يكون أفضل تفسير لظلم العمل السابق هو نتيجة لتغيير القيم المرموقة المرتبطة بالداروينية الاجتماعية في العلوم الاجتماعية، مع تزايد الشعبية في آواخر القرن التاسع عشر، من الأمراض النفسية وغير ذلك من الأفراد أو النظريات البيولوجية، وعزل علم الجريمة الأمريكية عن التطورات الأوروبية السابقة (ص 653).

بالإضافة إلى ذلك استنتج ليندسميث وليفين إلى أن انشغال اللومبروسيين بالداروينية وإيمانهم بأن أسباب الجريمة وجدت في بيولوجيا المجرم بدلاً من ذلك:

مما أدى به في علاقاته مع الآخرين إلى إخفاقهم في تقدير أهمية نوع البحث التاريخي الذي قام به أفى لاتيمنت وغيرهم. ما فعله لومبروسو هو عكس طريقة التفسير التي كانت موجودة منذ زمن جيري وكيتيليت، وبدلاً من الإبقاء على أن المؤسسات والتقاليد تحدد طبيعة المجرم، اعتبر أن طبيعة المجرم تحدد طبيعة المؤسسات والتقاليد (ص 661).

كما ينبغي التأكيد على أنه على الرغم من أن نظريات سببية الجريمة كانت شائعة

للغاية، لكنها تعرضت لانتقادات حادة من قبل البعض في أيامه. وقد أدرك عدد من علماء الأحياء في القرن التاسع عشر العنصرية المتأصلة في الداروينية، وميزوا فيها النظرية التي تقود العلم. وأدرك آخرون أن الأدلة التي استندت عليها الرجعية كانت ضعيفة أو حتى قريبة من عدم وجودها. وبالتالي لاحظ غولد أن نظرية لومبروسو الرجعية:

تسببت في إثارة كبيرة وأثارت واحدة من أكثر المناقشات العلمية سخونة في القرن التاسع عشر. لومبروسو، على الرغم من أنه أفرط في عمله بأعداد كبيرة من الأرقام، فإنه لم يقم بالاعترافات المعتادة للموضوعية الباردة. حتى هؤلاء الزعماء القدامى، تلاميذ بول بروكا، انتقدوا لومبروسو لموقفه المحامي، وليس العلمي (1996، 162).

على الرغم من أن المؤلفين اللومباروسيين قاموا فيما بعد بتعديل نظريتهم للسماح بتأثير العوامل الاجتماعية (حتى في حالة المجرمين الرجعيين تمامًا)، لكن قبلت النظرية من قبل العديد من الأشخاص لفترة طويلة بعد أن ثبت خطأها - وما زالت مقبولة من قِبل البعض اليوم (غيليريني1999،لوينتون1999؛ كابلن وآخرون1998؛ غيدينز1991؛ ناشسون1985؛ فاسيوليني1976 ؛ بورمان 1994). استنتج كلاين، مستشهداً بالعديد من الأمثلة، أن أفكار لومبروسو وتوماس وغيرهم من هذه المدرسة ما زالت تؤثر في نظريات الجريمة المعاصرة (1996، 175).

التلخيص والاستنتاجات

وعلى الرغم من أن الرجعية كانت تعد عادةً كدليل رئيس على التطور، لكن الموضوع اليوم يعد "فترة مظلمة" في علم الجريمة (1986). على الرغم من أن العديد من أعمال القاضي لومبروسو "انحراف غريب"، فإن استنتاجاته تبعت منطقياً من الداروينية

وفلسفة الوضعيين في آواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين (بيك 1986). على غرار الأعضاء الأثرية، والعودة الجنينية، والأعضاء الناشئة، فإن المفهوم الكامل للرجعية هو إحراج للعلم البيولوجي اليوم. تقريبا تعد كافة الشروط المعروفة سابقا "بالرجعية" الآن أُدرجت على أنها تنتمي إلى مجال الطب.

الرجعية هي فصل آخر محرج في تاريخ الداروينية، والذي رغم دحضه، ما زال جزءًا كبيرًا من ثقافتنا، وما زالت "ثماره المرة" تصيب مجتمعنا (رافتر 1997؛ روزنبرغ 1974). ووثق هيكس أنه حتى فكرة جنون لومبروسو الإجرامية ما زالت مقبولة على نطاق واسع في ثقافتنا وفي أذهان منفذي القانون. وتشمل الأمثلة التي يعطيها الصورة النمطية غير الصحيحة للسطو على أنه شخص لديه "بروز للفك السفلي، وكسر في الأنف، وجبهة منخفضة، وغير مشرق" (هيكس 1986، 130-156). ويضيف هيكس أنه عندما يكون ضابط شرطة في التدريب، وطلاب الدراسات العليا في علم الإنسان، قام محققون من توكسون، أريزونا بدعوتهم:

لمشاهدة شريط فيديو جديد عن إجراء المقابلات والاستجوابات.... إن ردة فعلي على الشريط - الذي لم يشاركه رفاقي - انتقلت من الاهتمام إلى الكفر، فراقبت محقق الجيش يشرح كيف يمكن للمرء أن يحدد الأنواع الإجرامية من خلال بنية عظام الخد، والمسافة بين العينين، ودرجة نمو الحاجب، وتكوين الأنف، كل ذلك يتضح من الرسوم البيانية الكبيرة التي تصور الوجوه الجنائية النموذجية. أذكر أن الحواجب التي لا تفصل ولكنها تمثّل تواصلًا أكثر أو أقل شعرًا من أحد مقابس العين إلى السلالات الشائنة. (لدي واجب، وأنا أشعر بالخجل بأن أقول أنها مرتبطة)... وردود فعل رفاقي، الذين لم

يسمعوا مطلقًا عن لومبروسو؟ لقد أعجبت مديري. أراد قائد المباحث نسخة من الشريط. و مصلحة الضرائب والجيش – أنا ارتجف (1986، 130-156).

كانت علاقة علم الإجرام بالداروينية معقدة وذهبت إلى ما وراء الرجعية:

اقترحت العديد من نتائج العلوم الطبيعية أن التطور يعد هدف، وهدفه هو حضارة أرقى من أي وقت مضى. إذا كان هذا صحيحًا، فيعني ذلك أنه يجب أن يكون المجرم بدائيًا، وهو احتجاز من مرحلة تطورية سابقة. يبدو أن بعض أقوال داروين تعني التكيف مع التقدم. في الصفحات الأخيرة من أصل الأنواع، أعترض على " حرب الطبيعة... أكثر الأشياء تعجباً التي نحن قادرون على تصورها، يتبع إنتاج الحيوانات الأعلى مباشرة." في كتاب أصل الإنسان (1871)، الذي طبّق فيه داروين نظريته في التطور على وجه التحديد للبشر، ويجادل فيه أن كليات الإنسان الفكرية والأخلاقية هي "موروثة "و" متقنة أو مقدمة من خلال الانتقاء الطبيعي ". مع الطبيعة ذاتها التي تسعى جاهدة لدفع الحضارة، ينبغي على الدول التقدمية بالتأكيد أن تساعد علي ذلك من خلال التخلص من المجرمين المولودين (رافتر 1997، 127).

لا تزال النظرية تنعكس بشكل مأساوي في النظريات الحديثة المتعلقة بالتصميم البيولوجي (ناشسون1985 ؛ ميكال1995 ؛ شوتويل1998؛روزينبرج1975) وحتى في بعض مدارس "علم الجريمة النسوية" (براون1986؛ كلين1996؛ فاسيولي1976).

إن نظرية الرجعية هي مثال مأساوي على ميل العلوم السلوكية إلى تطبيق نظرية الداروينية بطريقة غير مقصودة. على الرغم من افتقار نظرية الرجعية إلى الدعم التجريبي، لكنها كانت لا تزال مقبولة بشكل غير مادي لعقود، وكانت تستخدم في

بناء النظرية من قبل علماء الجريمة وغيرهم. وكان السبب الرئيسي لقبولها هو أنها اعتمدت بشكل كبير على الافتراض بأن التجريبية قد ثبتت تجريبياً. وجزء من هذه المأساة هو الضرر الذي تسببت به هذه النظرية للتقدم العلمي عن طريق إساءة توجيه طاقة كبيرة إلى طريق مسدود غير منتج.

إن المأساة الأكبر هي حقيقة أن النظرية ربما أثرت على الإدانة الجنائية من قبل آلاف الضحايا الأبرياء. في الختام تنطبق كلمات ماكبث بشكل خاص على الرجعية: "عندما انطلق الحماس الأول [من التطور] وصدر مشروع القانون الخاص بالتعويضات، أدرك عالِم الأحياء أن الأمور قد ذهبت أبعد من اللازم. كان هناك علم سيئ بالإضافة إلى علم الاجتماع السيئ... "(1971، 57). لسوء الحظ، جاء هذا متأخراً للغاية لآلاف الضحايا الذين تعرضوا للسجن والإعدام غير العادل، ويرجع ذلك جزئياً إلى نظرية الجريمة التي تستند إلى الداروينية في القرن التاسع عشر.

المراجع

هاري إلمير بارنيز، المحرر. 1948. مقدمة لتاريخ الاشتراكية. شيكاغو، إلينوي: مطبعة جامعة شيكاغو.

إدجربيل، 1894. "الآذان الإجرامية." مجلة فرينولوجيكال نوفمبر 98 (5): 262-3.

لوسيبلاند، ولورا دون. 1998. علم الجنس غير الخاضع للرقابة. شيكاغو، إلينوي: مطبعة جامعة شيكاغو.

بيفرليبراون، 1986. "المرأة والجريمة: الأرقام المظلمة لعلم الجريمة". الاقتصاد والمجتمع 15 (3): 355-402.

إريكابورمان، 1994. استعراض "معاداة السامية وكره النساء وعدوانية الاختلاف الثقافي: سيزاري لومبيروزو وماتيلد ساراو" لنانسي هورويتز.مراجعة النسويات 53: 111–113.

جورج أف كول، 1995. العدل الجنائي الطبعة السابعة. نيويورك: شركة وادزورث للنشر.

تشارليزداروين، 1871. أصل الإنسان. نيويورك: طبعة المكتبة الحديثة.

---------. 1881. أصل الإنسان. لندن: جون موراي. أعيد طبعه 1896 من قبل دي. ابلتون وشركاه نيويورك.

فرانسافاسيولي، 1976. "الإجرام اليوم (الجزء الأول)."نقد - علم الاجتماع 37: 6-16.

مايكل باتريك غيغليري، 1999. الجانب المظلم في الرجل: تتبع أصول عنف الذكور. قراءة، بنسلفانيا: فرساوس. قراءة، بنسلفانيا.

أنتوني غيدنز،1991. مدخل إلى علم الاجتماع. نيويورك: دبليو. نورتون.

تشارلز بكمان غورينغ، 1919. المدان الإنجليزي: دراسة إحصائية. لندن: مكتب

صاحب الجلالة.

ستيفن جيجولد، 1976. "إحياء رجل إجرامي". التاريخ الطبيعي 85 (3): 16-18.

---------.1977. "المجرم كخطأ في الطبيعة" في أي وقت منذ داروين. نيويورك: دبليو. نورتون وشركاه.

--------.1996. سوء التدبير للإنسان. نيويورك: دبليو. نورتون وشركاه.

نانسي أنّ هارويتز، 1994. معاداة السامية وكراهية النساء ومنطق الاختلاف الثقافي: سيزاري لومبوروزو وماتيلد سيرو. لينكولن، نبراسكا: مطبعة جامعة نبراسكا.

روبرت دي هايكس، 1986. "الحواجب الجنائية". الأمة 237 (8): 130، 156.

كارينا فيكابلان، وميريام أي. فيلدفايبر. 1998. بناء الذاتيات في ظل السياسات التعليمية للانتقائية الاجتماعية: منطق الميريتوقراطية. ورقة قدمت في الجمعية الدولية لعلم الاجتماع.

دوريكلين، 1996. "مسببات الجريمة الأنثوية،" في وجهات نظر علم الجريمة؛ قارئ. حرره جون مونكي ويوجين ماكلولين وماري لانجان. ألف السنديان، كاليفورنيا: ساج للنشر، صفحة 160- 182.

هانزكوريلا، 1910. سيزاري لومبروزو، رجل العلم الحديث. ترجمت من الألمانية من قبل إيدن بول. نيويورك: ريبمان.

أورنالدولينتيني، 1981. "العضوية والعمل الاجتماعي من اردیجو إلى باريتو". كوادرني - دي - سيجيوليكا 29 (2): 192-215.

روجر لوين، 1987. عظام المنافسة. نيويورك: سايمون وشوستر.

آر. سي لوينتون، 1999. "المشكلة مع إجابة تطورية". مراجعة "الجانب المظلم من الرجل: تتبع أصول العنف الذكوري" بقلم مايكل باتريك غيغليري. الطبيعة 400: 728- 729.

أيه. وليفين ليندسميث، واي. 1937." لغز اللومبروسون في علم الجريمة." المجلة الأمريكية لعلم الاجتماع 42: 653 - 71.

سيزار لومبروسو، 1887. جريمة الرجل. باريس: أف. الكان.

---------. ووليام فيريرو. 1895. الجاني الأنثوي. لندن: تي فيشر أونوين. أعيد طبعه من قبل روثمان، ليتلتون، شركاه، 1980.

---------.1911. الجريمة وأسبابها وسبل الانتصاف. بوسطن، ماساتشوستس: ليتل براون.

---------. 1996. "النوع الجنائي في النساء وأصله الرجعي،" في وجهات نظر علم الجريمة: القارئ. ألف السنديان، كاليفورنيا: سيج للنشر.

فيريرو، لومبروسو - جينا. 1991. رجل إجرام، وفقا لتصنيف سيزار لومبروزو، يلخص باختصار من قبل ابنته جينا لومبروزو فيريرو، مع مقدمة من سيزاري لومبيروزو، موضحة. نيويورك: جي. بي. بوتنام.

تشارليز ليل، 1863.العصور القديمة للإنسان. لندن: جون موراي.

نورمان. ماكبيث، 1971. إعادة محاكمة داروين. نيويورك: الناشرون ديل.

تشارلز. ماكاجي، 1976. السلوك المنحرف. نيويورك: ماكميلان.

ماركمايكل، 1995. استعراض "معاداة السامية، كراهية النساء، ومنطق الفوارق

الثقافية: سيزار لومبراسو وماتيلد ساراو" لنانسي هورويتز. الحداثة / المعاصرة 2 (3): 185-186.

ريتشارد موران، 1978. "البحث الطبي الحيوي وسياسة مكافحة الجريمة: منظور تاريخي." أزمات معاصرة 2 (3): 335-557.

هنري موريس، 1974. المياه المضطربة للتطور. سان دييغو، كاليفورنيا: الناشرون كرياشون لايف.

ناشسون، إسرائيل. 1985. "الجوانب العصبية النفسية للسلوك العنيف: وظيفة نصف الكرة الأرضية". الجريمة والانحراف الاجتماعي 13: 37-64.

ويليام نويس، 1888. "النوع الجنائي." مجلة العلوم الاجتماعية، أبريل، 24: 32–34.

بال. اس. بي. 1918. "الإنعدام: انتكاسة الرجعية". مجلة العلوم العقلية 64 (266): 268 - 71.

إيميليو أر بابا، 1983. "العلوم الاجتماعية، الوضعية، والمشاركة السياسية في النقاش الأوروبي في المدرسة الإيطالية للأنثروبولوجيا الجنائية (1876-1900)." النقد – الاجتماعي 67: 90-113.

ويليام أتش بيتيت، 1942. "التطور" في البدع المكشوف، حرره وليام ايرفين. نيويورك: لويزو براذرز.

دانيال بيك، 1986. "وجوه الفوضى: لومباروسو وسياسة العلوم الجنائية في إيطاليا بعد التوحيد". ورشة عمل التاريخ 21: 60-86.

نيكول هان رافتر، 1997. إنشاء ولادة المجرمين. شيكاغو، إلينوي: مطبعة جامعة إلينوي.

مارك رينيفيل، 1994. "الأنثروبولوجيا الجنائية في فرنسا." علم الجريمة 27 (2): 185-209.

--------.1995. "النظريات البيولوجية للسلوك الجنائي." (علوم الطب) 11 (12): 1720-1724.

إيان روبرتسون، 1981. علم الاجتماع. نيويورك: الناشرون ورث.

تشارلز إي روزينبرج، 1974. "الفاكهة المرة: الوراثة، المرض، والفكر الاجتماعي في أمريكا القرن التاسع عشر. "وجهات نظر في التاريخ الأمريكي 8: 189-235.

روبرت روثنبيرج، 1975. الكتاب الكامل لرعاية الثدي. نيويورك: كراوذ للنشر.

ريكاردو سكارتزيني، 1981. "البحث في آواخر القرن التاسع عشر: الصعاليك لفلورين وكافاجليري."

كوادريني - دي - سوسيولوجيكا 29 (2): 216-235.

دبليو. أتش شيلدون، ، أس. أس. ستيفنز، ودبليو. بي. توكير. 1940. أصناف الجسم البشري. نيويورك: هاربر ورو.

ديفيد آيه شوتويل، 1998. "نظرة على الجنوح". العقلاني الأمريكي 43 (3): 10-11.

دوناتيل سيمون، 1990. "أصول علم النفس الجماعي في فرنسا وإيطاليا: مشكلات علم الاجتماع القضائي والجنائي". دراسة علم الاجتماع 28 (4): 507-517.

ريتا جيمس سيمون، 1983. "المرأة والجريمة"، في موسوعة الجريمة والعدالة، حرره سانفورد كاديش. نيويورك: مطبعة ماكميلان وفري، صفحة 1664- 1669.

إيان تايلور، بولوالتون، وجاك يونج. 1973. علم الجريمة الجديد. لندن: روتلدج

وكيجان بول.

بول توبينارد، 1887. "الأنثروبولوجيا الجنائية." مراجعة الأنثروبولوجيا. السلسلة الثالثة 2: 658: 691.

جورج فولد، 1958. علم الجريمة النظري. نيويورك: مطبعة جامعة أكسفورد.

بول ويثرواكس، 1909. علم الأحياء النباتية. نيويورك: شركة ماكميلان.

ريتشارد ويكارت، 2003. من داروين إلى هتلر: الأخلاقيات التطورية، علم تحسين النسل، والعنصرية في ألمانيا. نيويورك: بالجريف ماكميلان.

جون جي ويست،. 2007. يوم داروين في أمريكا: كيف تم تجريد السياسة والثقافة من إنسانيتها باسم العلم. ويلمنجتون، ولاية ديلاوير: إيسي للكتب.

ريتشارد أف ويتزل، 2000. اختراع الجنائية: تاريخ علم الجريمة الألماني، 1880-1945. تشابل هيل، كارولاينا الشمالية: مطبعة جامعة كارولينا الشمالية.

مارفين يوجين وولفغانغ، 1961. "الرواد في علم الجريمة: سيزاري لومبيروزو (1835-1909)". مجلة القانون الجنائي وعلم الجريمة 52 (4): 361–391.

الفصل السابع عشر

الداروينية والمحرقة الشاملة في القرن العشرين

مقدمة

قبول الداروينية وفقدان التأثير المسيحي الأساسي في المجتمع كانا عاملين رئيسيين في ظهور النازية والفاشية والشيوعية والرأسمالية الوحشية (انظر أزار 1990، برغمان 1999، برغمان 2001). تسببت هذه الحركات في العديد من الحروب والصراعات والمذابح والتي أدت إلى وفاة مئات الملايين من الأشخاص. كتب البروفيسور أزار أن كافة "الأيدلوجيات الشريرة في النصف الأول من القرن العشرين – الشيوعية والفاشية والنازية – يعود الفضل في حدوثها إلى التطور" (1990،218).

من الصعب أن نفترض كيف كان التاريخ سيختلف لو لم تحدث الثورة الداروينية مطلقًا، ولكن تُشير الأدلة إلى أنّه لو كان ماركس وستالين وهتلر وماو تسي – تونج وغيرهم من القادة الاستبداديين قد آمنوا (وعملوا بـ) نظرية الخلق المسيحية[1] ونظرتها للعالم، لما كانوا قد قبلوا بالإلحاد والمادية والاستبداد أو أثّروا في المذابح التي سيطرت على القرن العشرين. وخلص روميل في دراسته المكونة من ثلاثة مجلدات عن القتل الجماعي في القرن الماضي، إلى أن ستالين وهتلر وماو تسي – تونج كانوا على رأس القائمة بهذا الترتيب (2008، 8).

تُشير الأدلة التاريخية إلى أنّه قبل التحول إلى الداروينية، قبل كل من ماركس وستالين وهتلر وماو تسي – تونج ماجاء في المسيحية من أن كافة البشر أخوة لأنهم

(1) جدير بالذكر أن حقيقة خلق الله لآدم ليست مرتبطة بالنصرانية فحسب ، بل جاءت بها جميع الديانات السماوية .(الناشر)

جميعًا من نسل آدم وحواء (ميدفيديف 1989). إن كانوا قد استمروا في اعتناق الخلق المسيحي، لما أصبحوا قادة للحركات الاستبدادية المعادية للمسيحية التي عارضت المسيحية [وجميع الأديان] أيدولوجيًا. ولهذه الأسباب، فمن المرجح أن الداروينية كانت عاملًا مهمًا في وفاة ما يقدر بأكثر من 250 مليون شخص والمعاناة الهائلة التي لحقت بأكثر من مليار شخص. يمكن تقدير التأثير المأساوي الذي قام به هؤلاء الداروينون في تاريخ العالم من خلال مراجعة عدد الوفيات لحركتين فقط، الإبادة الألمانية والشيوعية. وقد استُخدمت الداروينية لتوفير الدعم الفكري لمجموعة كبيرة من السياسات القاسية والوحشية. تتضمن الأمور التي بررتها الداروينية الإجتماعية على سبيل المثال لا الحصر: العبودية، والإمبريالية، والعنصرية، والإبادة الجماعية، والمحرقة، والفاشية، والشيوعية، والحروب، وعدم مساعدة الفقراء. حيث لم يكن هناك في الماضي مبرر فكري واضح لغالبية هذه الأسباب، فقد قام داروين بتقديم مبرر، وقد دعم مبرره العديد من العلماء ذوي السمعة الطيبة في عصره. بين المؤرخين الذين ليس لديهم قوة للقطع بأن هذا الأمر غير مثير للجدل – على الرغم من أنه لا يُعبَّر عنه مباشرةً إلا نادرًا – أنّه يجب أن يُدرج داروين كأحد المسؤولين، إلى جانب العديد من النازيين عن المحرقة (هولدن 2000، 2–3).

إن الاعتراض الشائع على الاستنتاج بأن الداروينية لها تأثير مهم على الإبادة النازية والشيوعية يكمن في حقيقة أن داروين، بقدر ما نعرف، كان زوجًا وأبًا صالحًا ومعارضًا للعبودية ولم يُعارض ديانته علانية أبدًا. الحقيقة هي أن "داروين كان أول داروني اجتماعي" والحجة القائلة بإنك "لا تستطيع لومه على الإبادة" لأنه "كشخص لم يكن ذلك الشخص السيء" غير صحيح لأنه "ما لم تدّعِ أن داروين كان رجلًا غبيًا للغاية

(وهو رأي لا أوافق عليه بالتأكيد)، فقد كان عليه معرفة استخدام نظريته التي سيطرحها. كما أن صفات داروين الشخصية ليس لها صلة بالأمر" (هولدين 2000، 4).

فالعديد من الطغاة الساديين القساة لديهم صفاتهم الجيدة. أحب هتلر الحيوانات، وخاصة كلبه بلوندي، وربما كان لطيفًا للغاية مع زوجته وأطفاله وبعض أصدقائه. وبالتالي، فإن إعفاء داروين من جرائم الداروينية الاجتماعية الأخرى لا يختلف عن د.فرانكشتاين الذي يدّعي أنّ القتل الذي ارتكبه الوحش الذي طوره لم يكن له علاقة به (هولدن 2000، 4). كما استنتج هولدن أن داروين توقّع "بوضوح" الاستخدامات التي ستطبق بناءً على نظريته، وأنّ داروين كان عنصريًا يعرف تمامًا "الاستخدام السئ" المزعوم لنظريته، وبالفعل نتج عن نظريته الكثير من المعاناة (السؤال الوحيد هو ما مقدار ما يمكن أن ننسبه إليه؟ وهو ما لا يمكن تحديده تاريخيًا بدقة) وعلى الرغم من تحفظي على استخدام المصطلح، فالبحكم على أثره التاريخي، يبدو لي أنه من المعقول أن نطلق على الداروينية أنّها شريرة. وخاصة أن النظرية هي مبدئية في الأساس ولا يمكنها - كما زُعِم - أن تفسر أصل الأنواع. لو كانت النظرية صحيحة، لكان من الصعب انتقادها، لأن أي محاولة لفرض الرقابة على العلم أمر خاطئ، وإن كانت تلك هي طريقة الكون، فعلينا فقط الاعتياد عليها (هولدن 2000، 4).

على الرغم من أنّ هدف داروين من تطوير نظرته التطورية للعالم كان واضحًا للغاية من كتاباته، لكن نادرًا ما كان يتحدّى الكتاب المقدس أو المسيحية[1] علانية أو بشكل مباشر لأنه كان يرى أن النهج الغير مباشر أكثر فاعلية (بيرلوف 1999، 152). في

(1) إذ كان داروين نصرانيًا قبل أن يتحول إلى المادية .(الناشر)

1873، كتب لابنه أن معارضة المسيحية علانية أقل فعالية بكثير من نهج "الباب الخلفي": "في الليلة الماضية تحدث كل من ديزي وليتشفيلد عن أنّ "جيه. ستيورات ميل" لم يُعبر مطلقًا عن قناعاته الدينية، حيث حثه والده على ذلك. اتفق كلاهما على أنّه لو فعل ذلك، لما كان له التأثير الذي قام به في العصر الحالي. فأضعف الإيمان، ما كانت كتبه لتكون مراجع علمية في أكسفورد. ليل مقتنع بشدة أنه زعزع الإيمان بعدم قوله أي شئ ضد الإنجيل، أكثر مما لو كان قد تصرف عكس ذلك. لقد قرأت مؤخرًا قصة حياة فولتير لمورلي ويصر بشدة على أن الهجمات المباشرة على المسيحية (حتى عندما كتبت بالقوة والنشاط الرائعين لفولتير) أحدثت تأثير أقل دوامًا؛ يبدو أن الجيد الحقيقي يتبع فقط الهجمات الجانبية البطيئة والصامتة (مقتبس من هيميلفارب 1962، 378).

الداروينية والحرب العالمية الأولى

تعد الاسهامات الهامة للداورينية في التسبب في الحرب العالمية الأولى أقل شهرة. على قائمة الأسباب "الكبرى"، "الداروينية الإجتماعية" جزئيًا لأنّ "الداروينية الإجتماعية حثت الإمبريالية، والتي بدورها سوغت توسع الجيوش والقوات البحرية" (هاميلتون وهيرويغ 2003، 16). بين 1870 و1880، انتشرت فلسفة الداروينية في كافة أنحاء العالم الغربي، "حيث كان لها تأثيرًا كبيرًا، قبل الوصول إلى ذروتها في النظريات العنصرية المتطرفة للاشتراكية القومية (النازية)" (ويلير 1985، 179).

أحد الأمثلة العديدة في مطلع القرن على المؤلفات الضخمة المكرسة لتعميم الداروينية الإجتماعية هو ما كُتِب عام 1913 بواسطة الجنرال بيرناردي بعنوان من حروب اليوم. شرح هذا الكتاب فرضية أن الحرب كانت ضرورة بيولوجية لأنها ساعدت

على تخليص العالم من المتدنيين.

هذه النظرة للحرب "لم تكن محصورة على الجماعات المتطرفة، بل على العكس حصلت على قبول واسع خاصة بين الصحفيين والأكاديميين والسياسيين" في ألمانيا (كار 1979، 217).

معسكر الموت النازي الألماني في أوشفيتز، بولندا. عند وصول اليهود المجريين في صيف 1944.

كانت هذه الآراء مهيمنة على أعلى المستويات في الحكومة الألمانية وبين المفكرين. عند اندلاع الحرب العالمية الأولى، شارك المستشار الألماني، بيتمان - هولويغ، الإعتقاد الشائع بأن الصراع بين الأجناس العليا والدنيا كان أمرًا حتميًا (كارر 1979، 216- 219). في 1912، أشار العاهل الألماني كداروييني إلى الحرب العالمية

الأولى على أنها "حرب عنصرية انتقائية" ضد العبيد والأجناس "الدنيا" الأخرى (كيلوغ 1917). ويذكر هولدن أن الموقف المنتشر والرضا بأن الحرب كانت حتمية وطبيعية ومفيدة في التخلص من الأجناس الدنيا أُدرِج بشكل عام كأحد الأسباب العديدة للحرب العالمية الأولى من قبل مؤلفين حريضين. لقد فزع الأمريكي، العقيد هاوس، من موقف الرضا عن الذات والقتل الذي رأه عندما زار أوروبا في 1913، والذي كان إلى حد كبير نتيجة خطأ كتابات داروين.

المزيد من الأدلة على مدى جدية اتخاذ الداروينية الاجتماعية في مطلع القرن تظهر من خلال الدعاية الصادرة من قبل التحالف الألماني العمومي والمجموعات الأخرى داخل ألمانيا (1،2000).

ولهذا السبب، يجب إدراج الخسائر في الأرواح والممتلكات الناجمة عن الحرب العالمية الأولى كجزء من عدد الوفيات التقديري الناجم بشكل مباشر أو غير مباشر عن الحركة الداروينية.

تأثير الداروينية على التاريخ

إحدى الطرق التي يمكن بها تقدير التأثير المأساوي لداروين على التاريخ عن طريق مراجعة الخسائر المرتبطة بالحروب، بما في ذلك الصراعات الشيوعية والنازية. عند مراجعة البيانات التالية، على الرغم من أن بعض الدول قد تبالغ في خسائرها لتشجيع التعاطف - أو حتى لتبرير بناء دفاع عسكري أقوى - ففي حالات كثيرة، ربما تكون المأساة الفعلية أكبر من غالبية التقديرات لأن التأثيرات الكاملة للحرب الكبرى لا يمكن معرفتها حتى عقود بعد انتهاء القتال. غالبًا ما تُستبعد الجروح التي لا تؤدي إلى خسارة

فورية للحياة. قد يموت الجنود من مضاعفات إصابات الحرب بعد مرور 20 عامًا أو أكثر، مثل الرجل الذي توفي بعد مرور 30 عامًا تقريبًا من إصابته برصاصة في عنقه خلال الحرب العالمية الثانية. لم يُتمكن من إزالة الرصاصة بأمان وتحركت ببطء، مؤدية للوفاة بعد سنوات عديدة. يُحسب هذا والعديد من الوفيات الأخرى المشابهة المرتبطة بالحرب على هذا النحو. في دراسة عن القتل بواسطة الحكومات، خلص روميل إلى أن القوة تقتل والقوة المطلقة أكثر عرضة للقتل. واستنتج أن 170 مليون شخص قد قتلوا من قبل الحكومة في جرائم القتل الجماعي التي درسها (2008، 1- 2).

خسائر الحرب العالمية الأولى

كانت الخسائر المالية وخسائر الأرواح أكثر بكثير في حروب القرن العشرين من كافة الحروب الـ 5,300 الرسمية الكبرى التي حدثت خلال الـ 5000 عام السابقين مجتمعين. يوضح هذه الحقيقة، تقدير تحفظي لعدد القتلى في الحروب الغربية وحدها خلال القرون الثلاثة الأخيرة:

القرن	خسائر الأرواح التقديرية
الثامن عشر	3,000,000
التاسع عشر	5,000,000
العشرين	160,000,000
الإجمالي	168,000,000

إحدى دراسات هارفارد التي قيمت الحروب الـ 902 الكبرى التي حدثت بين 500 قبل الميلاد و1918 بعد الميلاد، خلصت إلى أن عدد المحاربين والخسائر في الحرب العالمية الأولى كانت أكثر بسبعة أضعاف من كافة الحروب المسجلة السابقة الـ 901 مجتمعة (فوستر 1945، 6). قدرت الخسائر التي تكبدتها ألمانيا في الحرب العالمية الأولى بنحو 1,824,000 قتيلًا و4,247,600 جريحًا؛ وبلغت خسائر روسيا 1,664,800 قتيلًا و3,784,600 جريحًا. بلغ إجمالي القتلى من كافة المعارك في الحرب العالمية الأولى أكثر من 23 مليونًا (روبرتس وآخرون 1979، 153)، وقدر عدد الضحايا بسبب الأعمال العسكرية والأمراض الناجمة عن الحرب والوفيات بسبب المجاعة أكثر من 40 مليونًا (هيرسش 1931).

تكلفة الحرب العالمية الثانية

كانت التكلفة الإجمالية المباشرة وغير المباشرة للحرب العالمية الثانية أكثر بأربع مرات من الحرب العالمية الأولى، والتكلفة حوالي أربعة تريليون دولار في 1945 (فوستر 1945، 6). يجب وضع هذه الخسائر تحت مسمى وحشية هتلر.

تقدر خسائر الأرواح البشرية في الحرب العالمية الثانية من جراء الأعمال العسكرية والأمراض التي تنتشر في الحرب بأكثر من 65 مليونًا، وهو أكبر من حجم السكان الذين تقل أعمارهم عن 18 عامًا، والذين يعيشون في الولايات المتحدة بأكملها في ذلك الوقت (جراتان 1949، رايت 1942، 245). فقدت ألمانيا 6,9 مليون جندي على الجبهة السوفيتية، وتوفى ما يقدر بـ 27,5 مليون مواطن سوفيتي في معارك القوات الألمانية. بالإضافة إلى ذلك، هناك الملايين من الوفيات مرتبطة بالحرب، بما في ذلك

1.5 مليون نسمة ماتوا نتيجة للجوع في لينينغراد بسبب الحصار الألماني في مساعيهم للقضاء على سكان المدينة. وقدر العدد الإجمالي للوفيات بسبب الجوع والأمراض المرتبطة بالحرب فقط 12 مليون شخص تقريبًا.

وبالنسبة لخطط هتلر لحليفه السابق، روسيا، "لم يقدم هتلر أعذارًا لمذابحه أبدًا" ولكنه أعطى أوامر بتسوية لينينغراد بالأرض وذبح كافة السكان واحتفظ بمصير خاص لموسكو. عدم ترك شخص واحد على قيد الحياة، وعدم ترك حجر على حجر، وإغراق حطام المدينة تحت بحيرة كبيرة. قضت الأوامر للسندركوماندوس بقتل الرجال والنساء والأطفال، ومن يُظهر علامات التأثر من مشاهد قتل النساء والأطفال كان يعاقب بشدة. كان اليهود والبولنديون والروس دون البشر ولا يستحقون العيش (باين 1973، 67).

في ألمانيا، قُتل أو جُرح نصف الذكور البالغين (فرييد 1970). عدد الوفيات الأمريكية الرسمية في الحرب العالمية الثانية كان 402,339 نسمة، وقدرت التكلفة المباشرة لأميركا وحدها بـ 263 مليار دولار (المبلغ بقيمة الدولار في ذلك الوقت؛ المصدر: إحصاءات الحكومة الأمريكية).

يشير مصطلح "الهولوكوست" عادةً إلى القتل النازي لليهود الأوروبيين، ولكن ألمانيا ليست الدولة المتحضرة الوحيدة التي انغمست في المجازر الضخمة لسكانها (رابينوفتز 1979). في الواقع، هناك العديد من المذابح الكبرى في التاريخ كانت أكثر ضخامة من الإبادة اليهودية، وشُنَّت جميعًا من قبل الحكومات الشيوعية (أزار 1990). منذ الحرب العالمية الثانية، خاض البشر أكثر من 130 حربًا، بما في ذلك فيتنام، وكانت أطولهم في تاريخ الولايات المتحدة حتى حرب أفغانستان (مورو 1982, 88).

عدد القتلى بسبب الحركات الشيوعية

حتى وقت قريب، كانت الكتب التاريخية الأربعة الرئيسية التي سجلت الحقبة الستالينية هي دع التاريخ يحكم (1989) لروي ميدفيديف، والإرهاب العظيم (1968) لروبرت كونكست، وعصر ستالين (1981) لأنتونوف - أوفسينكو، وأرخبيل جولاج (1974) لألكساندر سولزينتسين. كان كتاب عصر ستالين لأنتونوف - أوفسينكو - وفقًا لستيفين كوهين (1981، 8)، أستاذ السياسة السوفيتية في برينستون - هو أحد الأعمال الحديثة الأكثر أهمية حول الإبادة الشيوعية.

كان أنتونوف - أوفسينكو الابن الوحيد للأب الشهيد مؤسس السوفييت، شاهدًا ومؤرخًا على الستالينية. والده وهو ثوري بولشيفي معروف، قاد حزب الاستيلاء على قصر الشتاء في أكتوبر 1917، وخدم في الحكومة السوفيتية الناشئة وترقّى إلى القائد والرئيس السياسي للجيش الأحمر. قدر أنتونوف - أوفسينكو عدد الوفيات (كما هو مبين في الجدول رقم 1) خلال الثلاثين عامًا الأولى من الحكم السوفيتي بنحو 18 مليون (198، 210- 213):

الجدول رقم 1: عدد الوفيات في الثلاثين عامًا الأولى من الحكم السوفيتي:

قتلى الحرب الأهلية الشيوعية (بما في ذلك ضحايا المجاعة المرتبطة بالحرب واعدام "أعداء الطبقة")	16,000,000
الوفيات الناتجة عما يخص الزراعة (ويتضمن الوفيات بسبب المجاعة التي سببتها الحكومة والترحيل والإعدام)	22,000,000
التطهيرات في آواخر الثلاثينيات	19,000,000
قُتل أثناء الحرب (من خلال الترحيل الجماعي ووفيات المعسكرات وعمليات الإعدام الوقائية وعمليات الإعدام التحذيرية، وما إلى ذلك)	15,000,000
عمليات الإعدام والقمع بعد الحرب	9,000,000
الإجمالي	81,000,000

عدد القتلى بسبب الثورات الشيوعية الحديثة

وفقًا لتقرير معهد أبحاث الشؤون الخارجية في 1983، فإن الثورات "الشيوعية" الحديثة كانت سببًا في وفاة حوالي 140 مليون شخص. تضمن التقرير كافة الوفيات المبكرة بسبب الإعدام والمجاعة التي صنعها الإنسان والسجن والترحيل والعمل بالسخرة والصراعات المدنية والدولية. وذكر الإئتلاف أنّ ضحايا الشيوعية من عام 1917 إلى عام 1967 كان 46,2 مليون آسيوي و45 مليون سوفيتي و3,6 مليون أوروبي، ووصل المجموع الكلي للوفيات إلى 139,917,700. ويزعم دولوت (1985) أنّ الإبادة الشيوعية الأوكرانية حصدت أرواح 7 مليون شخص.

تجاوزت حصيلة الوفيات للشيوعيين الصينيين تلك التي سببتها حرب المحور، قبل وأثناء الحرب العالمية الثانية. قدّر واكر (1971) ما يصل إلى 63 مليون شخص لقوا حتفهم نتيجة الشيوعية الصينية في الفترة من 1927 وحتى يومنا هذا (انظر الجدول رقم 2).

الجدول رقم 2 يوضح بعض أعداد الوفيات الشيوعية

الصراع	تقديرات الوفيات
الحرب الأهلية الأولى (1927-36)	250,000 إلى 500,000
الحرب الصينية - اليابانية (1937-45)	40,000 إلى 50,000
الحرب الأهلية الثانية (1945-49)	1,200,000 إلى 1,250,000
الإصلاح الزراعي قبل "التحرير"	500,000 إلى 1,000,000
حملات التصفية السياسية (1949-58)	15,000,000 إلى 30,000,000
الحرب الكورية	500,000 إلى 1,234,000
"القفزة الكبرى للأمام" والكومونس (1958-59)	1,000,000 إلى 2,000,000
الكفاح ضدّ الأقليات القومية	500,000 إلى 1,000,000
"الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى" وما أعقبها (1965-1969)	250,000 إلى 500,000
الموت في معسكرات العمل الجبري و"تطوير" الحدود	15,000,000 إلى 25,000,000
حملات "مكافحة الجريمة" (1983 إلى الآن)	500,000 إلى 1,000,000
إجمالي التقديرات	34,800,000 إلى 63,543,000

يدّعي شوارتز (1972، 1985) أنّ محرقة ماو تسي – تونج "الثورة الثقافية الكبرى" وحدها كانت مسؤولة عن وفاة حوالي 29 مليون نسمة، بالإضافة إلى تعطيل حياة 600 مليون شخص. في دراسة باستخدام وثائق أولية، يدعي تشانج وهاليداي أن ماو كان "مسؤولًا عن أكثر من 70 مليون وفاة في وقت السلم، أكثر من أي زعيم آخر في القرن العشرين (2005، 3). في حين أن البعض يشككون في هذا العدد، لكن الأرقام الأخرى المذكورة لا تزال في حدود عدة ملايين (بينتون وتشون 2010). قدر سونام توبيجال (1984، 7) أن الصينيين الذين قتلوا حوالي 1,278,387 شخص خلال حكمهم الذي استغرق 33 عام في التبت وحدها.

وبخاصة توفي 174,138 شخصًا من التبتيين في السجون ومعسكرات العمل، وتم إعدام 156,758 شخص، وتوفي في الحروب 432,607 شخص، وتوفي 413,151 بسبب المجاعة، و92,731 من التعذيب، و9,002 انتحارًا. وتبقى فقط ستة من الأديرة – التي لا تزال نشطة إلى الآن – الواقعة في جبال الهيمالايا من أصل 7000 دير قبل استيلاء الصينيين عليها عام 1950.

خلال ثلاثة أعوام فقط، قتل الجيش الأحمر أو فقد من خلال الانشقاق ما يقرب من 150,000 من جنوده بسبب القتل لعصيان الأوامر. اعتقد أن العديد قد قُتلوا أثناء العمليات أو أُسروا أو طردوا من الجيش (تشانج وهاليداي 2005، 296).

إبادات أخرى للشيوعيين

قالت مؤسسة أبحاث د. شوارتز أن أكثر من مليوني شخص قد قُتلوا بواسطة حكومة بول بوت الكمبودي. حقائق في الملف (20 فبراير 1981) نقلًا عن تقرير لجنة حقوق الإنسان للأمم المتحدة في 5 فبراير، والذي خلص إلى أن: الإبادة الجماعية التي ارتكبها نظام بول بوت لمدة خمسة أعوام "لم يسبق لها مثيل في قرننا، باستثناء رعب النازية". عندما سيطر الشيوعيون على البلاد في أبريل 1975، قُتل الملايين، بما في ذلك قرى بأكملها، ومجتمعات، ونساء حوامل أو نساء قُمن للتو بالولادة، وعجائز، وأُسر بأكملها، وأطفال حديثي الولادة، وحتى المرضى العقليين (2 فبراير 1979، حقائق في الملف).

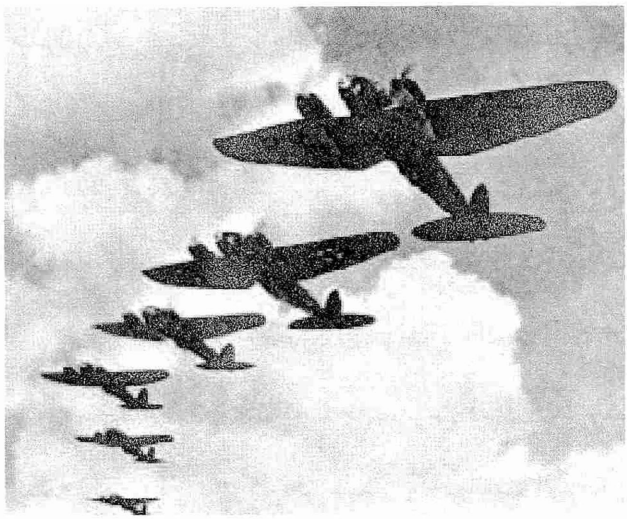

طائرات مقاتلة ألمانية (هينكل إتش إي 111إس) دخلت الخدمة عام 1937.

عدد الرجال والنساء الكمبوديين الذين تم ذبحهم في الفترة من 1975 حتى 1978 يبلغ ثلاثة ملايين (سيهانوك 1980، 77؛ هاوك 1982، 21).

سيهانوك - أول رئيس لدولة كمبوديا بعد الثورة (استقال في 2 أبريل 1976)- يعتقد أن هذا التقدير مبالغ فيه، ولكنّه وافق على أنّ العدد كان مرتفعًا وأن "الخمسة ملايين المتبقين من الخمير كانوا بالكاد على قيد الحياة بعد ثلاثة أعوام من العمل

الجبري ومصاعب من كل نوع ومعاناة لا مثيل لها في كل تاريخ البشرية."

هؤلاء "العبيد" - كما يُذكرنا الكاتب - كانوا أطباء، وطلاب، وموظفين مدنيين مدربين تدريب عالي. والعديد من هؤلاء الذين هربوا سافروا عبر حقول الألغام في محاولة يائسة للوصول إلى الحدود، ولكن بالكاد فعلها واحد من كل عشرة منهم.

توفي البقية أو أُسروا أو قُتلوا. وقد أدى القضاء على عدد كبير من الأشخاص الأكفاء إلى جعل المجمع المحلي الصناعي والعسكري عديم الجدوى.

تأتي الأمراض والمجاعة مع الحرب

ومن العواقب الكارثية للحرب ليس فقط القتل المباشر من قبل الجنود ولكن كذلك انتشار الأمراض بين كل من البشر والحيوانات الأليفة (وخاصة الماشية). تتسبب الحرب عادةً في اضطرابات عظيمة على كل من الإقتصاد وإنتاج الغذاء وتوزيعه، مما يؤدي إلى نقص الغذاء والمجاعات. تسببت الحرب العالمية الأولى في "وفيات مروعة من الأمراض" (غولدتورب 1978، 25). في الغرب وحده، تسبب تفشي الإنفلونزا عام 1918 في وفاة أكثر من 40 مليون شخص. على الرغم من أن الحكومات الغربية اتخذت اجراءات قوية لاحقًا في التعامل مع الطاعون، إلا أن الحرب تسببت في تفاقم مشكلة الإنفلونزا وأعاقت إلى حد كبير التحسن في مستويات المعيشة المدنية لعقود.

كانت المجاعات خدعة متعمدة في بعض الأوقات من قبل الحكومة للضغط على الأشخاص المتمردين للرضوخ (دولوت 1985). يدّعي أنتونوف - وفسينكو أن الإبادة السوفيتية عام 1932 كانت مجاعة متعمدة (1981، 64). مجموع المجاعات الإجبارية لستالين وتصفيته للكولاك أزهقت أرواح ما يقرب من 22 مليون شخص. في محاولة

لتلخيص عدد الوفيات الناتجة عن الإبادة الشيوعية بسبب الأمراض والمجاعات التي تسببها الحكومة، أصدرت إحدى الدراسات الأكثر توسعًا التي قام لها أشخاص استطاعوا الوصول إلى المحفوظات السوفيتية فائقة السرية السابقة التقديرات التالية:

الأمة	الوفيات المقدرة
الاتحاد السوفيتي	20 مليونًا
الصين	65 مليونًا
فيتنام	١ مليونًا
كوريا الشمالية	2 مليونًا
كامبوديا	2 مليونًا
شرق أوروبا	1 مليونًا
أميركا اللاتينية	150,000
أفريقيا	1,7 مليونًا
أفغانستان	1,5 مليونًا
الحركة الشيوعية الدولية	حوالي 10,000
الإجمالي	الإجمالي 100 مليون

المصدر: كورتويس وآخرون (1999، ص. 4)

منذ عام 1970دولة من بين كل أربع دول خاضت حربًا

وتورطت خمس وأربعون دولة - رُبع دول العالم - في حروب منذ 1970، غالبيتها مرتبط بالشيوعية. تضيف الصراعات الشيوعية منذ 1900 خسائر في الأرواح لأكثر من 200 مليون شخص - يكافئ تقريبًا كافة سكان الولايات المتحدة، رابع دولة من حيث عدد السكان اليوم -. تضمنت غالبية هذه الصراعات الأكثر دموية الاستيلاء الشيوعي، بما في ذلك:

كمبوديا: تضمنت الحرب الأهلية 200,000 جنديًا فيتناميًا وكمبوديًا مقابل 63,000 من العصابات المسلحة؛ أربعة ملايين حالة وفاة منذ 1970.

أندونسيا: حرب العصابات التي تضمنت 269,000 جنديًا مقابل 6,500 من الثوار الوطنيين؛ من 100,000 إلى 250,000 حالة وفاة منذ 1975.

أفغانستان: تضمنت الحرب الأهلية 100,000 متمردًا مقابل 140,000 جنديًا سوفيتيًا وأفغانيًا؛ حوالي 100,000 حالة وفاة منذ 1978.

الفلبين: تضمنت حرب العصابات 112,800 جندي مقابل الآلاف من المتمردين الشيوعيين؛ 50,000 حالة وفاة منذ 1972.

فيتنام: تضمنت الحرب التقليدية 300,000 جندي صيني مقابل 200,000 فيتناميًا؛ 47,000 حالة وفاة منذ 1979.

السلفادور: تضمنت حرب العصابات 10,000 ماركسي مقابل 25,000 جنديًا؛ أكثر من 30,000 حالة وفاة منذ 1977.

جواتيمالا: تضمنت حرب العصابات 6,000 متمرد يساري مقابل 30,600

جنديًا؛ من 12,000 إلى 22,000 حالة وفاة منذ 1982.

أثيوبيا: تضمنت حرب العصابات 250,000 جنديًا أثيوبيًا مقابل 45,000 من الشيوعيين الإرتريتريين؛ ما يقرب من 30,000 حالة وفاة منذ 1962. (من تقرير مركز المعلومات الدفاعية "العالم في الحرب"، 1980).

وفقًا لسمبسون (1978): فقد تم ذبح أكثر من 25 مليون شخص في الحروب الشيوعية منذ 1945، كما سقط العديد من الوفيات في الحربين العالميتين. يُقدّر رايت أنّه على الأقل 10% من كافة الوفيات في الحضارة الحديثة يمكن أن تُعزى إلى الحرب (1942, 246). منذ 1945، لم يمر أكثر من 26 يوم بدون اندلاع حرب ساخنة في مكان ما من العالم، وكانت غالبية هذه الحروب مستوحاة من الشيوعيين (سمبسون 1978)! إجمالي الخسائر غير المباشرة في الأرواح من الأمراض والإصابات المرتبطة بالحرب منذ 1945 حوالي 20 مليون أخرى. مثال على استمرار آثار الشيوعية ما يلي: قبل أربعين عامًا، كانت كمبوديا أكثر الدول تطورًا ونظافة في آسيا. كانت بنوم بنه مدينة مثالية ذات خدمات عامة ومتنزهات وحدائق عامة. ثم، في 1970، تورطت الدولة في [حرب] بين الماركسيين وقوات الحكومة عندما سيطر الخمير الحمر الماركسيين بالقوة على البلد في 1973، سرعان ما تدهورت الأمة إلى منطقة قاحلة في العالم الثالث (دابيل 2000، 29).

ونتيجة لذلك، أصبحت مساحات شاسعة من الأراضي الزراعية قاحلة، ومازال حوالي أربعة ملايين لغم أرضي مخبئين في حقول الأرز، مما يمنع الزراعة والتنمية. يوميًا تقريبًا، كان يتم قتل المزارعين أو تشويههم من قبل الأسلحة المضادة للأفراد التي زُرعت

خلال الحرب قبل أكثر من 20 عامًا. وبغض النظر عن هذه المشكلات السياسية والاقتصادية المدمرة، هناك معدّلات عدوى فيروس نقص المناعة البشرية/الإيدز التي قد تدمر الأشخاص. بنهاية هذا العام يتوقع مسؤولو الصحة 40,000 حالة إصابة كاملة بالإيدز في كامبوديا. يقول مسؤولو الصحة أنّ 250,000 كامبوديًا مصابون بالفعل بفيروس نقص المناعة البشرية. يزداد العدد بمقدار 100 شخص في اليوم. وعند فحص 7,346 من "العاملات في تجارة الجنس" في كمبوديا (المصطلح السياسي الصحيح لاسم "البغاء")، وجد أن 43% منهن نتيجتها إيجابية لفيروس نقص المناعة البشرية. "العاملات في تجارة الجنس" وعملائهن مسؤولون عن انتشار كافة حالات الإيدز في كمبوديا تقريبًا (دابيل 2000، 29).

مدرسة جين دي أرك تحت النار في فريدريكسبرج، 1945.

وفي الآونة الأخيرة، تمّ خوض 31 "نزاع مسلح ضخم" في 27 دولة في العالم منذ 1994! إن الثورات الداروينية والمعادية للمسيحية التي أدت إلى هذه الحروب والإبادات، أزهقت عشرات الملايين من الأرواح، والكثير من ثرواتنا، وأدت إلى فقر مدقع في حياة العديد من سكان العالم. يعيش أكثر من 60% من سكان العالم الآن في فقر، وحوالي نصفهم في فقر مهدد للحياة، و400 مليون نسمة على حافة المجاعة.

قدرت الأموال الإضافية اللازمة لتحقيق مستويات كافية من الغذاء والرعاية الصحية والتسكين لسكان العالم قبل بضع سنوات بنحو 20 مليار دولار. هذا المبلغ الضخم كان تقريبًا ما كان ينفقه العالم كل أسبوعين في ذلك الوقت في الحرب أو التحضير لها، والتي أغلبها حتى وقت قريب كان يتضمن صراعات شيوعية. يُنفَق الآن أكثر من 25 مليار دولار سنويًا لرعاية جرحى الحرب الأمريكيين، وغالبيتها في مستشفيات رعاية المحاربين القدامى على حساب الحكومة.

يجب وضع هذا في الحسبان

الداروينية عامل واحد فقط، بالرغم من كونه عامل بالغ الأهمية، أدى إلى الفاشية والشيوعية والرأسمالية والطغيان بدم بارد. هناك عوامل أخرى غير الداروينية كانت هامة في ظهور الإبادات المستوحاة من الإستبدادية الشاملة في القرن العشرين، ولكن هذه المراجعة تركز فقط على تأثير الداروينية. لقد لاقت الداروينية القبول على نطاق واسع في إنجلترا وفرنسا والولايات المتحدة، ولم تطور أي منهم أنظمة استبدادية مثل تلك الموجودة في ألمانيا أو إيطاليا أو روسيا. لهذا السبب، يجب علينا كذلك النظر إلى عوامل أخرى للتفسير الكامل لتطور الإستبدادية الشاملة.

لم تكن الشيوعية نتاج للداروينية فقط، ولكن كذلك نتاج ما يُدعى بمفكرين "التنوير" ونظام اجتماعي وتاريخي معين. العديد من العوامل التاريخية سبقت وأثرت على نمو وتطور الداروينية. على سبيل المثال، فإن أعمال كانت وهيكل وكونت وهؤلاء المفكرين الذين كانوا جزءًا مما يُسمى بـ "التنوير"، مع تركيزهم على العقلانية المفرطة وحتمية "التقدم"، جميعهم كان لهم تأثير هام في الفكر الغربي. لقد سار داروين بطرق عديدة على خطى هؤلاء المفكرين، ولاحقًا، كان ماركس ونيتشه وآخرون مهمين. كما كانت ما تسمى باسم "حركة العقلانية" حرجة كذلك ولها تأثير عميق في أوروبا الغربية والمسيحية في آواخر القرن السابع عشر.

ومع ذلك، فإنّ الداروينية كانت خطوة بالغة الأهمية في العملية التي أدت إلى الإستبدادية الشاملة، ولكن القومية والسعي إلى القوة وللإمبراطوريات كانا مهمين كذلك. وفي المقابل، ساعدت القومية الشرسة والإمبريالية التي تفشت في أوروبا خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر على إرساء الأساس والقبول لشكل معين من الداروينية.

تحت حكم لينين وستالين، أصبح الإتحاد السوفيتي "إمبراطورية شريرة" دموية، جزئيًا لأنّ الشيوعية الروسية كانت مادية وإلحادية ومطلقة. وبالرغم من ذلك، كانت الداروينية هامة كذلك في روسيا. لم يقم ستالين بتجويع ستة ملايين من الكولاكيين الأوكرانيين حتى الموت لأنه كان دارويني، ولكن كان سببه الرئيسي أنهم قاوموا الزراعية الجماعية ومنعوا إمداداتهم من الحبوب التي كانت تساعد على إطعام سكان موسكو. وعلى الرغم من ذلك، فإنّ الداروينية ساعدته وحكومته بوضوح على تبرير تطلعه للمجد الوطني، ولا سيما من خلال المساعدة في إبطال تأثير الدين.

إن الدوافع الواضحة كالقوة والثروة والمجد هي عوامل هامة في إتساع رقعة الأرض الوطنية، ولكن حتى هنا كانت الداروينية هامة لأن الدول الأوروبية كانت توسع نفوذها وآراضيها "خارج البلاد في آسيا وأفريقيا والمحيط الهادي. كان من المسلم به بطريقة ما، أنّه من حقّهم أن يفعلوا ذلك لأن الإنسان الأبيض الأوروبي كان متفوقًا وراثيًا على الأشخاص ذوي البشرة الداكنة، وعليهم أن يتولوا أمرهم نتيجة لذلك بالطبع" (أسيموف 1977، 89-94). ويضيف أسيموف أن هذه النظرة العالمية "جُعِلت علمية بواسطة أعمال هربرت سبنسر، الذي طبق أفكار نظرية التطور - التي أنشأها عالم الطبيعة الإنجليزي تشارلز روبرت داروين، في 1859- على المجتمع".

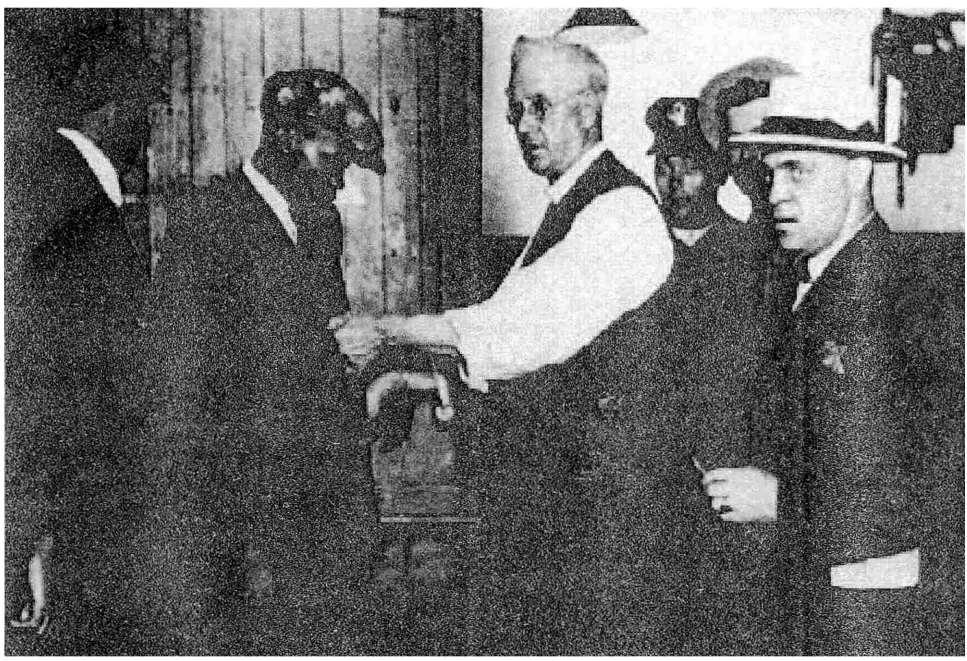

شاب أمريكي من أصل أفريقي في شيكاغو في دراسة العلاقات العرقية وأعمال الشغب العنصرية.

لقد كان سبنسر الذي قام بصياغة عبارة "البقاء للأصلح"، وفي 1884 جادل بأنّه ينبغي السماح للأشخاص الذين لا يعملون ويشكلون عبئًا على المجتمع بالموت بدلًا

من أن يُمنحوا المساعدة والإحسان. القيام بذلك - على الراجح - سيساعد على التخلص من الأفراد غير الأكفاء وتعزيز العرق. وقد كانت فلسفة مريعة والتي يمكن استخدامها لتبرير أسوأ الدوافع البشرية. فيمكن لدولة مستعمرة أن تدمر عدوها (كما دمر الأمريكيون الهنود) لأنهم كانوا "أكثر كفاءة"، ويمكن أن تُثبت أنها "أكثر كفاءة" لأنها دمرت عدوها. وبالفعل فإن استغلال بقية البشر من قبل الأوروبيين البيض يمكن أن يبدو على أنه لفتة نبيلة؛ حيث استطاع البيض المتفوقون مساعدة السلالات الأدنى في قارات أخرى من خلال توظيفهم كخدم والسماح لهم بالعيش على الفتات (أسيموف 1977، 89-94).

وأضاف أنّ أعدادًا ضخمة من المواطنين في الولايات المتحدة "تأثروا بفلسفة سبنسر، وما يؤلم أنّ الولايات المتحدة ساعدت على انتشار مباركة الإمبريالية، وخاصة أنّ "نهاية الحدود" في 1980 بدت وكأنها تركت مجالات توسعية أمريكية مع القليل للقيام به في الوطن" (أسيموف 1977, 89- 94).

ومن العوامل الهامة في وقوع المحرقة، كانت البرامج المعادية للسامية والتعصب والذي كان قد ترسخ بعمق في الثقافة الأوروبية قبل داروين بفترة طويلة. وجد هتلر العديد من الألمان "المسيحيين" العاديين الذين يتقبلون قوانينه وتشريعاته المعادية للسامية، جزئيًا لأن المسيحية فقدت الكثير من حياتها وتأثيرها في ألمانيا وأكثر أوروبا. عززت الداروينية التحيزات القائمة ضد اليهود، ولكن لم يكن هذا هو العامل الوحيد الذي تسبب في المحرقة.

وكان لزوال التأثير المسيحي وفساد الكنيسة أهمية بالغة. كانت الكنيسة المسيحية المبكرة تعارض بشدة الصراعات العنيفة ودعمت بشكل متواصل مساعدة الضعفاء

والأقل قوة (باينتون 1960؛ نوتال 1971؛ مارين 1971؛ ماكغريغور 1954). يؤكد الكتاب المقدس بوضوح أننا يجب أن "نبحث عن الأشياء التي تصنع السلام وبناء بعضنا البعض" [1] (رومانز 14:19، الكتاب المقدس القياسي الأمريكي الجديد). لقد أُمر المسيحيون بأن "يكونوا مسالمين مع بعضهم البعض، ويساندوا الضعفاء، والكفاح من أجل المصلحة العاملة والعمل ضد ميل الفرد لإلحاق الضرر، ولكن، على العكس، السعي الدائم إلى ما في صالح الجميع" (1 تسالونيكي 4 :13-15). هذه التعاليم الواضحة المتكررة في الكتاب المقدس تتناقض مع الفلسفية الشيوعية والإستبدادية الشمولية، والتي تشدد على الثورة العنيفة وديكتاتورية البروليتاريا كحل "علمي" لمشكلات الإنسان.

يشرح اللاهوتيون بشكل عام هذه المقاطع على أنها تُشير إلى القول بإننا كأفراد، نسعى لتحقيق السلام ونحب أعدائنا (ماثيو 5 :44). تركز هذه الكتب المقدسة على العلاقات الشخصية الفردية، ولا يقتصر تطبيقها على النزاعات بين الأشخاص، ولكن تنطبق كذلك على النزاعات بين المجموعات. لو أنّ هتلر وستالين وماركس وغيرهم لم يرفضوا المسيحية الإنجيلية من أجل نظرة عالمية دنيوية "تنويرية"[2] داروينية، لما كان بوسعهم قبول البربرية المتأصلة في الأنظمة النازية/الشيوعية التي قادوها، وفقدان مئات الأرواح التي في الإبادات الجماعية - التي سبق الحديث عنها - ما كان ليحدث أبدًا.

(1) لا شك أن ما بقي صحيحًا ولم يُحرف في الكتاب المقدس فيه خير للبشرية وإن كان الله قد أنزل الكتاب الخاتم إلا أنه يظل الكتاب المقدس أفضل من هذه الافكار الإلحادية المادية التي تنكر وجود الخالق وتُحارب الأخلاق جملة وتفصيلًا .(الناشر)

(2) يُقصد بلفظة " تنويري " الفكر المنحل الغير ملتزم بالنظرة الأصولية المتمسكة بالدين ، وقد تعريفها في الحاشية وذكر ما بُنية عليه في الغرب ، إذ هي أقرب للعلمانية منها إلى الأديان، ولها روادها في الغرب كما لها ضُلالها في الشرق .(الناشر)

في النهاية، وضع الكتاب الذي كتبه داروين نظرية للأصول البيولوجية التي لم يكن لها أية آثار اقتصادية أو سياسية. ولكن بالرغم من أنّ الكثيرين قد يذهبوا بعيدًا للغاية لدرجة الإعتراف بأنّ الله خلق العالم من خلال عملية طويلة من التطور، فإنّ النتيجة النهائية لنظرية داروين كانت قتل عشرات الملايين من الأبرياء، وبذلك أصبح الأب الروحي لأعظم قتل جماعي في التاريخ (ورمبراند 1986، 86).

المراجع

أنتونوف - أوفسينكو، أنتون. 1981. عصر ستالين: صورة للطغيان. نيويورك: هربر ورو.

إيزاك أسيموف،1977. الباب الذهبي: الولايات المتحدة من 1856 حتى 1918. بوسطن، م أ: شركة هوتون ميفلين.

لاري آزار، 1990. القرن العشرين في أزمة: مؤسسة الشمولية. دوبوك، إأ: كيندال - هانت.

رولاند اتش باينتون،1960. مواقف المسيحية تجاه الحرب والسلام. نيويورك: صحافة أبينجدون.

جريجوربينتون ولين تشون، المحررين. 2010. حقًا لقد كان ماو وحشًا: الرد الأكاديمي على تشانج وهاليداي ماو: القصة الغير معلومة. نيويورك: روتليدج.

جيري بيرجمان. 1999. "الداروينية والإبادة العرقية النازية".سين تيك جيه.111-101:(2)13.

---. 2001. "مؤسسة داروين للشيوعية."ت.ج. الصحيفة التقنية95 -89:(1)15.

كار ووليام. 1979. تاريخ ألمانيا 1945-1815. نيويورك: صحيفة سانت مارتن.

جونج تشانج وجون هاليداي. 2005. ماو: القصة الغير معروفة. نيويورك: كنوبف.

ستيفن كوهين. 1981. مقدمة لأنطون أنتونوف - أوفزينكو، عصر ستالين: صورة للطغيان. نيويورك: هربر ورو.

روبرت كونكويست،1968. الرعب الأعظم. نيويورك: شركة ماكميلان.

ستيفين كورتويس، نيكولاس ويرث، جين - لويس بان، أندرزيج باكزكوسكي، كارين بارتوسيك، جين - لويس مارجولين. 1999. الكتاب الأسود للشيوعية؛ جرائم، ارهاب، قمع. كامبردج، م.أ: صحيفة جامعة هارفرد.

جريج دابيل،. 2000. "مجالات القتل الجديدة".العالم،18 مارس، 30-29:(11)15.

ميرون دولوت،1985. التنفيذ باستخدام الجوع. نيويورك: نورتون.

فريلينج فوستر،1945. "مواكبة العالم".كوليرز،29 سبتمبر، ص. 6.

ليونارد فريد،1970. صنع في ألمانيا. نيويورك: منشورات جروسمان.

جيه ايهجولدثورب، 1978. علم اجتماع العالم الثالث. كامبردج، م.أ: صحيفة جامعة كامبردج.

ك. هارتلي. جراتان، ك. 1949. "تكلفة الحرب".هاربيرز، أبريل، ص.79 -76.

ريتشارد افهاميلتون، ، هولجير هـ. هيرويج. 2003. أصول الحرب العالمية الأولى. نيويورك، نيويورك: صحيفة جامعة كامبردج.

ديفيد هاوك،1982. "مقتل كمبوديا".الجمهورية الجديدة،15 نوفمبر، ص. 21 -17.

ال هيرستش،. 1931. "التأثيرات الديموغرافية للحرب الحديثة"، في كيف ستكون صفات حرب جديدة؟ لندن: الاتحاد البرلماني الدولي.

جيرترود هيميلفارب،1962. دارون والثورة الداروينية. نيويورك: و. و. نورتون.

تيد هولدين،2000. "هل نظرية التطور مصدر للعنصرية والشر؟" مخطوطة غير منشورة.

فيرنون كيلوج،1917. ليالي المقر. بوسطن، م أ: الصحافة الأطلسية الشهرية.

ج.هـ.س ماكجريجور،1954. أساس العهد الجديد من السلمية. نياك، نيويورك:

منشورات الزمالة.

ألبيرت مارين، محرر. 1971. الحرب والوجدان المسيحي. شيكاغو، إل: شركة هنري ريجنري.

روي ميدفيديف،1989. لندع التاريخ يحكم. أصول وعواقب الستالينية. نيويورك: صحافة جامعة كمبوديا.

لانس مورو،1982. "ما وراء الحرب".وقت،17 مايو ص. 88.

جيوفريي نوتال،1971. المسالمة المسيحية في التاريخ. بيركيلي، ج.أ: العالم بدون مجلس الحرب.

روبرت باين،1973. مذبحة؛ مأساة بنجلاديش وظاهرة الذبح الجماعي عبر التاريخ. نيويورك: ماكميلان.

جيمسبيرلوف، 1999. اعصار في جنكيارد. أسطورة القسوة في الداروينية. أرلينجتون، م أ: كتب الملاذ.

دوروثي رابينويتز،1979. حول الإبادة. نيويورك: اللجنة اليهودية الأمريكية.

رون روبرتس، روبرت م. كلوس. 1979. الحركات الإجتماعية. سانت لويس، مو: السيرة الذاتية لموسبي.

رودولف ج روميل،2008. الموت من قبل الحكومة. نيو برونسويك، ن.ج: صفقة الناشرين.

أنطوني سامبسون،1978. "نريد أن نشن حرب".المبجل،1 مارس ص. 69 -59.

فريدريك ششوارتز، 1972. الوجوه الثلاثة للثورة. فولز تشيرش، ف.أ: صحافة

كابيتال هيل.

---.1985. "الحاجة إلى مبلغ فلكي للتعويضات"، الحملة المسيحية المضادة للشيوعية،1 فبراير.

نورودوم سيهانوك،1980. الحرب والأمل؛ حالة كمبوديا. نيويورك: كتب بانثيون.

ألكسندر سولجنيتسين،1974. أرخبيل جولاج. نيويورك: هربر ورو.

سونام توبجيال، 1984. "توفي أكثر من 1.2 مليون شخص تحت الحكم الصيني". مراجعة تبتية7:(3)19.

ريتشارد واكر، 1971. الخسائر البشرية للشيوعية في الصين. واشنطن، د. س: مكتب طبع حكومة الولايات المتحدة؛ ص. 15، انظر ششوارتز، 1972، قام بتحديثه الموجز المحافظ،10 أبريل (4) والأخبار المسيحية،30 أبريل، ص. 12.

هانز - أولريتش ويلر، .19851985. الإمبراطورية الألمانية، 1918 -1871. تُرجم من الألمانية بواسطة كيم كيم كيم ترينور دوفر (نيو هامشير): منشورات بيرج.

كوينسي رايت، 1942. دراسة الحرب. شيكاغو، إل: صحافة جامعة شيكاغو.

ريتشارد رمبراند، 1986. ماركس وساتان. بارتليسفيلل، أ.ك: شركة كتاب التضحية الحي.

الفهرس

مقدمة الناشر 5

ماذا يقول الآخرون عن كتاب "تأثير داروين 7

شكر وتقدير 9

المحتويات 10

التمهيد 11

الفصل الأول: المقدمة 13

هتلر والنازية 19

أهمية الداروينية في الحركة الشيوعية 25

لا يزال علم تحسين النسل معنا حتى اليوم 28

المراجع 35

الفصل الثاني: أصول العنصرية البيولوجية 40

تاريخ قصير من العنصرية البيولوجية 40

أصول العنصرية البيولوجية 42

بداية فكرة "العرق البيولوجي 43

لا توجد "أعراق" بيولوجية 50

أصل مفهوم "العرق" البيولوجي 55

لماذا العرق بهذه الأهمية البالغة بالنسبة للتطور؟ 57

تطبيق التطور على السياسة الاجتماعية 61

الزواج بين الأعراق وعلم الأحياء 63
ما الذي يخبرنا به هذا التاريخ ؟ 65
المراجع 67
الفصل الثالث: ابن عم داروين، السير/ فرانسيس جالتون، وحركة تحسين النسل 71
مؤسس نظرية تحسين النسل، فرانسيس جالتون ابن عم داروين 75
تحسين النسل في أميركا 80
حجم المخ والذكاء 82
نشأة جالتون 85
الاستنتاجات 94
المراجع 96
الفصل الرابع: تفسير كبار الداروينيين للعنصرية لأكثر من قرن 101
مقدمة 101
مفهوم العرق 101
أهمية مؤلفات داروين وأفكاره 106
عنصرية داروين 109
معاصرو داروين 111
لماذا أصبح الكثير من العلماء "عنصريين" بشكل صريح ؟ 113
نهاية العنصرية الداروينية 118
الاستنتاجات 122

المراجع 123
الفصل الخامس: اتش. جي. ويلز: تلميذ داروين واختصاصي تحسين النسل الفذ128
المقدمة 128
خلفيته..... 128
من المسيحية إلى الإلحاد الداروينى..... 130
علم تحسين النسل 132
ويلز والمسيحية 138
ويلز والأخلاق 140
تأثير الداروينية..... 141
الاستنتاج 143
المراجع..... 144
الفصل السادس: الداروينية والإبادة الجماعية في تسمانيا 146
المقدمة 146
التسمانيون كحلقة تطورية 148
تاريخ تسمانيا والصراع 149
آخر التسمانيين 158
هل كان التسمانيون عرق متدني؟..... 163
الاستنتاجات..... 171
المراجع..... 173

الفصل السابع: وصول حركة تحسين النسل إلى أميركا 179
المقدمة 179
نمو حركة تحسين النسل في أميركا 181
ازدهار حركة تحسين النسل الأمريكية..... 183
تشارلز دافنبورت، أحد كبار علماء تحسين النسل الأمريكيين 187
بعض أسباب زيادة عدد علماء النسل الأمريكيين بسرعة كبيرة..... 189
من النظرية إلى السياسة الاجتماعية..... 190
سقوط حركة تحسين النسل 195
تحسين النسل يتعارض مع التعاليم المسيحية..... 199
معارضة أخرى..... 203
سقوط نهائي لحركة تحسين النسل الأمريكية 205
المراجع..... 210
الفصل الثامن: تأثير الداروينية االهام على كو كلوكس كلان 213
مقدمة..... 213
استخدام حركة كو كلوكس كلان الداروينية لتبرير وجهة نظرها حول دونية السود 214
قصة ديفيد ديوك 225
خلفية ديفيد ديوك الدينية 226
معركته الدينية..... 226
ديوك يواجه منتقدي العنصرية..... 230

الداروينوين الذين أثّروا على ديوك..... 232
تأثير البروفيسور إلمر بيندل 234
اختلاط الأعراق 235
تأثير إتش. جي. ويلز على ديوك..... 237
التطوريون الآخرون الذين أثروا على ديوك..... 240
تأثير ديوك في العنصرية الحديثة اليوم 246
ملخص لتأثير الداروينية في كلان 247
الاستنتاجات..... 250
المراجع..... 252
الفصل التاسع: استغلال غير الغربيين كدليل على التطور 256
مقدمة..... 256
التدريب على التصرف كحلقة داروين المفقودة 264
الأوبانغي: أشباه القردة من الكونغو البلجيكية 267
تأثير الرجل القرد على الأشخاص العاديين..... 268
الاعتراضات الشائعة على المعارض..... 269
غالبية العلماء التزموا الصمت 270
الادعاء بأن البشر – الحيوانات هم حلقة داروين المفقودة 273
ملخص..... 274
المراجع..... 276

الفصل العاشر: أوتا بينجا: القزم الذي عُرض في حديقة الحيوان..... 285
لماذا أتى أوتا إلى الولايات المتحدة 291
تأثير التطور 295
معتقدات فيرنر الداروينية 298
معرض حديقة الحيوان..... 300
الملخص 311
المراجع..... 314
الفصل الحادي عشر: الداروينية واستغلال البشر المشوهين..... 324
مقدمة..... 324
قصة زيب..... 325
جوليا باسترانا: حلقة داروين المفقود 328
حياتها المبكرة..... 333
حلقات مفقودة أخرى 337
كراو: الرابط المفقود المثالي..... 339
الدوافع لاستغلال الأشخاص المشوهين..... 344
تأثير عروض السيرك للقرد البشري على الأشخاص العاديين 346
تأثير عروض السيرك للقرد البشري علي العنصرية 347
الملخص 349
المراجع..... 351

الفصل الثاني عشر: الداروينية تُعلم الإنسان أن الإناث أقل شأناً من الذكور 356
مقدمة 356
الدليل على النظرية 356
أهمية الداروينية 357
معتقدات داروين الشخصية 362
الانتقاء الجنسي 365
تأثير داروين على المجتمع 370
أهمية دونية الإناث في الداروينية 374
قدرة دماغ الإناث الدونية 376
الانقلاب على عقيدة دونية الأنثى 380
مساهمة داروين في التمييز الجنسي 383
التأثيرات الثقافية على وجهة نظر الداروينية للمرأة 387
تأثير الداروينية على المجتمع 390
الاستنتاجات والآثار 394
المراجع 397
الفصل الثالث عشر: تأثير الدراوينية الحاسم على الرأسمالية الشرسة 404
مقدمة 404
ظروف العمل العامة في الثمانينيات 406
من المسيحية إلى الداروينية 408

داروينية كارينجي الاجتماعية..... 410
ألهمت الداروينية الشيوعية والرأسمالية..... 415
استخدام الداروينية لتبرير الرأسمالية الشرسة..... 417
الأفكار الداروينية باقية حتى اليوم في مجال الأعمال..... 420
الاستنتاجات..... 421
الملخص..... 424
المراجع..... 425
الفصل الرابع عشر: تأسيس الداروينية للإبادة الشيوعية 429
مقدمة..... 429
مؤسس الشيوعية كارل ماركس يكتشف داروين..... 432
كارل ماركس تحت تأثير الداروينية..... 433
هل أرسل ماركس مسودة الطباعة لـ رأس المال إلى داروين؟..... 437
احتضن فريدريك إنغلز الداروينية..... 439
ماركس وإنغلز وداروين..... 442
تحول ألكسندر هيرزين..... 444
لماذا كانت الشيوعية إلحادية وأسفرت عن الإبادات..... 446
معارضة ماركس المتعنتة للدين..... 448
تحول لينين إلى الداروينية..... 453
الحرب السوفيتية ضد المسيحية..... 456

ليون تروتسكي يصبح دارويني 459
تحول جوزيف ستالين إلى الداروينية 460
الملخص 466
المراجع 469
الفصل الخامس عشر: كيف ألهمت الداروينية المحرقة الصينية الشيوعية . 477
مقدمة 477
ماو تسي تونغ يصبح دارويني 479
نتائج حكم ماو الدارويني 480
تطبيق الداروينية على الحياة اليومية في الصين 481
العرق أصبح بارزًا في الصين 483
تطورات العنصرية في الصين 485
الأخلاق الداروينية في الصين 487
هيمنة داروين على السياسة الصينية 489
عدد ضحايا الصينين نتيجة الداروينية الماركسية 492
القاتل الجماعي بول بوت 493
الاستنتاجات 495
المراجع 497
الفصل السادس عشر: نظرية الجريمة الداروينية: فصل مأساوي في التاريخ 500
المقدمة 500
تاريخ التأسل الرجعي 503

تطبيق التأسل الرجعي على علم الجريمة 505
النظرة العالمية للومبروسو 510
المأساة الرئيسة لمعتقد الراجعية لداروين وتأثيره على السياسة الاجتماعية..... 512
النساء والتأسل الرجعي والجريمة 516
نهاية النظرية الجنائية الرجعية..... 519
التلخيص والاستنتاجات..... 524
المراجع..... 528
الفصل السابع عشر: الداروينية والمحرقة الشاملة في القرن العشرين..... 534
مقدمة..... 534
الداروينية والحرب العالمية الأولى..... 537
تأثير الداروينية على التاريخ 539
خسائر الحرب العالمية الأولى 540
تكلفة الحرب العالمية الثانية..... 541
عدد القتلى بسبب الحركات الشيوعية 543
عدد القتلى بسبب الثورات الشيوعية الحديثة..... 544
إبادات أخرى للشيوعيين 547
تأتي الأمراض والمجاعة مع الحرب..... 548
منذ عام **1970** دولة من بين كل أربع دول خاضت حربًا..... 550
يجب وضع هذا في الحسبان..... 553
المراجع..... 559